ابراهيم خليل احمد

إسرائيل فِتنة الأجيال

العصور القديمة

مكتبة الوعي العربي

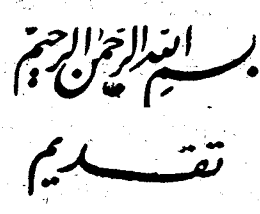
ابراهيم خليل احمد

إسرائيل فتنة الأجيال

العصور القديمة

الناشر
مكتبة الوعي العربي
٥ شارع كامل صدقي بالفجالة
تليفون ٩٩١٩٦٥

١٩٦٩



تقـــديم

بقلم الاستاذ على عبد العظيم
مدير الوثائق والمكتبات بوزارة الأوقاف

أجمعت الـكتب السماوية الباقية بين أيدينا اليوم على أن الشعب اليهودى قد خرج على جميع القيم المثالية ، وأنه حطم جميع القواعد الخلقية ، وأنه شوه كل التعاليم الروحية ، وأنه أعطى أسوأ مثال للانحراف والفساد ، وأنه أصبح شر أنموذج للبغى والخسة والانحلال .

ونستطيع أن نسوق بعض الأمثلة من هذه الـكتب المقدسة لأن ذكرها جميعها لا يتسع له المجال :

اولا – فى العهد القديم : وهو الـكتاب المقدس عند اليهود — يقول لهم نبيهم إرمياء فى تأنيب شديد : « إنـكم تتـكلون على كلام الـكذب الذى لا ينفع . أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذبا وتبخرون للبعل[١] وتسيرون وراء آلهـة أخرى لم تعرفوها ، ثم تأتون وتقفون أمامى فى هذا البيت الذى دعى باسمى عليه، وتقولون قد أنقذنا . حتى تعملوا كل هذه الرجاسات، هل صار هذا البيت الذى دعى باسمى عليه مغارة لصوص فى أعينـكم ؟ »[٢] ، وبهذا دمغهم بالـكذب والإسراف والقتل والزنا والأقسام الـكاذبة وعبادة

(١) بعل مردوخ : صنم عبده الفينيقيون والـكنعانيون والبابليون ثم انتقلت عبادته إلى اليهود ، وقد قال لهم إلياس عليه السلام : « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائـكم الأولين » سورة الصافات ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) إرمياء ٧ : ٨ — ١١

الأصنام وتحويل الهيكل إلى مغارة لصوص . ثم يصفهم فى مكان آخر بأنهم ارتدوا إلى الشرك بعد التوحيد ، وانصرفوا إلى عبادة الأوثان حيث يقول معللا غضب الله عليهم : «من أجل أنهم تركوا عهد الرب إلههم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها »[1]، وتوعدهم بما أوحاه إليه الرب : « وكالتين الردىء الذى لا يؤكل من رداءته — هكذا قال الرب — هكذا جعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه وبقية أورشليم الباقين فى هذه الأرض والساكنة فى أرض مصر وأسلمهم للقلق والشر فى جميع ممالك الأرض عاراً ومثلا وهزأة ولعنة فى جميع المواضع التى أطردهم إليها ، وأرسل عليهم السيف والجوع والوباء حتى يفنوا عن وجه الأرض التى أعطيتهم وآباءهم إياها »[2].

ثانيا – فى العهد الجديد : يقول السيد المسيح عليه السلام : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل . . [3]ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة[4]... أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصدّيق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل

---

(١) إرمياء ٢٢ : ٩ .
(٢) إرمياء ٢٤ : ٨ — ١٠ .
(٣) إنجيل متى ٢٣ : ١٣، ١٤ .
(٤) إنجيل متى ٢٣ : ٢٧ .

والمذبح . . »[1] ووصفهم بأنهم جعلوا بيت الصلاة مغارة لصوص [2].

ثالثا — في القرآن الكريم : منّ الله على بنى إسرائيل بإنقاذهم من بطش فرعون مصر وجبروته ، ولكنهم كفروا بأنعم الله وقابلوا حسناته بشر ألوان الإساءات ، فما كادوا يعبرون البحر ويرون مصرع أعدائهم حتى قالوا : « يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون »[3]، وما كاد موسى يذهب لمناجاة ربه حتى ضل قومه : «واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين»[4]. ومن العجيب أن يرتدوا عن عبادة الله إلى عبادة العجل ورسولهم حي بين أيديهم ، وأن يقطعوا شوطاً طويلا في الفساد والضلال والانحراف حتى أصبحت هذه الصفات فيهم أصيلة لصيقة منذ عهد موسى ومن تلاه من الأنبياء عليهم السلام ، فقد كانوا « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون»[5] وزعموا أنهم « أبناء الله وأحباؤه . قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق»[6]، «وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا : أنؤمن بما أنزل علينا ؟ ويكفرون بما وراءه ، وهو الحق مصدقا لما معهم ، قل : فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ؟ »[7] ، «وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون»[8] وبهذا استحقوا غضب الله ولعناته : « أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً»[9].

وكانت النتيجة المحتومة أنهم « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس[10] وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة

---

(١) إنجيل متى ٢٣ : ٣٣ — ٣٥ . (٢) إنجيل متى ٢١ : ١٣ . (٣) الأعراف : ١٣٨ . (٤) الأعراف : ١٤٨ . (٥) البقرة : ٧٥ . (٦) المائدة : ١٨ . (٧) البقرة : ٩١ . (٨) المائدة : ٦٢ . (٩) النساء : ٥٢ . (١٠) لا يستطيعون أن يكون لهم كيان إلا بأمر الله وتحت حماية خارجية كحماية أمريكا الآن .

ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتـــدون »[١] ، « وما ظلمهم الله ولـكن أنفسهم يظلمون »[٢] .

التعصب الأكمه : إذا بالغ الباحثون فى وصف التعصب ، وصفوه بأنه تعصب أعمى ، ولـكن هذا الوصف يقصر عن تصوير أخلاق اليهود ، والوصف الجدير بهم هو التعصب الأكمه (الذى لا يرى ولا يسمع). ولا عجب فى هذا فقد بلغ بهم التعصب إلى درجة المرض الخطير الذى يسميه علماء النفس بالنرجسية وهو أن يعشق المريض نفسه فلا يرى فى الدنيا سواه ، فالـكون كله مسخر له، وجميع الـكائنات — ماعداه — ماوجدت إلا لخدمته ، وهو بهذا لا يفكر ولا يرى ولا يسمع ولا يحس إلا ذاته و كل ما عداه هباء ، وكما يصاب الأفراد بهذا المرض الخطير تصاب به الجماعات ، وأشد الطوائف إصابة بهذا المرض الخطير طائفة اليهود ، ولقد أصبح هذا المرض فيهم خطيراً مزمناً متوارثا عبر الأجيال وهو مفتاح شخصيتهم ، وعلة تصرفاتهم ، منذ ظهروا حتى الآن ، فقد ورد فى التلمود[٣] — وهو موضع تقديسهم ، ومصدر عقيدتهم : « إن أرواح اليهود تتميز عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده ، وإن أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح ، لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات ، وإن نطفة غير اليهودى هى كنطفة باقى الحيوانات » .

ويزعمون أن النعيم مأوى أرواح اليهود ، وأنه لا يدخل الجنة إلا اليهود ،

---

(١) آل عمران : ١١٢ . (٢) آل عمران : ١١٧ .

(٣) راجع الـكنز المرصود فى قواعد التلمود ، وسفر حزقيال ٢٣ : ١٩ — ٢١ ، وإسرائيل والتلمود ص ٩٥ للأستاذ صاحب هذا التصنيف .

وأن النار مأوى جميع الشعوب ؛ ولهذا أصبح من مبادئهم المقدسة المدونة في التلمود أنه « يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم ، وإذا تسلط غير اليهود على أوطان اليهود حق لهؤلاء أن يندبوا و يقولوا : يا للعار ! ويا للخزى ! وقبل أن تحكم اليهود نهائيا على باقى الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ، وأن يهلك ثلثا العالم » (١) .

وهم فى سبيل الظفر بحكم العالم لا يبالون أن يدمروا ثلثى العالم على أن يبقى الثلث الباقى لخدمتهم وكل منهم « معتبر عند الله أكثر من الملائكة ، فإذا ضرب أمى (٢) إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية ، ويستحق الموت ، ولو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ، ولما خلقت الأمطار والشمس... والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودى وباقى الشعوب . . . والأجانب كالكلاب ، والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب (٣) ولا للكلاب ، والكلب أفضل من الأجنبى لأنه مصرح لليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجنبى أو أن يعطيه لحما بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منه ... وقد خلق الله الأجنبى على هيئة إنسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم » (٤) .

ومن هنا نرى كيف استشرى فيهم هذا الداء الخطير ، وكيف قادهم إلى حافة الجنون حتى أصبحوا « يساوون أنفسهم مع العزة الإلهية ، فالدنيا وما فيها ملك لهم ويحق لهم التسلط على كل شىء فيها . والسرقة جائزة من اليهودى ،

---

(١) راجع الكنز المرصود وسفر حزقيال ٢٣ : ١٩ — ٢١ . (٢) يزعمون أن جميع الشعوب أمية بالنسبة إليهم ، وأنهم وحدهم انفردوا بالعلوم والفلسفة والفنون ، وقد نظروا الى العرب بهذه النظرة فقالوا : « ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .

(٣) جميع من عداهم من الشعوب . (٤) إسرائيل والتلمود ص ٦١ .

ومسموح بها إذا كانت من مال غير اليهود ، والسرقة من غير اليهودى لا تعتبر سرقة بل استرداداً لمال اليهودى . . . وأموال غير اليهود مباحة عند اليهود كالأموال المتروكة أو كرمال البحر التى يمتلكها من يضع يده عليها أولا ..» .

ومن القواعد الأساسية فى التلمود « أنه مسموح بغش الأجنبى وسرقة ماله بواسطة الربا الفاحش »(١) ، وأن « حياة غير اليهودى ملك لليهودى فكيف بأمواله ؟ ؟ » . وقد أوصاهم سفر الخروج بأن «يستعيروا حلى المصريين وثيابهم وأمتعتهم وأموالهم ثم يستولوا عليها »(٢) .

ولا نستطيع أن نستطرد فننقل معظم نصوص التلمود والعهد القديم فحسبنا ما ذكرناه مثالا لما تركناه .

التدمير والتلويث : امتلأت حياة اليهود عبر القرون بالتطبيق الفعلى للانحلال الخلقى ، ولأحط ألوان الشر والفساد التى استقوها من التلمود ، ولهذا حرصوا على تدمير جميع القيم المثالية ، وعلى تشويه المقدسات السامية حتى الذات الإلهية فإنهم مع تقديسهم لله وتنزيه اسمه (يهوتاه) عن أن تنطق به الشفاه يستبدلون به اسم (أدناوى) ، وهم مع هذا يصفونه بالصفات البشرية فهو يقسم أوقاته بين العمل واللعب ، وهو ـ سبحانه ـ يقضى الساعات الأخيرة من النهار فى اللعب مع الحوت ملك الأسماك ، ويقضى ساعات الليل فى مذاكرة التلمود مع الملائكة ، ومع ملك الشياطين ، والإله عندهم يخطىء ويصيب ، ويستبد به الندم أحيانا حتى يحمله على البكاء ، بل هو يخصص ثلاثة أرباع

---

(١) أشار القرآن الكريم إلى هذه الصفة بقوله : « وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما» سورة النساء : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٢) خروج ٣ : ٢١ ، ٢٢ .

الليل للبكاء والندم ، وهو إذا بكى سقطت من عينيه دمعتان فى البحر فيسمع دويهما فى الآفاق » (١) .

وإذا تساءلنا ما الذى يحمل الرب على الندم والأسف والبكاء ؟ إن الجواب طبعاً يدور حول بنى إسرائيل لأنهم شعب الله المختار أو هم أبناء الله وأحباؤه فإذا مسهم ضر أو حلت بهم كارثة استبد الغضب والحزن بالرب أعنف استبداد، وهتف فى ألم مرير قائلا : « تبا لى ! أمرت بخراب بيتى ، وإحراق الهيكل وتشريد أولادى ! ! » ، وإذا مجده الناس أدركه الندم وشعر بوخز الضمير لأنه سمح لأعداء شعبه المختار بهدم الهيكل ، وتشريد أبنائه الأعزاء فيقول : « طوبى لمن يمجده الناس وهو مستحق لذلك وويل للأب الذى يمجده أبناؤه مع عدم استحقاقه لذلك لأنه قضى عليهم بالتشريد والشقاء »(٢) .

وقد وصف القرآن الكريم تخبطهم الجنونى فى تصورهم للخالق المعبود ، فهم لا يستطيعون تصوره إلا فى صورة مادية مجسمة : « وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون »(٣) . وصوره لهم خيالهم المريض فى صورة تمثال ذهبى للعجل أبيس : « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون »(٤) . ثم لج بهم الخيال فعقدوا موازنة بينهم وبين الله ، وفضلوا أنفسهم عليه فقالوا : « إن الله فقير ونحن أغنياء »(٥) ، ثم قالوا « يد الله مغلولة »(٦) .

وأما تلويثهم للأنبياء فيعرضه التلمود والتوراة فى أقبح صورة وأشنع مثال: فآدم وحواء عليهما السلام عاهران : « فكان آدم يأتى شيطانة مهمة اسمها ليليت مدة ١٣٠ سنة فولد منها شياطين وكانت حواء لا تلد فى هذه المدة إلا شياطين ، بسبب نكاحها من ذكور الشياطين »(٧) .

---

(١) إسرائيل والتلمود للأستاذ إبراهيم خليل صاحب هذا التصنيف : ص ٣٧ ، ٣٨ .
(٢) المصدر السابق: ٣٨ . (٣) البقرة : ٥٥ . (٤) البقرة ٩٢ .
(٥) آل عمران : ١٨٠ . (٦) المائدة : ٦٤ .
(٧) الكنز المرصود فى قواعد التلمود ، وإسرائيل والتلمود ص ٥٨ للمؤلف .

ولوط عليه السلام صوره العهد القديم فى صورة رجل مخمور يتصل بابنتيه وينجب منهما : « فتلد الكبرى موآب ، وهو أبو الموآبيين ، وتلد منه ابنته الصغرى بن عمّى وهو أبو عمون » (١).

وهرون عليه السلام هو الذى صنع التمثال الذهبي للعجل، ودعا بنى إسرائيل لعبادته ، وليس السامرى كما ذكر القرآن الكريم (٢) ، فجعلوه داعية للشرك لا للتوحيد (٣) .

ويعقوب عليه السلام استباح لنفسه أن يحتال ويسرق مال صهره لابان ، وتتكرر منه الخديعة والسرقة عدة مرات (٤) .

وداود عليه السلام وقع بصره على امرأة مفرطة فى الجمال وهى تستحم متجردة من جميع ثيابها فشغف بها حباً وسأل عنها فأخبر أنها زوجة أوريا الحثّى أحد جنوده المحاربين المشتركين فى حملة حربية بقيادة يوآب . فبعث داود فى طلبها فجىء بها إليه ، « واضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى » (٥) . وتحايل داود على أن ينسب الحمل إلى زوجها فاستدعاه من الميدان ، وأمره أن يبيت فى بيته قبل عودته ، فأبت شهامة الجندى الباسل أن يبيت منعما فى بيته وإخوانه فى ميدان القتال ، فرفض الذهاب إلى بيته وتكرر الطلب والرفض ، ولما ضاق داود ذرعاً أرسله إلى ميدان الكفاح وأرسل معه خطابا إلى القائد العام ليدبر قتله ، ويلقى مصرعه تنفيذاً لأمر داود ، « فلما سمعت امرأة أوريا أنه مات ندبت بعلها ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا » (٦).

---

(١) تكوين ١٩ : ٣٠–٣٨ .
(٢) طه : ٨٥ — ٩٧ .
(٣) أعمال الرسل ٧ : ٣٥ — ٤٣ .
(٤) تكوين ٣٠ : ٣٧ — ٤٣ .
(٥) صموئيل الثانى ١١ : ٢ — ٥ .
(٦) المصدر السابق : ٦ — ١٥ .

وسليمان عليه السلام ضم فى حريمه ألف امرأة من مختلف الجنسيات ، ولما تقدمت به السن ضعف أمام نسائه ، فترك عبادة الله واعتنق عبادة أصنامهن ، فبنى معبداً لعشتورث إلهة الصيدونيين ، وملكوم إلهة العمونيين ، وكموش إلهة الموآبيين ، ومولك صنم بنى عمون ومال قلب سليمان عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب (١) .

والسيد المسيح عليه السلام « موجود فى لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار ، وأمه مريم جاءت به من العسكرى باندارا بمباشرة الزنا ، وأن الكنائس أشبه بالقاذورات ، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة »(٢).

وأما موقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم فقد عاهدوه ثم نقضوا عهده وناصروا المشركين عليه وانضموا إلى جيوش الأعداء فى غزوة الخندق ، ودبروا قتله بإلقاء حجر عليه فأنبأه الله بالمؤامرة ونجاه منها ، وحاولوا مرة أخرى قتله بالسم فدست إحدى نسائهم السم له فى ذراع شاة ، ونجاه منها الله .

ومن هذا يتضح أنهم شوهوا صورة الله ولوثوا أنبياءهم وقتلوا بعضهم وفضلوا أقوال الحاخامات على أقوال الأنبياء : « إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله . . . وقد وقع الاختلاف بين الله وبين علماء اليهود فى أمر من الأمور ، وبعد أن طال الجدال تقرر إحالة الخلاف إلى أحد الحاخامات الذى حكم بخطأ الإله مما اضطر سبحانه وتعالى إلى الاعتراف بالخطأ »(٣).

أما نظرتهم إلى بقية الشعوب فقد ذكرنا أنهم كانوا يعتقدون أن أرواحهم

---

(١) ملوك أول ١١ : ١ — ١٣ . (٢) الكنز المرصود ، وإسرائيل والتلمود ٦٠ — ٦١ .
(٣) الكنز المرصود ، وإسرائيل والتلمود ص ٥٧ .

أرواح حيوانات ، وأنهم خلقوا فى صورة الآدميين ليكونوا عبيدا وخدما لبنى إسرائيل .

إن هذا المرض الخطير الذى تفشى بين اليهود وتوارثوه جيلا بعد جيل (مرض النرجسية) قد أنتج فيهم مرضاً آخر يسميه علماء النفس بالسادية وهو التلذذ بإيقاع الأذى على الآخرين وحب تلويثهم ، وتبلغ النشوة قمتها عند هؤلاء المرضى بإراقة الدماء ، وبهذا تبخرت الإنسانية وامحت من نفوس هؤلاء الأشرار فأصبحوا ممسوخين فى آدميتهم مشوهين فى طبائعهم كالقردة والخنازير ، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة : « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين »[١] ، والآية الكريمة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل »[٢] .

هذه الطبيعة الإنسانية المشوهة الممسوخة أنتجت آثارا ممسوخة تقوم على أساس الفتك والتدمير عند المقدرة ثم المكر والدس والنفاق والذلة والهوان عند الضعف ، وتاريخ اليهود منذ أربعين قرنا يقوم على هذين الأساسين دون تغيير .

أما الفتك والتخريب والتدمير فمن أصول عقيدتهم المقدسة فى صحائف التلمود ، ومن أمثلتها المعبرة فى صراحة وقحة : « من العدل أن يقتل اليهودى بيت كل كافر لأن من يسفك دم الكافر يقرب قربانا إلى الله » ، والكفار فى عقيدتهم هم كل من عدا اليهود ، وقد تكررت هذه النصيحة فى عشرات المواضع من التلمود مثل : « اقتل الصالح من غير اليهود ، ويحرم على اليهودى أن ينجى أحداً من الأجانب من الهلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها بل عليه

---

(١) سورة الأعراف : ١٦٦ .
(٢) سورة المائدة : ٦٠ .

أن يسدها بحجر » ، ويحدثنا سفر التكوين عن تدمير بنى يعقوب لإحدى مدن أعدائهم وكيف قتلوا كل ذكر وكيف نهبوا كل ما فى المدينة ، وما فى الحقل أخذوه ، وسلبوا ونهبوا كل ثرواتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما فى البيوت [١].

ومن وصايا التلمود أن اليهودى لا يخطىء إذا اعتدى على عرض الأجنبية لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد لأن المرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة ، والعقد لا يوجد بين البهائم .. ولليهود الحق فى اغتصاب النساء غير المؤمنات [٢] ... والزنا بغير اليهود ذكورا كانوا أم إناثا لا عقاب عليه لأن الأجانب من نسل الحيوانات .

وأما المكر والنفاق والضعة والهوان وحبك الدسائس وتدبير المؤامرات فهى مشروعة مع غير اليهود طبقا لدستورهم المقدس ، من وصايا التلمود ، ومن أمثلتها : « ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه أو يرحمهم ، ويحق لليهودى أن يغش الكفار ، ومحظور عليه أن يحيى الكافر بالسلام مالم يخش ضرره أو عدوانه ، والنفاق جائز فى هذه الحالة ، ولا بأس من ادعاء محبة الكافر إذا خاف اليهودى أذاه . . . وإذا جاء الأجنبى واليهودى أمامك بدعوى فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلى رابحا فافعل ، واستعمل الغش والخداع فى حق الأجنبى حتى تجعل الحق لليهودى . . . » .

ولا نستطيع أن نستطرد فننقل جميع فقرات التلمود وحسبنا ما ذكرناه مثالا لما أغفلناه [٣].

---

(١) تكوين ٣٤ : ١ — ٧ و ٢٥ — ٢٩ . (٢) غير اليهوديات .

(٣) راجع الكنز المرصود فى قواعد التلمود للدكتور روهلنج ، وأيضا إسرائيل والتلمود للأستاذ إبراهيم خليل أحمد صاحب الكتاب القيم الذى نقدمه للقراء الآن .

ونتيجة لهذا كله أصبح اليهود منعزلين عن العالم محصورين فى نطاق ذواتهم المريضة وعقائدهم الدنسة الحقيرة ، يسرقون وينهبون ويستبيحون المحارم، فإذا كشفت المجتمعات أمرهم طاردتهم فى عنف ومزقتهم شر تمزيق ؛ ليعودوا فى مجتمعات أخرى لتمثيل أدوارهم البغيضة فى تلويث الكرامة الإنسانية فى كل مجال . وهكذا أصبحوا أقليات عديدة تحيا فى مختلف الدول وبين شتى الشعوب فى انطواء ذاتى وتمسك عصبى بألوان الفساد والانحلال فإذا آنسوا فى أنفسهم القوة أمعنوا فى التخريب والتدمير والفساد ، وما أتيحت لهم القوة قط إلا تحت ظل الآخرين .

* * *

وكثير من المسلمين يتلون قوله تعالى : «لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون . ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »(١).

كثير من المسلمين يتلون هذا النص القرآنى المقدس ، ويقولون : إن الله لا يخلف وعده وإن وعد الله حق . ولكن كيف تم النصر لليهود على المسلمين منذ عام ؟ (عام ١٩٦٧) ، وكيف استطاعوا أن يفرضوا أنفسهم على الأرض المقدسة ، وأن يحتلوا المسجد الأقصى ، وهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومهبط الأنبياء ، وموطن الإسراء والمعراج ؟ ثم يمعن فى التساؤل قائلا: كيف عزوا بعد الذل ؟ وقووا بعد الضعف ، واستطالوا بعد الهوان ؟

ولهؤلاء نقول : إن الله لا يخلف وعده ، وإنهم من بعد غلبهم سيغلبون ،

---

(١) سورة آل عمران : ١١١ ، ١١٢ .

وإن الله سبحانه وتعالى يبتلى عباده المخلصين : « وليمحص الذين آمنوا ويمحق الـكافرين »(١) ، وقد ابتلى الله المسلمين فى غزوة أحد ، كما ابتلاهم فى غزوة الخندق وفى غزوة حنين، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وحتى «زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر »(٢) ، وحتى « ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا »(٣) ، ولـكن الإيمان والثقة بالله والتضحية والاستشهاد كانت عدة النصر ، وبشير الفوز ، وطليعة الأمان : «ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما »(٤) ، وإذا انطلقت الشائعات ونمت وتناقلتها الألسنة مشفوعة بعبارات الإرهاب والتخويف تـكسرت هذه الموجات على شواطىء اليقين والإيمان : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لـكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم »(٥) . وكانت النتيجة أن الله نصر أولياءه وخذل أولياء الشيطان : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً »(٦).

وإذا كان المؤمنون قد أصابهم عنت ومشقة فقد أصاب أعداءهم شتى ألوان العنت ، والمشقات : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله »(٧)، وعلى المؤمنين أن تظل ثقتهم بالله قوية وإيمانهم به فوق منال الريب والشكوك : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون »(٨)، فلا مجال للوهن ولا للتوجس والخوف بأى حال: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» (٩) .

---

(١) آل عمران : ١٤١ . (٢) الأحزاب : ١٠ . (٣) الأحزاب : ١١ .
(٤) الأحزاب : ٢٢ . (٥) آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤ .
(٦) الأحزاب : ٢٥ . (٧) آل عمران : ١٤٠ . (٨) الحجرات : ١٥ .
(٩) آل عمران : ١٣٩ .

وعلى كل مسلم أن يعلم علما يقينا لا يعتريه شك أو ارتياب أن الذلة التى ضربها الله على اليهود ظلت قائمة وستبقى قائمة إلى أن « تبدل الأرض غير الأرض والسموات »(١) ؛ لأنهم لا يشعرون بالعزة إلا وهم أذلاء ، ولا بالقوة إلا وهم ضعفاء ، ولا بالاستقلال إلا وهم محتـلون ، فالذلة مضروبة عليهم : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، فحبل الله أن يهيىء لليهود فرصة النصر المؤقت لابتلاء المؤمنين ليتوبوا إلى الله وليستمسكوا بحبله المتين ، والله ينصر من ينصرونه: « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »(٢)،وإذا انتصر اليهود فى بعض المعارك فسينهزمون أخيراً فإن العاقبة للمتقين : « يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم »(٣)، ولقد نبه الله المؤمنين عقب غزوة أحد إلى علة ما أصابهم من هزيمة واندحار : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم . . . »(٤)،« وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور »(٥) ، فالفشل والانقسام وعصيان أوامر القادة كانت من أهم أسباب الانهزام . . ولكنه درس يلقنه الله لأوليائه لينقى نفوسهم وليلقنهم أن الإيمان والاستعداد والوحدة والطاعة المطلقة هى أساس النصر المبين .

فليس معنى انهزام المسلمين فى بعض المواقع استسلامهم للذلة والهوان ، وليس معنى انتصار اليهود فى بعض المواقع أنهم تخلصوا نهائياً من الذل والهوان .

وأما حبل الناس فإن التاريخ يحدثنا أن اليهود كانوا يلوذون دائما بالدول

---

(١) سورة إبراهيم : ٤٨ . (٢) سورة الروم : ٤٧ . (٣) سورة محمد : ٧ ، ٨ .
(٤) سورة آل عمران ١٥٢ . (٥) آل عمران : ١٥٤ .

القوية والحكام الأقوياء يستظلون بحمايتهم ، ويعيشون فى كنفهم أذلاء .
وإلى هذا أشار التلمود بقوله : « نحن شعب الله فى الأرض ، وقد أوجب علينا أن يفرقنا لمنفعتنا ، ذلك أنه لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا الحيوان الإنسانى وهم كل الأمم والأجناس ، سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان : نوع أخرس كالدواب والأنعام والطير ، ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر الأمم من أهل الشرق والغرب ، فسخرهم ليكونوا فى خدمتنا ، وفرقنا فى الأرض لنمتطى ظهورهم ونمسك بعنانهم ، ونستخرج فنونهم لمنفعتنا ، لذلك يجب أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء ، وأن ندخل أبناءنا فى الديانات المختلفة ، وأن تكون لنا الكلمة العليا فى الدول وأعمالها فنفتنهم ونوقع بينهم وندخل الخوف عليهم ليحارب بعضهم بعضا وفى ذلك كله نجنى الفائدة الكبرى »[1].

فهم يلتمسون العزة بتقديم بناتهم الجميلات للملوك والوزراء والعظماء ، وأن يدوس أبناؤهم عقائدهم المقدسة ويعتنقوا الديانات الأخرى ليخدعوا أرباب هذه الديانات ، وليستمدوا منهم القوة والاستعلاء ، وما كان حكام اليهود — كما يقرر المؤرخ الكبير هـ . ج . ولز[2] — إلا « قضاة من الكهنة ينتخبهم الشعب وأصبحوا بعد الوحدة ولايتين صغيرتين بين شقى الرحى تطحنهما على التوالى سوريا ثم بابل من الشمال ، ومصر من الجنوب .. » . هى قصة ملوك همج يحكمون شعبا من الهمج حتى إذا وافت سنة ٧٢١ ق.م. محت يد الأسر الأشورى مملكة إسرائيل من الوجود ، وزال شعبها من التاريخ زوالا تاما ، وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى حل بها سنة ٦٠٤ ق . م . ما حل بإسرائيل .

---

(١) إسرائيل والتلمود لصاحب هذا المصنف ص ٧٢ .
(٢) موجز تاريخ العالم ص ٩٢ وما بعدها .

ولما كانت شوكة مصر قوية سنة ٦٠٨ ق.م . لجأ إليها اليهود وعاشوا فى ظلها أذلاء لها أقوياء ــ بقوتها ــ على أعدائهم . فلما ضعفت مصر وقويت شوكة البابليين كاد اليهود لمصر وانضموا إلى القوة الناشئة الجديدة تحت حكم نبوخذ نصر ، ولكن دسائسهم ومكائدهم حملتهم على احتراف الجاسوسية واعتقال بعض الناهبين من البابليين ، «عندئذ صمم الملك الجديد أن يمزّق تلك الدولة الصغيرة كل ممزق بعد أن ظلت أمداً طويلا تستفيد من تأليب مصر على الإمبراطورية الشمالية فأمر الملك بسبي يهوذا ونهبت مدينة أورشليم ودمر الهيكل وأحرقت القصور وحمل من بقى بها من الناس أسرى إلى بابل » (١) .

ولما بزغت دولة الفرس القوية اتصل بها اليهود وقدموا فتاتهم الجميـلة (استير) للـكها القوى فلقيت لديه مكانة أثيرة لأنها كانت « جميلة الصورة وحسنة المنظر .. وحسنت الفتاة فى عينيه ونالت نعمة بين يديه .. وكانت استير تنال نعمة فى عينى كل من رآها . . فأحب الملك استير أكثر من جميع النساء ، ووجدت نعمة وإحسانا قدامه أكثر من جميع العذارى فوضع تاج الملك على رأسها »(٢) فاستطاعت أن تشفع لقومها اليهود وترفع عنهم التشريد «وكان فرح وبهجة عند اليهود وولائم ويوم طيب» (٣) .

وقد وصف القرآن الـكريم اليهود بالجبن والتمزق : «وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين»(٤) كما وصفهم بأنهم :«لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » (٥) . أما جبنهم فأحداث تاريخهم فى

(١) موجز تاريخ العالم للمؤرخ الـكبير هـ . ج . ولز ص٨٩.
(٢) سفر استير الإصحاح الثانى . (٣) استير الإصحاح الثامن.
(٤) سورة الحشر: ٢. (٥) الحشر : ١٤ .

أربعين قرنا تنطق به وتـــدل عليه ، وأما أن بأسهم بينهم شديد وأن قلوبهم شتى فهو أمر معروف منذ نشأتهم حتى الآن ، أما فى نشأتهم فقد انقسموا إلى ولايتين متدابرتين متناحرتين هما ولاية يهوذا فى الجنوب ، وولاية إسرائيل فى الشمال ، والمطالع لسفر الملوك الأول وسفر الملوك الثانى فى العهد القديم يرى كيف انحرفت الولايتان إلى عبادة الأصنام ، وكيف قامت بينهما الحروب المدمرة . وقد ذكر الإصحاح الثالث عشر من سفر أخبار الأيام الثانى أن الله نصر يهوذا على إسرائيل ، « فانهزم بنو إسرائيل من أمام يهوذا ودفعهم الله ليـــدهم وضربهم أبيا وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من إسرائيل خمسمائة ألف » (١).

واستمر تاريخ اليهود على هذا المنوال حتى العصر الحديث ؛ فبعد قيام إسرائيل انقسم اليهود إلى طائفتين : طائفة ترى فى قيام إسرائيل خطراً على اليهودية وجناية على الطوائف اليهودية التى تعيش كرعايا فى الدول القوية لأنها تظهرهم فى مظهر الأجانب ، وهم بهـــذا يخضعون للقوانين التى تطبق على الأجانب فى هذه الدول ، فتسلبهم ما ظفروا به من نفوذ وثراء وجاه . وطائفة أخرى تهلل وتـكبر لقيام إسرائيل وتمدها بالأموال والسلاح والرجال . أما فى داخل إسرائيل فالجموع اليهودية منقسمة إلى طائفتين كبيرتين طائفة القرائين وطائفة الربانيين، والخلاف بينهما شديد فى العقيدة الدينية . وهناك انقسام أشد خطراً وهو تعصب اليهود الوافدين من أوروبا على اليهود الوافدين من الشرق واستئثار الأولين بالمناصب والنفوذ ، وحصر الآخرين فى نطاق العمال والزراع والخدم ومن فى مستواهم من السوقة والغوغاء ، وهو اضطهاد عنصرى عجيب

---

(١) أخبار الأيام الثانى ١٣ : ١٣ — ١٧ (أبيا بن يربعام ملك يهوذا) .

جعل كثيرين من اليهود الشرقيين يتسللون هربا من إسرائيل .

* * *

وتاريخ اليهود ملىء بالعجائب حافل بالمتناقضات ، وقد صدرت عدة كتب بمختلف اللغات تناولت هذا التاريخ من زوايا مختلفة ولكن الكتابة فى هذا الموضوع تحتاج إلى مؤرخ عالم دقيق ، درس جميع الأسفار المقدسة دراسة علمية عميقة ، وألم إلماماً كبيراً بالتلمود ، وتعمق فى الأبحاث التاريخية العامة ، وعرف البواعث والأسباب ، والأهداف ، ولمس ماوراء الظواهر ، وكشف ماخلف الأستار من دسائس ومكائد ومؤامرات ، وبحث أهداف الصهيونية ، وعرف وسائلها الظاهرة والخفية وأدرك أسرار الجمعيات التى أنشأها اليهود فى صورة غير يهودية ، وعلم أغراضها العلنية والمستورة ، ودرس إلى هذا كله التاريخ الإسلامى ، وبحث الصراع الدينى بين مختلف العقائد وهذا كله يحتاج إلى مجمع علمى يتكون من صفوة الباحثين المنصفين .

ولكن الأستاذ إبراهيم خليل أحمد تقدم لحمل هذا العبء وحده فى ثقة واطمئنان ويقين، ومما لاشك فيه أن غيره لا يستطيع النهوض وحده بهذا العمل والقيام به على خير وجه والاستقلال به فى أحسن أداء .

فقد تيسرت له وسائل لم تتيسر لغيره من الباحثين ومن أهمها :

اولا — انه بدأ حياته العلمية مسيحيا ماعصبا متخصصا فى الكتاب المقدس:

حيث درس نصوصه وعرف فلسفته ، وقرأ شروحه قراءة مستوعبة وآمن به إيمانا عميقا سواء بأسفار العهد القديم أم بأسفار العهد الجديد ، كما ألم إلماماً تاما بالعقائد اللاهوتية وتاريخ اليهود ورجال الكنيسة فى شتى العهود .

ثانيا — اهلته مواهبه العقلية للحصول على اجازات علمية عديدة ، من اهمها:

١ ـ دبلوم كلية أسيوط الأمريكية الثانوية سنة ١٩٤٢ م .

٢ ـ دبلوم كلية اللاهوت الإنجيلية المشيخية بالقاهرة سنة ١٩٤٨ .

٣ ـ تعمق فى دراسة اللغة العبرية ، واللغـــة اليونانية إلى جانب إجادته للغة الإنجليزية .

٤ـ ثم ابتدأ حياته العملية ، وكان يحمل لقب (القس إبراهيم خليل فيلبس) راعياً للـكنيسة الإنجيلية بباقور / محافظة أسيوط .

٥ ـ ولما ظهر نبوغه وتعمقه فى الدراسات اللاهوتية **والاسلامية من وجهة نظر المستشرقين** تم تعيينه أستاذا للعقائد المسيحية والإسلامية بكلية اللاهوت الإنجيلية بأسيوط .

٦ ـ تم اختياره مبشرا وسكرتيراً عاما للإرسالية الألمانيـــة السويسرية بأسوان ، وكان مستشفى الجرمانية فى أسوان مركزا للعمل التبشيرى بين المسلمين فى محافظتى أسوان وقنا .

٧ ـ وكانت طبيعة عمله تحتم عليه أن يدرس الفلسفة الدينية وأن يتعمق فى دراسة علم « مقارنة الأديان ونقدها » وبالتالى أن يدرس الإسلام دراسة علمية دقيقة فى مصادره الأولى الأصيلة ، فدرس القرآن الـكريم ، واستظهر كثيراً من آياته البينات ، كما خاض بحاراً عديدة من كتب التفسير ، ثم درس الحديث الشريف ، واستوعب منه ـ ماشاء الله له أن يستوعبه ـ من النصوص النبوية الـكريمة . ثم قرأ كتب السيرة النبوية ، وصحب الرسول صلى الله عليه وسلم فى أقواله وهديه ، منـــذ أن هبط عليه الوحى السماوى حتى لقى الرفيق الأعلى .

وكان شأنه فى هذه الدراسات العلمية شأن العلماء الباحثين المنصفين ، يتلمس الحقائق ، وينشد الإنصاف ، ويستهدف المثل العليا فى الحق والخير والجمال بعيداً

عن التعصب ساميا عن التحزب مترفعاً عن الميول الذاتية ، طليقا من التقاليد الوراثية ، فإذا اقتنع بأمر أعلنه وتمسك به ودافع عنـــه ، ودعا إليه وجاهد فى سبيله بكل ما يملك من طاقات .

وكانت النتيجة الحتمية لهـــذا كله أن اقتنع بالإسلام عن بصيرة وأعلن إسلامه مضحيا فى سبيل عقيدته الجديدة بمصالح مادية عديدة . وخاض فى سبيل إسلامه أهوالا شداداً ، وتعرض لعـــداوات وحزازات ، وتحمل مشقات ونـــكبات .

وحاول المحاولون أن يفتنوه وأن يرهبوه أو يمنوه ، لــكنه صبر وصابر ، وطاول وجاهد وبذل من ماله وجهده وصحته ما بذل ، وشرع قلمه ، وأدار لسانه فى خدمة الدعوة الإسلامية وإبراز ماتحمله من الحقائق ، وإظهار ماتمتاز به من القيم المثالية والتعاليم الربانية والومضات الروحانية ، واستطاع أن يخرج فى سنوات معدودات كتبا قيمة نفع الله بها الـكثيرين وسدت فراغا كبيراً فى المـكتبة العربية منها :

١ ـ محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن .

٢ ـ المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى الإسلامى .

٣ ـ إسرائيل والتلمود « دراسة تحليلية » .

ها هو ذا اليوم يقدم موسوعته الكبرى فى تاريخ اليهود (إسرائيل فتنة الأجيال) والآن ندع القارىء يستمتع بهذا الـكتاب القيم .

ونتمنى لهذا القلم أن يبارك الله فيه وأن يمنحه الخير والبركات ، وأن ينتج منه أطيب الثمرات .

علي عبد العظيم

تمهيد

لفلسطين أهمية بالغة فى نظر الفلسطينيين لأنها وطنهم ، وفى نظر العرب لأنها قلب البلاد العربية ، وفى نظر المسيحيين لأن فيها مقدساتهم : من المسجد الأقصى إلى كنيسة القيامة .

كما أنها موضع تقديس أهل الكتاب جميعا من مسيحيين ويهود ، وهى مهد الأنبياء وموطىء قدم المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وهى ذات موقع جغرافى له خطورته ، فهى نافذة على البحر الأبيض المتوسط ، وتتاخم بلدانا كثيرة فى آسيا ، والجسر البحرى بين آسيا وإفريقيا .

فإذا سيطر عليها شعب من غير جنس أبناء البلاد هدد السلام فى المنطقة كلها .

هذه المنطقة التى شهدت مواقع بطولية تاريخية من موقعة اليرموك إلى موقعة حطين إلى موقعة عين جالوت غيرت التاريخ فبدلت العصر الإسلامى بالعصر الرومانى وطهرت البلاد من الصليبيين ، وأنقذت العالم بأسره من التتار .

اغتصبها بمؤازرة الاستعمار البريطانى شعب قد قضى الله عليه بالذلة ، وسلط عليه بذنوبه من لا يرحمه من دول أوربا . . . اغتصبها الصهيونيون الذين أراد الغرب أن يتخلص منهم فأغراهم بفلسطين متحدياً إرادة الشعوب ومبدأ حق تقرير المصير ، وانتزع البلاد بعد أن طرد أصحابها بقوة النار والإرهاب .

ووجود إسرائيل فى أرض فلسطين وصمة تلطخ جبين الإنسانية ، ولعلها تهز الشعور والضمير العالميين ، بل إنها فضيحة لاتليق بحضارة هذا العصر

ومدنية القرن العشرين أن تتواطأ بعض حكومات الأمم الحرة على طرد هذا الشعب المتجانس من موطن آبائه وأجداده ، ليحل محله أناس من شذاذ الأرض ، مختلفو المذاهب والأجناس واللغات والثقافة ، والعادات والتقاليد والأمزجة .

ولقد سجل التاريخ هذا الجرم الفاحش الذى يرتد بالجنس البشرى إلى أحط تصرفات الهمج فى ظل قانون الغاب .

إن أفظع الجرائم التى يسجلها التاريخ ليست اعتداء فرد على فرد ، أو استبداد قبيلة بقبيلة أو إخضاع شعب لشعب ، وإنما هى طرد أمة آمنة من وطنها دفعة واحدة ، ونهب مالها ، وتقتيل أفرادها : رجالا ونساء ، وأطفالا وشيبا ، وتشريد من بقى منهم وهو ما وقع على الشعب الفلسطينى اليوم فى هذا العصر الذى يلقبونه عصر النور والمدنية .

وكانت نكبة فلسطين سببا لما اجتاح الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٦ من عدوان إسرائيلى فرنسى إنجليزى ، ولما اجتاح سوريا والأردن ومصر من عدوان إسرائيلى سنة ١٩٦٧ الأمر الذى يحملنا بوصفنا أدباء أن نكون من الأزمة فى موقف المواجهة الشجاعة نتصدى لها ، بما أوتينا من فكر ووجدان ، وبما يعمر قلوبنا من ثقة وإيمان . . بأن نتدارس حقائق اغتصاب فلسطين ، ونتدارس كيف حيكت الدسائس ؟ وكيف نفذت المؤامرات ؟ وكيف ضاع هذا البلد العربى ؟ وكيف شرد أهله فى الآفاق ؟ حتى يدرك الملأ أن بلادنا كلها فى خطر ، وأن مأساة فلسطين ستعقبها مآس ونكبات ، ومن ثم فإن من حتمية الأمور تبصير الأمة والأجيال الصاعدة بهذا حتى يدركوا الواجب الذى تحتمه المعركة على كل فرد منا .

إن أمة مثل أمتنا لحرى بها ، بما أوتيت من عمق التاريخ ورحابة الآفاق ، وسعة المساحات ، وكثرة الممكنات ، وتعدد المواهب ، أن تتسع لمأساة أو نكسة مهما تكن هذه العبارات قاسية أليمة ، فتستوعبها لتضيع فى مساحاتها الشاسعة ، وتغرق فى تاريخها العميق وتقتلها مواهبنا وإمكانياتنا .

ولما كانت قضية فلسطين فذة فى أسبابها ونتائجها ، فريدة فى تطوراتها وملابساتها ، غريبة فى الدسائس التى حيكت حولها ، كان لزاما أن نفهم الصهيونية على حقيقتها ، وأن نتعرف الصلة بينها وبين اليهود ، وأن نقف على الأسباب التى دفعت بعض الحكومات إلى مناصرة أولئك الذين دبروا تلك المؤامرة لاجتياح فلسطين ، وما فتئوا يدبرون ويعملون لتحقيق مآرب أصبحت غير خافية .

مقدمة

ستزول إسرائيل

إن قيام إسرائيل فى فلسطين هو أثر مباشر من آثار الصدام بين حركة القومية العربية ، وبين قوى الاستعمار الغربى . وهى على حد تعبير ونستون تشرشل مفسراً لوعد بلفور: « تحقق فاصلا على الأرض العربية يحجز مصر بإمكانياتها عن المشرق باحتمالاته ، ومركزاً لحماية المصالح البريطانية إذا ما اضطرت بريطانيا وحلفاؤها إلى الجلاء عن البلاد العربية » .

فإسرائيل رغم هذا كله لا بد لها أن تزول للأسباب الآتية :

١ ـ لأنها أداة استعمار ، والاستعمار مهما طال فى سيطرته على مقدرات الشعوب النامية فإنه لا بد سيحمل عصاه ويرحل .

٢ ـ ولأنها تقوم على مساندة الغرب لها ، ومن ثم فهى لا تملك فى ذاتها مقومات البقاء .

٣ ـ ولأنها قامت بطريقة استفزازية ضد إرادة الشعوب العربية ، قامت فى أرض عربية شاسعة الأوطان فكان قيامها عدواناً صريحاً على الأمة العربية .

٤ ـ ثم إن هذه الأمة العربية قد عقدت العزم وصممت كل التصميم على الدفاع عن أرضها واسترداد ما اغتصب من وطنها .

٥ ـ بل إن التاريخ يؤكد زوالها ، والأنبياء قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد تنبأوا بغضب الله عليهم وأنه بوأهم بالذلة والمسكنة ، فتنبأ المسيح عن

خراب الهيكل بقوله: «هوذا بيتكم يترك لكم خرابا»[١]، وقوله: «أتنظر هذا البناء العظيم . فلا يترك هنا حجر على حجر إلا وينقض»[٢] . وحاولوا إعادة مملكة داود فشقوا عصا الطاعة على الدولة الرومانية وقاموا بثورة دامية ما إن ترامت أنباؤها لمسامع الإمبراطور تيطس حتى أسرع إليها سنة ٧٠ م فأخمدها ودمر الهيكل تدميراً وخرب مدينة أورشليم .

ولما أعاد اليهود الكرة ثانية بثورة أشد من الأولى دخلت جحافل الجيش الرومانى أرض فلسطين سنة ١٣٥ م ، ودمروا القدس تدميراً كاملا ، وأجلوا اليهود بكاملهم عن أرض فلسطين إلى الأجزاء النائية من الإمبراطورية الرومانية، وهكذا فإن صلة اليهود الرسمية بفلسطين انتهت فى عام ١٣٥م ولم يعد لها وجود طوال السنوات الألف والثمانمائة وست عشرة التى تلت. ويذكر Will Durant «وول ديورانت» فى موسوعته The Story of Civilizition «قصة الحضارة» أنه فى سنة ٣٦١ م صرح الإمبراطور جوليان لليهود بإعادة بناء الهيكل من مال الإمبراطورية ــ والهيكل فى نظر اليهود إلى جانب الذكرى المقدسة عبر القرون عن أمجاد مملكة سليمان وداود فإنه رمز لرضا الله عنهم وحمايته لهم ــ وساندهم الإمبراطور جوليان لتشييد الهيكل الذى سبق تخريبه وتدميره فى عهد الإمبراطور تيطس سنة ٧٠م ، وفى سنة ١٣٥م ، كما ساندهم كورش ملك فارس من قبل الذى صرح لهم بالعودة إلى فلسطين وشجعهم على إعادة بناء الهيكل الذى خرّبه الملك نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م.

وما إن بدأوا يحفرون الأرض لوضع حجر الأساس فى نشوة وفرح ليوم كانوا يحلمون به ، حتى تبدد فرحهم وتبدّل بحزن وأسى ، إذ خرج من باطن الأرض لهيب نار أحرق العمال القائمين بالعمل ، إلا أنهم عادوا إلى العمل من

---

(١) متى ٢٣ : ٣٨ .

(٢) مرقس ١٣ : ٢ .

جديد فعادت هذه الظاهرة مرة أخرى ، فأوقفت العمل وثبطت همة القائمين بالمشروع .

وخرج المسيحيون فى غبطة وسرور ، إذ بدا لهم أن الله غير راض عن إعادة بناء الهيكل ، وعجب اليهود من هذا وحزنوا له .

وفى هذا يقول العزيز الحكيم : « ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم ، إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين »(١).

لكن اليهود فى عنجهيتهم وتفاخرهم بعنصريتهم وتساميهم بتعاليمهم على الجنس البشرى كافة ـ الأمر الذى يبرأ منه الله ذو الجلال والإكرام ـ قد انطووا على أنفسهم فى مجتمع له نهجه فى الحياة ، وتحاملوا على البشرية فى حقد وكراهية فانقلبوا شراً على المجتمع ، وتحول المجتمع ليدرأ عن نفسه هذا الشر بطردهم أو استئصال شأفتهم من الوجود كما حاول ذلك أدولف هتلر عاهل ألمانيا السابق . وهؤلاء بنزعتهم هذه صدق فيهم قوله تعالى: « بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب »(٢) .

فما رعوا للإنسانية حقوقاً ، ولا للأنبياء والرسل قدسية وعصمة ، حتى أن نبيهم إيليا استغاث بالله قائلا: « تركوا عهدك ونقضوا مذابحك ، وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدى ، وهم يطلبون نفسى ليأخذوها» (٣).

وتؤكد الأناجيل الأربعة على لسان يحيى بن زكريا ، والمسيح عيسى بن مريم لمدانتهم بالقول : « أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم . لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون

---

(١) آل عمران : ١٧٨ . (٢) البقرة : ٩٠ . (٣) ١ مل ١٩ : ١٠ .

ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة ؛ لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصدّيق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح »[١] .

ومات جوليان حاميهم ، وبموته تشتت اليهود فى كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية وسجل هذه الأحداث المؤرخ « جيروم »Jerome [٢] : « إن أهل فلسطين من اليهود كانوا لا يزيدون على عشر ما كانوا عليه من قبل». وهذا تأييد لنبوءة إشعياء:« وتخرب الأرض وتقفر ، ويبعد الرب الإنسان ، ويكثر الخراب فى وسط البلاد . وإن بقى فيها عشر بعد فيعود ويصير للخراب »[٣] .

ولم يأت عام ٤٢٥ م حتى ألغى ثيودسيوس الثانى الحاخامية الفلسطينية ، وفى عام ٦١٤ م تخلت فلسطين عن زعامة العالم اليهودى .

منظمة الأمم المتحدة خالقة اسرائيل:

لقد ولدت إسرائيل عام ١٩٤٧ بقرار اتخذته منظمة الأمم المتحدة ، وكانت مدة المؤامرة من ١٨٩٧ إلى ١٩٤٧ أى نصف قرن بدأت بالمؤتمر الصهيونى الأول سنة ١٨٩٧ . الذى حددت فيه الحركة الصهيونية أهدافها بأنها « إقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين ، يؤمنه القانون العام » .

وقد كانت هذه الحركة منذ نشأتها حركة هرمية بدأت من فوق إلى تحت . فقد قام بها نفر من قادة اليهود الغربيين ، وعلى رأسهم ثيودور هيرتزل مؤلف كتاب « الدولة اليهودية » ولا يعدو عمل هؤلاء القادة أن يكون انتهاكاً لأسلوب الحق والعدالة لإيجاد المبررات للاستعمار الغربى لكى يسيطر

---

(١) متى ٢٣ : ٣٣ — ٣٥ ، متى ٣ : ٧ — ٩ ، لوقا ١١ : ٤٧ — ٥٠ ، يوحنا ٨ : ٤٤ — ٤٧ .
(٢) Baron 1, 261 .
(٣) اش ٦ : ١١ — ١٣ .

على منطقـــة الشرق العربى ، ذات الموقع الاستراتيجى الهام ، والثروات الطبيعية الهائلة .

الرحلة الصهيونية تحبو الى اعتاب الدول العظمى :

ونحن نلمس هذا المعنى فى الاتصالات التمهيدية التى قام بها ثيودور هيرتزل من أجل كسب المؤيدين لمشروعه :

فقد اتصل ببسمارك ، وبعم قيصر ألمانيا وليم الثانى ، كما قابل فى فلسطين سنة ١٨٩٨ القيصر نفسه ، وكان فى جميع هذه المقابلات يؤكد أن الدولة المقترحة ستكون دولة نموذجية وجسراً يربط بين الغرب والشرق ، ونقطة إشعاع للحضارة الغربية . ولم تستطع ألمانيا القيصرية أن تستجيب لطلب هيرتزل ، لأنها كانت على يقين من أن تأييد مثل هذا المشروع يجب أن يسبقه انتصارها على بريطانيا المنافسة لها فى المنطقة . وهكذا أخذت تعد عدتها لخوض الحرب ضدها ، فكانت الحرب العالمية الأولى .

وأخذ ثيودور هيرتزل يبحث عن دولة أخرى تحتضنه وتحميه فاتجه بأنظاره إلى بريطانيا ، واتصل بوزير المستعمرات تشمبرلن ، ودار الحديث حول إقامة هـــذه الدولة فى صحراء سيناء بالمنطقة المحيطة بالعريش . وقد أكد هيرتزل لتشمبرلن بأن دولتهم ستخدم المصالح البريطانية فى المنطقة فقـد كتب إليه يقول :

« حينما يجىء الوقت الذى نعيش فيه تحت ظل العلم البريطانى فى العريش فان فلسطين بدورها ستقع فى فلكه » .

ولـكن هـــذا المشروع لم يكتب له النجاح ، فاتجه زعماء الصهيونيـــة عام ١٩٠٣ إلى روسيا ، وعرضوا خدماتهم عليها ، فلم يجدوا عندها الاستجابة الـكافية لمخططهم .

وهكذا كان على زعماء الصهيونية أن ينتظروا حتى الحرب العالمية الأولى، وتهيأت لهم الفرصة للتحدث عن مشروعهم الذى لقى من بريطانيا ترحيبا حاراً لأنه يحقق لها ما تريد فى المنطقة، فمثل هذه الدولة لن تكون سوى أداة فى يدها.

ويؤكد هذا الترابط الوثيق بين الصهيونية والإمبريالية رسالة بعث بها حاييم وايزمن زعيم الصهيونية بعد هيرتزل، إلى صحفى مقرب من الحكومة البريطانية ورد فيها ما يلى: « نستطيع القول بصدق أنه إذا سقطت فلسطين فى فلك النفوذ البريطانى، وإذا ما شجعت بريطانيا إقامة اليهود فيها، فإنه سيصبح فيها بعد خمس وعشرين سنة أو ثلاثين سنة مليون يهودى أو أكثر، وسوف يكون هؤلاء خير دفاع فعلى لقناة السويس ».

وفى الثانى من نوفمبر « تشرين الثانى » عام ١٩١٧، صدر بيان الحكومة البريطانية على صورة رسالة موجهة من أرثر بلفور الوزير البريطانى إلى روتشيلد الزعيم الصهيونى وهو بيان يعلن فيه: « أن حكومة جلالته تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين »، وهو بيان متناقض مع الوعود التى قطعتها بريطانيا على نفسها للعرب.

وانتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء على تركيا وألمانيا واقتسام الحلفاء للولايات العثمانية، وكانت الاتفاقات والمعاهدات فالانتداب البريطانى على فلسطين بعد تفتيت الشام إلى الإسكندرونة ولبنان وسوريا وفلسطين وشرق الأردن.

وخلال الفترة الواقعة بين ١٩٢٢ و ١٩٣٩ صدرت أربعة « كتب بيضاء » عن المسألة الفلسطينية على التوالى سنة ١٩٢٢، سنة ١٩٣٠، سنة ١٩٣٧ وأخيراً سنة ١٩٣٩ والأخير منها أهمها إذ بدا فيه أن بريطانيا قد غيرت

من سياستها تحت ضغط كفاح الشعب الفلسطينى . فهو يسلم بقيام دولة فلسطينية عربية فى المستقبل ، ويتخلى عن فكرة إقامة وطن قومى يهودى فيها .

ولكن بريطانيا إزاء نهجها سياسة الصواب والتعقل إحقاقا للحق لم تعد للصهيونية فارس أحلامها ، وفى هذه الأثناء برزت الولايات المتحدة لتأخذ صولجان السيادة العالمية ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية . وللولايات المتحدة الأمريكية فى منطقتنا مطامع : فالمنطقة العربية تقع جنوب المعسكر الاشتراكى الأوروبى ، بالإضافة إلى أنها تحتوى على ثلثى احتياطى البترول فى العالم .

ويؤكد مطامع الولايات المتحدة فى المنطقة العربية ما كشفته الأيام مما ذكرته صحيفة Daily Expres البريطانية فى مقال لها فى أول ديسمبر سنة ١٩٦٧ من أن حكومة الولايات المتحدة تفضل أن تظل قناة السويس مغلقة وأنها أبلغت بلغاريا بهذه الرغبة .

وقالت الصحيفة إن ذلك يرجع إلى سببين رئيسيين :

الأول : أن قناة السويس هى الطريق الطبيعى لمرور السفن السوفيتية التى تحمل الأسلحة إلى فيتنام .

والثانى : أنه طبقا للتفكير الأمريكى فإن إغلاق القناة يسد طريق الاتحاد السوفيتى إلى البحر الأحمر والمحيط الهندى .

ووضح من هذا أن الولايات المتحدة تريد من وراء تحريضها لإسرائيل وتشجيعها لها بالعدوان على الدول العربية ، السيطرة الاحتكارية على القارة الأوروبية من ناحية وإغلاق قناة السويس فى وجه التجارة مع آسيا وإفريقيا من ناحية أخرى .

وقد أوضحت صحيفة تريبون دى ناسيون الفرنسية ، أن الولايات المتحدة

الأمريكية بالاشتراك مع إسرائيل قد تمكنت لأول مرة فى التاريخ من سجن أوروبا فى البحر الأبيض المتوسط ، ومنع الطرق المؤدية إلى الشرق الأقصى عنها وقطع مواصلاتها مع جزر الهند والمحيط الهندى خاصة وأن ما يقرب من ٨٠٪ من البترول الذى تستورده أوروبا يأتى عادة عن طريق البحر الأبيض المتوسط .

فإذا كانت وزارة الزراعة الأمريكية قد ذكرت بعد هذا كله أن أزمة الشرق الأوسط أثرت تأثيراً كبيراً على اقتصاد إفريقيا ومنطقة غرب آسيا وأن إغلاق قناة السويس منذ ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ قد غير بصورة خطيرة من طرق التجارة لكثير من دول آسيا وإفريقيا فقد كان واجبا عليها أن تضيف إلى ذلك أن السبب الرئيسى فى هذا هو اشتراك الاحتكارات الأمريكية فى المؤامرة ضد المصالح الحقيقية للشعوب لخدمة المصالح الإمبريالية العالمية وحليفتها إسرائيل .

وكان زعماء الصهيونية يدركون هذا التحول فى الزعامة من بريطانيا إلى أمريكا . فقد كتب بن جوريون فى عام ١٩٤٠ : « أما أنا فلم أكن أشك فى أن مركز الثقل ، بالنسبة لعملنا السياسى ، كان قد انتقل من بريطانيا إلى الولايات المتحدة التى كانت قد احتلت المرتبة الأولى فى العالم » .

واشنطن تحمى اسرائيل وتؤيدها :

وقد تبنت أمريكا أحلام الصهيونية بحماسة واندفاع لا نظير لهما ؛ فكتب حاييم وايزمن فى كتابه « مولد إسرائيل » يصف مقابلته للرئيس الأمريكى روزفلت عام ١٩٤٢ ، قائلا : « كان موقف الرئيس روزفلت إيجابيا للغاية . . وقد عبر عن اعتقاده بأن أمريكا على استعداد للإسهام فى إقامة الوطن القومى اليهودى ... » .

ونشطت المنظمة الصهيونية الأمريكية فأصدرت «برنامج بلتيمور» الذى أصبح برنامج الصهيونية العالمية ، وهو برنامج ينص على إقامة دولة يهودية فى فلسطين كلها ، وبناء جيش يهودى ، ورفض الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ ، وتيسير الهجرة إلى فلسطين دون حدود أو قيود .

وهكذا أصبح صهاينة فلسطين وصهاينة أمريكا هم المسيطرين على الحركة الصهيونية ، وقد بدا هذا واضحا فى المؤتمر الصهيونى الثانى والعشرين، الذى عقد فى عام ١٩٤٧ .

وأخيراً رضخت بريطانيا للضغوط الأمريكية ، وأحالت القضية إلى هيئة الأمم المتحدة ، التى أقرت فى شهر نوفمبر « تشرين الثانى » سنة١٩٤٧ تقسيم فلسطين بين العرب واليهود . وقد اعترف حاييم وايزمن بالدور الهام الذى لعبته أمريكا فى قيام إسرائيل ، وذلك فى رسالة بعث بها إلى ترومان فى ١٣ مايو«أيار»١٩٤٨ وفيها يقول : « إن الدور القيادى الذى قامت به الحكومة الأمريكية بوحى منكم ، جعل من الممكن إقامة دولة يهودية » .

ومنذ قيام إسرائيل فى١٥مايو «أيار»١٩٤٨ ، وهى تعتمد اعتماداً تاماً على الولايات المتحدة الأمريكية،فيقول جورج فريدمان ، الكاتب المعروف بميوله الصهيونية فى كتابه « هل ينتهى الشعب اليهودى ؟ » : « يجب على إسرائيل أن تحصل سنوياً على مايقرب من ٢٥٠ مليون دولار من الإيرادات الخارجية حتى تتمكن من موازنة ميزانيتها فى حدودها الراهنة » .

والسؤال كيف استطاعت إسرائيل أن تحمى نفسها وأن تظل قائمة ؟ لم يكن قيام إسرائيل إلا بفضل المساعدات الأمريكية التى تدفقت على إسرائيل منذ ١٩٤٨ أمطاراً غزيرة من الذهب ، وهذه المساعدات أنواع :

١ ـ فهناك القروض التى تمنحها الحكومة الأمريكية لإسرائيل ...

٢ ـ وهناك الأموال التى تتبرع بها الجاليات اليهودية فى أمريكا وتحول إلى إسرائيل كتبرعات خيرية معفاة من الضرائب .

٣ ـ وكذلك المساعدات الفنية .

٤ ـ وفائض المواد الغذائية .

٥ ـ وما يباع فى الولايات المتحدة الأمريكية من سندات القرض الإسرائيلى التى اشترت منها الحكومة الأمريكية وحدها بما قيمته ٦٥ مليون دولار .

٦ ــ وقد تلقت إسرائيل فى السنة الأولى من قيامها مساعدات أمريكية تبلغ ٤٥٠ مليون دولار .

٧ ـ وبلغ مجموع المساعدات الاقتصادية التى تلقتها إسرائيل مابين عامى ١٩٦٠ ، ١٩٦٥ ماقيمته ٦٠٠٠ مليون دولار عدا مساعدات الجاليات اليهودية .

٨ ـ واشترى الرأسماليون الأمريكيون اثنتى عشرة مؤسسة كبرى فى إسرائيل .

٩ ـ ومنذ شهر يونيو « حزيران » ١٩٦٧ ازدادت المساعدات الأمريكية لإسرائيل ، فجمع مبلغ ٤٧٥ مليون دولار « لتعويض نفقات إسرائيل الناجمة عن العمليات العسكرية فى يونيو ١٩٦٧ ضد مصر » .

١٠ ـ وفى التاسع من شهر أغسطس « آب » ١٩٦٧ عقد أصحاب الملايين من الصهاينة اجتماعاً فى القدس ، للبحث فى الوسائل الكفيلة بمنع « انهيار الاقتصاد الإسرائيلى » ووضعوا تحت تصرف إسرائيل الملايين من الدولارات .

١١ ـ وليس المال هو الوسيلة الوحيدة التى تلجأ إليها أمريكا لتأمين بقاء إسرائيل . فهناك المساعدات العسكرية التى بلغت ذروتها عام ١٩٦٧ تمهيداً للعدوان : ففى خلال الفترة من شهر مارس إلى شهر مايو سنة ١٩٦٧

حصلت إسرائيل على أكثر من ٤٠٠ دبابة حديثة الصنع ، ٢٥٠ طائرة جديدة ، وصواريخ تطلق من الأرض للجو من طراز « هوك » وكميات ضخمة من العتاد الحربى اللازم للقوات البرية .

١٢ ـ وتعاونت أجهزة الاستخبارات الأمريكية مع إسرائيل ، وأمدتها بالمعلومات السياسية والعسكرية اللازمة لها .

١٣ – وكذلك فإن الأسطول السادس موجود فى البحر الأبيض المتوسط لحماية شواطىء إسرائيل ، وتهديد الشواطىء العربية .

وقد نشرت الصحف الأمريكية تصريحا لرئيس وزراء إسرائيل ليفى أشكول جاء فيه أن الحكومة الأمريكية قالت له : « لا تنفقوا أموالكم هدراً ، فنحن موجودون .. والأسطول السادس موجود أيضاً » .

ولم تتخل الحكومة الأمريكية عن إسرائيل حتى فى الأمم المتحدة وفى مجلس الأمن ، بعد عدوان الخامس من يونيو ١٩٦٧ على الدول العربية .

كل هذا يقودنا إلى حقيقة واضحة وهى أنه لم يكن بالإمكان أن تبقى إسرائيل لولا المساعدات الأمريكية الضخمة .

الأركان الثلاثة التى تقوم عليها اسرائيل :

فإذا تركنا هذا إلى النظر فى تركيب إسرائيل الداخلى وجدنا أنها تقوم على ثلاثة أركان : (١) العنصرية .

(٢) والعنف والإرهاب .

(٣) والتوسع .

١ ـ والعصبية العنصرية هى الأساس الذى تقوم عليه العقيدة الصهيونية .

وهذه العنصرية تؤدى إلى القول ببقاء السلالة اليهودية وتفوقها . ويقول هيرتزل فى كتابه « الدولة اليهودية » : « إن الفضل الأول والأخير للحفاظ على اليهود كشعب واحد ، وجنس واحد نقى خالص ، يرجع إلى قوانين الزواج التى كانت حجر عثرة فى تداخل السلالات » .

ولو عاد هيرتزل إلى التوراة لانقلبت نظريته رأساً على عقب ولفطن إلى أن شعب إسرائيل قد ذاب فى الأمم منذ القدم إذ قرر رؤساء إسرائيل أمام عزرا قائلين : « لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الأراضى حسب رجاساتهم من الكنعانيين ، والحثيين ، والفرزيين ، واليبوسيين ، والعمونيين، والموآبيين، والمصريين ، والأموريين . لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضى . وكانت يد الرؤساء والولاة فى هذه الخيانة أولا »(١) .

٢ — ومما يؤسف له أنهم بعدوا عن الحق وعصبوا أعينهم عن الحقيقة ، وهذه العصبية هى التى تدفع وتحفز الصهيونية إلى التخلص من العناصر غير المرغوب فيها بوسائل شرسة وحشية ، تبرأ منها التوراة ، وجاء بها حاخاماتهم فى التلمود .

وقد لجأت الصهيونية إلى العنف والإرهاب لطرد العرب من فلسطين فكانت المذابح الكثيرة التى منها مذبحة دير ياسين فى ٩ أبريل « نيسان » سنة ١٩٤٨ التى سقط فيها ٢٥٠ صريعا ضحية الإرهاب الصهيونى من

---

(١) عزرا ٩ : ١ — ٢ .

رجال ونساء ، وأطفال وشيب ، من مجموع سكان القرية الذين يبلغ عددهم نحو أربعمائة نسمة .

كما حدث مثل هذا فى قرية أبو غوش فى سبتمبر « أيلول » سنة ١٩٥٣ وقرية كفر قاسم فى أكتوبر « تشرين أول » ١٩٥٦ وفى عكا فى يونيو « حزيران » ١٩٦٥ .

وما حدث فى كفر قاسم يستحق أن يروى ، فبعد أن احتلت القوات الإسرائيلية القرية ، فرضت نظام منع التجول ، ثم تصدت للمزارعين العائدين من حقولهم ، وهؤلاء لا علم لهم بما جرى ، فقتلت منهم فى دقائق واحداً وخمسين وجرحت ثلاثة عشر .

واليوم يتعرض العرب فى المناطق المحتلة لشتى أنواع القمع والإرهاب ونسف المنازل ، بحجة أنهم يساندون كفاح الفدائيين الفلسطينيين .

٣ — أما الدعامة الثالثة فهى التوسع الدائم منذ قيامها .

فمن خطاب لبن‌جوريون لطلبة الجامعة العبرية والمعاهد العليا فى مستهل العام الدراسى سنة ١٩٥٠ : « إن هذه الخريطة — يعنى خريطة إسرائيل — ليست خريطة دولتنا ، بل إن لنا خريطة أخرى عليكم أنتم مسئولية تصميمها ، وهى خريطة الوطن الإسرائيلى الممتد من النيل إلى الفرات . فليفهم الجميع أن إسرائيل قد قامت بالحرب وأنها لن تقنع بحدودها ، وأن الامبراطورية الإسرائيلية سوف تمتد من النيل إلى الفرات » .

وفى ١٢ ، ١٣ من يونيو ١٩٥١ علقت صحيفة «الجيروزاليم بوست» على أهداف الأحزاب ومواقفها السياسية فقالت: «إن حزب المابام اليسارى يعمل من أجل ضم جميع أراضى فلسطين إلى إسرائيل . . . وكذلك فإن تحالف

حيروت — الإصلاحيين اليمينى يعمل من أجل تحرير فلسطين ضمن حدودها التاريخية » .

وقال مناحم بيجن فى ١٢ أكتوبر ١٩٥٥ : « إننى أومن بشدة بشن حرب ضد الدول العربية دون تردد ، فبهذه الحرب نستطيع تحقيق هدفين :

١ — القضاء على القوة العربية .

٢ — توسيع أراضينا » .

وصرح مناحم بيجن رئيس حزب حيروت وهو يخطب فى مؤتمر المحاربين القدماء يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٥٥ : « إن الأعداء يحيطون بنا من كل جانب ، وإن لم نبادر بمهاجمتهم فى عقر دارهم ونحطم قوتهم الحربية سبقونا هم إلى تحطيم إسرائيل . . . فعليكم يقع واجب المحافظة على الوطن وتوسيع حدوده » .

وصرح كذلك فى مؤتمر صحفى بواشنطن فى ١٩ مايو ١٩٥٧ : « إن الأردن يمكن تمزيقها فى يوم واحد ، وإن على إسرائيل أن تضمها كلها بكل الوسائل العسكرية إذا تطلب الأمر ذلك ، وإنها جزء لا يتجزأ من وطن الشعب اليهودى ...» ، وقال : « إن توحيد إسرائيل هو الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين العرب وللسلام فى الشرق الأوسط » .

ويصرح فلاديمير جابو تنسكى رئيس الحزب الإصلاحى فى مؤتمر المحاربين القدماء فى ٢ سبتمبر ١٩٥٥ : « سنطرد العرب من فلسطين وشرق الأردن ، وسنقذف بهم إلى صحاريهم ، وسنقيم الدولة اليهودية على ضفتى الأردن أولا ثم نمتد بها إلى ما وراء حدود فلسطين » .

الأحزاب الاسرائيلية ووحدة الهدف :

ورغم وجود أربعة عشر تشكيلا سياسياً فى إسرائيل ، فإن كل الأحزاب أعضاء فى الوكالة اليهودية ، التى تقوم بتنسيق جميع قوى الصهيونية فى العالم ، والوكالة اليهودية هى التى تمثل القيادة السياسية الحقيقية فى إسرائيل .

وما برامج الأحزاب المتراوحة بين أقصى اليسار وأقصى اليمين ، سوى دعاوى لا حقيقة لها .

ومن أهم الأحزاب السياسية الإسرائيلية ما يلى :

١ ـ حزب « ماباى » :

وجميع رؤساء الوزارة فى إسرائيل منه .

فقد تولى الرئاسة ثلاثة هم : بن جوريون لمدة ١٣ سنة ، وموسى شاريت لمدة سنتين ، وليفى أشكول منذ سنة ١٩٦٣ وكلهم من الماباى .

ويدعى هذا الحزب أنه يسارى اشتراكى ، ومع هذا نجد أنه حليف لكل استعمار : فقد أيد الاستعمار الفرنسى فى الجزائر ، وتعاون مع بريطانيا وفرنسا فى الاعتداء على الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٦ ويناصر أمريكا فى حربها ضد فيتنام ، ويحتل هذا الحزب مع منظمة قريبة منه تدعى «أهدوت ها عافودا» ٥٤ مقعداً فى البرلمان الإسرائيلى الذى يبلغ مجموع المقاعد فيه ١٢٠ مقعداً .

٢ ـ حزب « مابام » :

ويدعى أنه أكثر اشتراكية من حزب ماباى ، وأنه يناصر مبدأ التعايش السلمى بين مختلف الطبقات ، ولكنه فى الحقيقة ليس أقل صهيونية من جميع الأحزاب الإسرائيلية الأخرى : فقد أيد بحماسة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ على مصر ، ونظم المظاهرات مطالبا بضم قطاع غزة إلى إسرائيل .

٣ ـ حزب « رافی » :

أما حزب رافی فيستحق أن نقف عنده وقفة أطول ، فهو حزب جديد نجم عن الانشقاق الذى حــــدث فى صفوف « ماباى » وقادة هذا الحزب هم بن جوريون ، وموشى ديان ، وسيمون بيرنز ، وهو حزب يمثل الصهيونية الأكثر تصلبا وتشدداً ، ويؤمن بحتمية الحرب ضد الدول العربية .

ولهذا فهو ينادى دوما بضرورة شن هجوم عسكرى على الدول العربية قبل أن تتقوى ، وبإعطاء الأولوية لشراء الأسلحة الحديثة .

ويعتمد هذا الحزب فى قوته على الجيش الذى له فيه شعبية طاغية ، وعلى الجيل الجديد الذى ولد فى إسرائيل . وفى هذا أدلى موشى ديان بحديث للبرنامج العربى للإذاعة الإسرائيلية فى فبراير ١٩٥٢ ، جاء فيه : « إن مهمة الاستعداد للحرب تقع على عاتق الشعب ، ومهمة القتال لتحقيق إقامة الإمبراطورية الإسرائيلية تقع على عاتق الجيش » .

وقد اكتسب حزب « رافی » فى السنوات الأخيرة تأييداً أكثر من ذى قبل ، بسبب المشاكل الاقتصادية ، والبطالة المتزايدة فى إسرائيل ، مما جعل سياسته الداعية إلى التوسع تبدو هى السياسة الصالحة إذا أريد لإسرائيل البقاء .

وهناك حزبان يمثلان الدوائر الدينية وهما أغودات إسرائيل ، ومزراحى .

٤ ـ حزب اغودات اسرائيل :

وهو ضد النزعة الصهيونية فى العودة إلى فلسطين تحت أسنة الرماح ، ويقرر « أغودات إسرائيل » أن أية محاولة للقيام بمجهود إنسانى بغية العودة إلى أرض فلسطين لن تــكون أكثر من تجن واغتصاب يتجاوز حدود الدين ، ولا يقبل به الرب .

٥ ـ حزب مزراحى :

ويختلف مع أغودات إسرائيل فى وجهات النظر فيرى أن الابتعاد عن أى عمل سياسى لإعادة اليهود إلى أرض فلسطين لا وجود لما يسنده سنداً أكيداً فى المعتقد اليهودى .

وبهذا أضحى مزراحى مضاداً للرأى المتأصل فى عقول أتقياء اليهود ومنهم أغودات إسرائيل .

بهذا الاتجاه ظهرت الصهيونية وظهر دعاتها والمتحمسون لها مستندين إلى ما كان يمارسه اليهود بين سنتى ٥٣٨ ق . م ، و ١٣٥ م وهى الفترة التى كان يثور فيها اليهود مراراً وتكراراً عندما يدعوهم إلى ذلك مواطنوهم المتعاقبون من جماعات « تيوداس » و « جوداس » بعد أن رحبوا بالمحرر اللايهودى « كورش ملك فارس » ، وكانت ثوراتهم تهدف إلى تحقيق أمل موعود ، هو إعادة بعث الحياة فى مملكة داود الخامدة ، وعن طريق قوة السلاح اليهودى .

وظل الأمل يراود إسرائيل منذ إخضاع ثورة « باركوكيبه » سنة ١٣٥ م حتى ابتداء الحركة الصهيونية سنة ١٨٩٧ م . وظلوا فى إصرارهم على أن عودتهم إلى فلسطين وقف على « يهوه القدير » الذى سيقوم بنفسه بهذا العمل دون أن يكون لشعبه المختار أية مبادرة فى ذلك .

اصرار الأمة العربية على النضال ضد اسرائيل :

لقد صرح السيد محمود رياض فى مؤتمر صحفى عقده فى كوبنهاجن ٣ يوليو ١٩٦٨ بقوله : « إن الدول العربية المحيطة بإسرائيل سبق أن وقعت اتفاقية هدنة معها عام ١٩٤٩ ، وقد تنكرت إسرائيل لهذه الاتفاقية ، وأعلنت عام ١٩٥٦ انتهاءها لخدمة أهدافها التوسعية . وقامت فعلا باحتلال منطقة العوجة . وأعلن بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت أن

اتفاقية الهدنة أصبحت لاغية ودفنت ، وأعلن أيضاً ضم سيناء إلى إسرائيل .

« وفى عام ١٩٤٩ وقعت إسرائيل على بروتوكول لوزان الذى يستهدف حل مشكلة اللاجئين ، إلا أن إسرائيل رفضت تنفيذ البروتوكول بعد دخولها الأمم المتحدة .

« إن إسرائيل تعلن على الدوام رفضها لكافة القرارات التى تتخذها الأمم المتحدة ، ويؤكد هذه الحقيقة تصريحات المسئولين الإسرائيليين الذين أعلنوا ضم الأراضى العربية إليهم متحدين فى ذلك القرارات المتوالية التى صدرت فى الجمعية العامة وفى مجلس الأمن .

« من كل هذه الحقائق يتضح أن المفاوضات مع إسرائيل أو توقيع اتفاق معها معناه الاستسلام لإرادة إسرائيل وليس معناه السلام الذى نفهمه ، وتريده دول العالم من الشرق الأوسط . ونحن من جانبنا نريد السلام ولكننا نرفض الاستسلام بشدة .

« إن الأمن الذى تريده إسرائيل هو ضمان أمنها للقيام بعدوان جديد ، ونحن لا نقبل بأى حال التنازل عن شبر واحد من الأراضى العربية » .

ثم أضاف رداً على أحد الصحفيين عن مفهوم الحل السياسى فقال : « إنه هو الحل الذى ينبثق من احترام جميع الدول لميثاق الأمم المتحدة ، وقرار مجلس الأمن ، وهو القرار الذى ترفضه إسرائيل » .

وإسرائيل ليست موضع ثقة ، حتى تطمئن إليها الدول ، وقد قال الدكتور فوزى فى عام ١٩٥١ أمام مجلس الأمن : « إن بيان المندوب الإسرائيلى عن السلام قد سبق أن علق عليه إذ قال : « إن السلام ليس مجرد أقوال ، وإنما

هو أفعال لا أقوال» ، والسلام لا يكون فى مطاردة مليون إنسان ، وإخراجهم من بلادهم ، وحرمانهم من بيوتهم ، وأسباب عيشهم ، وإنكار أبسط الحقوق الإنسانية عليهم .

« هذه هى التجربة الحقيقية للسلام . ففى الحياة التى يعيشها المليون من اللاجئين العرب أكثر من مليون دليل يظهر بطلان الزعم الذى تدعيه إسرائيل عن السلام » .

الباب الأول

الوجهة التاريخية والجغرافية للشرق الأوسط

١ — شبه جزيرة سيناء

شبه جزيرة سيناء وهجرة الآباء عليهم صلوات الله :

لشبه جزيرة سيناء موقع جغرافى خطير يجعلها بمثابة حلقة الوصل بين أكثر بلاد الشرق وحوض البحر الأبيض المتوسط ، وتزداد قيمتها وتنقص تبعاً لحاجة كل قطر أو علاقته بها .

فمن شعوب تلك الأقاليم من كان يتصل بها قاصداً إليها . ومنها من كان يتصل بها ليعبرها مشرقاً أو مغرباً .

وتقع شبه جزيرة سيناء بين ذراعى البحر الأحمر إلى الشرق من دلتا النيل، ثم إلى الشمال الغربى من شبه جزيرة العرب ، وإلى الغرب والجنوب الغربى من شرق الأردن وفلسطين وسوريا .

فشبه جزيرة سيناء كانت بذلك معبراً بين الجنوب الغربى لقارة آسيا والشمال الشرقى لقارة إفريقيا وإلى الغرب منها دلتا النيل وهى معروفة بخصبها .

وبهذا فإن شبه الجزيرة تشكل صمام أمن للحدود المصرية فمنها يعبر المغيرون لغزو مصر ، وفيها باب المدخل الشرقى إلى وادى النيل ، ثم محطة تستريح بها قوافل التجار الفينيقيين فى ترددهم بين مدائن الساحل الفينيقى وشمال أفريقيا الغربى . ومصر منذ القديم اشتهرت بغناها وبوفرة الغلال التى كانت تفيض عن حاجة سكانها ، فتحملها القوافل إلى بلاد الشرق وعلى الأخص إلى أرض الكنعانيين . وكان القحط يشتد بأرض كنعان « الشام » فيجىء رجالها إلى مصر يمتارون لأنفسهم وأهليهم . وحوادث مجيئهم إلى مصر قد سجلتها التوراة وسجلتها الآثار المصرية الفرعونية .

ففى إبان حكم الأسرة الثانية عشرة ٢٠٠٠ ق . م ـ ١٧٨٥ ق . م . وفد على مصر الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم صلوات الله يمتارون لأنفسهم .

وتسجل التوراة وفادة إبراهيم : « وحدث جوع فى الأرض فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع فى الأرض كان شديداً »(١) ، وعن إسحق : « وكان فى الأرض جوع غير الجوع الذى كان فى أيام إبراهيم »(٢) . وعن يعقوب الذى «سكن فى أرض غربة أبيه فى أرض كنعان» (٣) « لما رأى يعقوب أنه يوجد قمح فى مصر قال يعقوب لبنيه إنى سمعت أنه يوجد قمح فى مصر . انزلوا إلى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا ولا نموت » (٤) .

وقد سبق أن وفد إلى مصر يوسف الصديق : « وأما يوسف فأنزل إلى مصر » (٥) فأعطاه الله نعمة فى عينى فرعون وجعله وزيراً له يدبر شئون الدولة . وفى هذه الفترة « أتى بنو إسرائيل ليشتروا بين الذين أتوا لأن الجوع كان فى أرض كنعان . وكان يوسف هو المسلط على الأرض وهو البائع لكل شعب الأرض » (٦) . « وكان الجوع شديداً فى الأرض » (٧) ، فارتحل يعقوب من أرض كنعان « وجاءوا إلى مصر يعقوب وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر » (٨) ، « وسكن إسرائيل فى أرض مصر فى أرض جاسان وتملكوا فيها

---

(١) تك ١٢ : ١٠ .
(٢) تك ٢٦ : ١ .
(٣) تك ٣٧ : ١ .
(٤) تك ٤٢ : ١ ، ٢ .
(٥) تك ٣٩ : ١ .
(٦) تك ٤٢ : ٥ ، ٦ .
(٧) تك ٤٣ : ١ ـ ١٥ .
(٨) تك ٤٦ : ٥ ـ ٧ .

وأثمروا وكثروا جداً »(١).

وصورت قوافلهم فى قبر أمير من حكام الإقليم السادس عشر « بنى حسن » وعبروا منها فى ركاب يوسف حينما حملوا جدث يعقوب ليدفنوه فى مغارة حقل المكفيلة ، وتسجل التوراة هذا الحدث بقولها : « فوقع يوسف على وجه أبيه وبكى عليه وقبله . وأمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه ، فحنط الأطباء إسرائيل ، وكمل له أربعون يوماً ، لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين ، وبكى عليه المصريون سبعين يوماً . . حمله بنوه إلى أرض كنعان ودفنوه فى مغارة حقل المكفيلة التى اشتراها إبراهيم مع الحقل ملك قبر فى عفرون الحثى أمام ممرا . . **ثم رجع يوسف الى مصر واخوته وجميع الذين صعدوا معه لدفن أبيه بعد ما دفن اباه . ولما راى اخوة يوسف ان اباهم قد مات قالوا : لعل يوسف يضطهدنا ويرد علينا الشر الذى صنعناه** ..فقال لهم يوسف : لا تخافوا . لأنه هل أنا مكان الله . أنتم قصدتم لى شرا أما الله فقصد به خيراً لكى يفعل كما اليوم ليحيى شعبا كثيرا . فالآن لا تخافوا . أنا أعولكم وأولادكم فعزاهم وطيب قلوبهم . وسكن يوسف فى مصر هو وبيت أبيه وعاش يوسف مائة وعشر... سنين ثم مات يوسف وهو ابن مائة وعشر سنين فحنطوه ووضع فى تابوت فى مصر »(٢).

والقصة تؤكد أن إسرائيل نزل مصر ضيفاً بسبب الجوع الذى كان فى الأرض وظلوا بمصر حتى رحلوا منها فى ركاب موسى عليه السلام : « فهرب موسى من وجه فرعون وسكن فى أرض مديان وجلس عند البئر »(٣) « وارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت »(٤).

---

(١) تك ٤٧ : ٢٧ .
(٢) تك ٥٠ : ١ ــ ٢٦ .
(٣) خر ٢ : ١٥ :
(٤) خر ١٢ : ٣٧ .

وقد ظل بنو إسرائيل فى ضيافة مصر حوالى ٤٣٠ سنة « وأما إقامة بنى إسرائيل التى أقاموها فى مصر فكانت أربعمائة وثلاثين سنة » (١) عاصروا فيها نهاية الأسرة الثالثة عشرة حتى عصر رعمسيس الثانى ١٢٩٨ — ١٢٣٢ ق . م . وكان رحيلهم من مصر هروبا « فسعى المصريون وراءهم وأدركوهم . جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروث أمام بعل صفون » (٢). وبالتالى فإن شبه جزيرة سيناء كانت معمورة منذ فجر التاريخ البعيد بأقوام ألفوا فيها حياة الاستقرار. ومن المرجح أن بنى إسرائيل كانوا يرعون أنعامهم فى ذلك المكان من شرق الدلتا المعروف بأرض « جاسان » المنتشرة حول مدينة رعمسيس المعروفة .

وتشتهر سيناء بمناجمها الفنية التى استغلها المصريون وطمعت فيها بابل وأشور ، وأشارت البحوث إلى أن التماثيل المصنوعة من الديورنت والتى عثر عليها فى جنوب بابل إنما قدت من صخور سيناء .

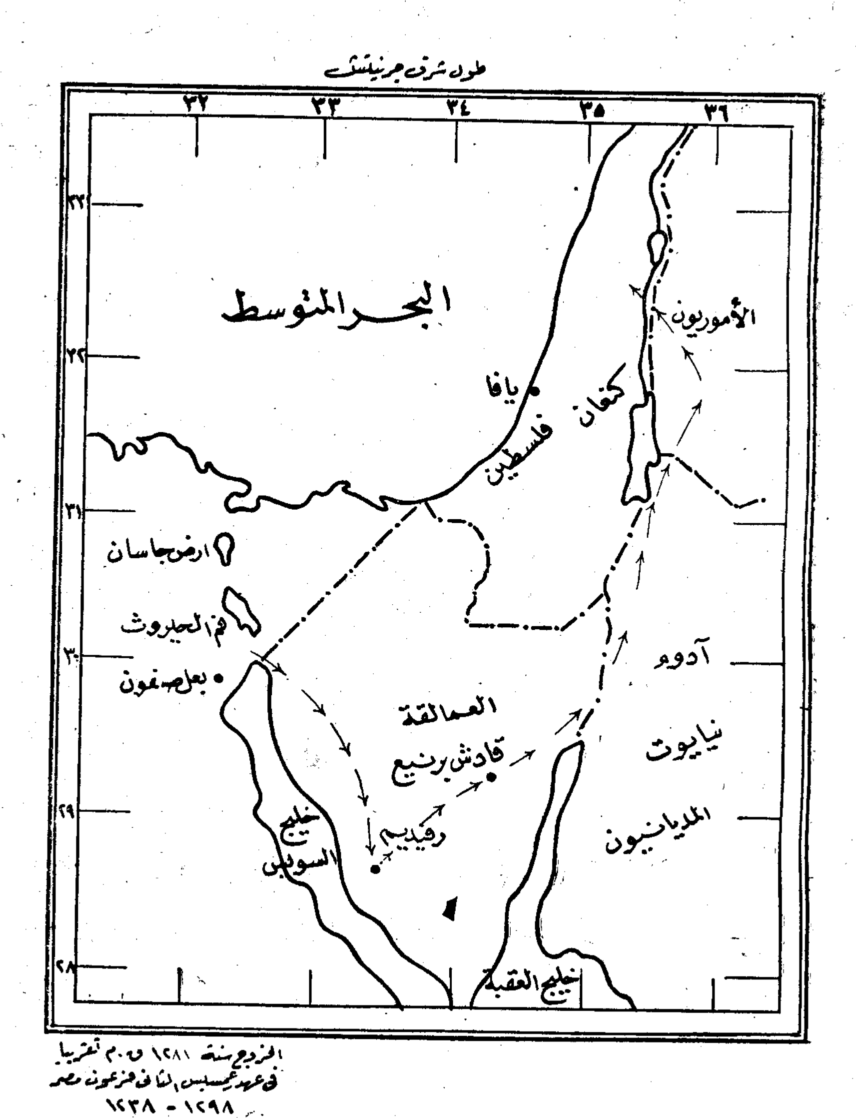
وسيناء كانت ملتقى الحضارة والعرفان فقد كانت مركزاً يلتقى فيه المصريون والبابليون والأشوريون منذ أقدم العصور، ولعل ذلك اللقاء كان له أكبر الأثر فى تشابه الحضارات المختلفة التى قامت فى كل وادى النيل ووادى ما بين النهرين (الفرات ودجلة) .

شبه جزيرة سيناء والدين :

ولعل فى اسم شبه جزيرة سيناء ، ما يشير إلى اتصالها بتلك الشعوب السامية الشرقية ، لأن اسمها فى الغالب متصل باسم إله القمر « سين » معبود الساميين

---

(١) خر ١٢ : ٤٠ .   (٢) خر ١٤ : ٩ .



الخروج سنة ١٢٨١ ق.م تقريبا
في عهد رعمسيس الثاني فرعون مصر
١٢٩٨ - ١٢٣٨

المعروف ، فهو قد عرف وقدس بهذا الاسم فى « بابل » وبلاد « ما بين النهرين » وأخيراً فى جنوب بلاد العرب .

وفى شبه جزيرة سيناء قدس المصريون معبودتهم « حاتحور » وجعلوها ربة للمناجم التى استغلوها فى صخور سيناء .

وفيها قدست الشعوب السامية وفى مقدمتها شعوب ما بين النهرين معبودهم « سين » وكان إله القمر ، وقد كان من المعبودات الشهيرة وكان معبده العظيم فى « أور »[١] وكان الملوك يفاخرون بالانتساب إليه .

ثم لعبت شبه جزيرة سيناء دورها مرة أخرى فى الحياة الدينية ، فإليها خرج موسى هاربًا من وجه فرعون[٢] وظهر له الله : « فقال الله لموسى أهيه الذى أهيه ، وقال : هكذا تقول لبنى إسرائيل أهيه أرسلنى إليكم ، وقال الله أيضًا لموسى : هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم »[٣] وبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل . وقصة ظهور الله لموسى تستحق وقفة قصيرة ، فإن موسى كان قد عرف « يهوه » ذلك المعبود الذى عرفته كنعان ، وجعلته رمزاً للهواء والبرق والرعد . فظهر له الله « وجاء إلى جبل الله حوريب وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة . فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار ، والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة ؟ فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى موسى . فقال : هأنذا . فقال : لا تقترب إلى هاهنا . اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة »[٤] .

هنالك فى مدين لقى موسى ربه الذى ناداه من جانب الطور الأيمن ثم بعث به إلى فرعون : « وهل أتاك حديث موسى . إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها

---

(١) أور : هى المدينة التى خرج منها إبراهيم طاعة وإيمانا واحتسابا لله « فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك » تكوين ١١ : ٣١ .

(٢) خروج ٢ : ١١ — ١٥ . (٣) خر ٣ : ١٤ ، ١٥ .

(٤) خر ٣ : ١ — ٥ .

نودى يا موسى . إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى »[1] .

فلما أصغى موسى إلى ربه حمله بالرسالة قائلا : « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى »[2] .

وعن طريق شبه جزيرة سيناء أخذت المعبودات المصرية طريقها إلى ربوع الشرق فقدّست « حاتحور » فى « ببلوص » وانتشرت عبادة « آمون » على ساحل فينيقيا منذ أيام الأسرة الثامنة عشرة ، ومن قبل اتصلت عبادة « أوزيريس » بوادى النيل — بوادى الأرز فى غاب لبنان . واتصلت الحياة الدينية وطقوس الجنازة عند المصريين بمحاصيل لبنان .

وعن طريق شبه جزيرة سيناء عرفت المعبودات السامية طريقها إلى مصر فدخلها « بعل » فى ركاب الهكسوس فى الفترة التى ضعفت فيها الأسرة الفرعونية من الأسرة الثالثة عشرة إلى الأسرة السابعة عشرة من ١٧٣٠ ق . م . — ١٥٨٠ ق . م .

ودخل بعضها مع أسرى الحرب من الكنعانيين مثل معبودهم « حورون » وكان يعبد على هيئة الصقر ، فساووا بينه وبين صاحب صنم « أبى الهول » القائم فى صحراء الجيزة .

وتأثر المصريون من أهل العصور المتأخرة فى تسمية معبودهم باسم « حورون » هذا الذى عكف الكنعانيون على عبادته فى مصر وحرف الاسم أخيرا إلى « بوصول » ثم إلى « بوهول » حتى وصل إلى التسمية المعروفة « أبو الهول » .

وكان الفينيقيون الذين يحلون بشبه جزيرة سيناء للراحة والاستجمام

---

(١) طه : ٩ — ١٢ .

(٢) طه : ١٣ ، ١٤ .

قد رأوا فى صخورها من الصور والرسوم الهيروغليفية ما راعهم وأعجبهم فأخذوا بها يهذبونها ويربعون إشاراتها ، حتى خرجوا من ذلك بالحروف الأبجدية التى أذاعوها فيما عرفوا من أقطار الدنيا حتى عمت العالم المعروف يومئذ من حول بحر الروم ، وظهر أثرها الخطير فى تقدم العلم وخدمة الإنسانية وستظل كذلك إلى أبد الآبدين .

شبه جزيرة سيناء والشئون السياسية :

تجرى العلاقات بين مصر وأقاليم الشرق فى طريق ودى لا تكاد تعدو أمور التجارة ، ولسنا نستبعد أن بعض المصريين كانوا يقيمون فى تلك البلاد للتجارة أزمانا تختلف طولا وقصرا ، خصوصا فى بعض مدن الساحل الفينيقى مثل « جبيل » وهى « ببلوص » . وفى حديث « سنوحى » ما يشير إلى كثرة تردد المصريين على البلاد السورية ،وظواهر الأمور كلها تدل على أن العلاقات بين مصر وجيرانها قد كانت على أحسن مايرام من الود والصفاء، وتستقر الأمور فى أيام سنوسرت الثانى ١٩٠٦ ق . م — ١٨٨٨ ق . م . وتتمتع البلاد فى أيامه بقسط وافر من الرخاء وينتشر السلام على ربوع الأرض فتأخذ بعض قبائل الشرق فى الهجرة إلى مصر رجاء الإفادة من خيرها والتمتع بما أفاء الله على أهلها من رزق ، بل يمتاز عصر «سنوسرت الثانى» بحسن العلاقات بين مصر والأقاليم الآسيوية ، وليس أدل على ذلك من تسجيل منظر الوافدين من قبائل الكنعانيين إلى مصر على صفحات قبر أمير من أمراء إقليم الوعل « بنى حسن » يدعى « خنوم حتب الثانى » (١) .

---

(١) سجلت مناظر الوفد الكنعانى على جدران قبر « خنوم حتب » حاكم إقليم الوعل وقد بلغ عدد أفرادها ٣٧ سبعة وثلاثين من ذكر وأنثى بملابسهم المزركشة ولحى رجالها المرسلة يتقدمهم «ابشاى» حاكم البلاد الأجنبية . ولعل فى اسم «ابشاى» رنيناً عبرياً مما يدل على أن القبيلة كانت من الكنعانيين ، وقد حاول المؤرخون من علماء الآثار أن يربطوا بين هذه الرسوم وقدوم إبراهيم إلى مصر ، أو مقدم يعقوب إلى مصر . ورجح Weigall =

ولعل من الطريف بهذه المناسبة أن نذكر أن بعض علماء الآثار قد ظنوا أن تلك الصور التي سجلها « خنوم حتب » المذكور تمثل مجيء يعقوب من كنعان مع آل بيته إلى مصر ، عندما جاءوا إليها في أعقاب النبي يوسف الصديق الذي اشتهرت قصته بين أحاديث التاريخ الإسرائيلي . « وأما يوسف فأنزل إلى مصر » [١] ، غير أنه ثبت بعد ذلك أن تلك الصورة لا تكاد تتفق مع ما جاء في التوراة عن وفود الإسماعيليين « وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط رجل مصري من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه إلى هناك » ، [٢] والإسرائيليين « فقام يعقوب من بئر سبع وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم في العجلات التي أرسل فرعون لحمله ، وأخذوا مواشيهم ومقتناهم الذي اقتنوا في أرض كنعان وجاءوا إلى مصر . يعقوب وكل نسله معه . بنوه وبنو بنيه معه وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر » [٣] ، سواء في أيام إبراهيم « وحدث جوع في الأرض . فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً » [٤] ، أو في أيام يوسف بن يعقوب [٥] .

= أن مجيء إبراهيم إلى مصر كان في زمان فرعون مصر امنمحات الأول ٢٠٠٠ ق . م — ١٩٧٠ ق . م . في عصر الأسرة الثانية عشرة Weigall, History of The pharaos, Vol .II.p. 40. لكن التاريخ لا يكاد يقدم برهانا ثابتا على صحة ما ذهب اليه Weigall حتى يتبين أن « امرافيل » الذي حاربه إبراهيم من أجل ابن أخيه لوط « تكوين ١٤ : ١ — ١٦ » قد كان في أيام « حورابي » البابلي الذي عاش حوالي ١٩٤٠ ق . م . مما يحتمل أن مجيء إبراهيم إلى مصر في أيام سنوسرت الأول ١٩٧٠ ق . م . — ١٩٣٦ ق . م .
Smith Sidny : The Early history of Assyria p.p. 70 — 71 .

(١) تكوين ٣٩ : ١ .
(٢) تك ٣٩ : ١ .
(٣) تك ٤٦ : ٥ — ٧ .
(٤) تك ١٢ : ١٠ .
(٥) تك ٤٦ : ٥ — ٧ .

شبه جزيرة سيناء والمعارك الحربية :

ولم تقتصر أهمية سيناء على ما قدمنا ، بل لعبت دورا هاما فى تاريخ الحرب فى مختلف الأزمنة ، فهى قد شهدت إغارات البدو على حدود مصر الشرقية ، وشهدت بعثات فرعون العسكرية منذ أيام الأسرات الأولى لضرب أولئك البدو من أهل شبه الجزيرة وما حولها . ولما تقدمت الأيام بمصر واتسعت آفاق فرعون السياسية جعل المصريون من شبه جزيرة سيناء مرقبا يحرسون عنده حـــدود الوادى ويذودون عن حياضه ويدبرون أمر تأمينها من شر المغيرين .

ولم تـكد حرب الاستقلال على يد « أعح موسى » أحمس الأول تنتهى إلى ما انتهت إليه من طرد الهـكسوس وزوال سلطانهم من عالم الوجود حتى نهضت مصر نهضتها المعروفة أيام الأسرة «الثامنة عشر» ١٥٨٠ — ١٤٥٠ق.م. ويمتاز من فراعنة هذه الأسرة « أعح موسى » ١٥٨٠ — ١٥٥٨ ق . م ، « وجحوتى مس » الثالث ١٥٠٤ — ١٤٥٠ ق . م . ولبعض الملوك من أمثال تحتمس الأول والثالث ، وأمينوفيس الثانى فى ميادين الشرق صولات وجولات .

ولقد وضح الميثاق « أن الجمهورية العربية المتحدة ، بالتاريخ وبالواقع ، هى الدولة العربية الوحيدة فى الظروف الحالية ، التى تستطيع تحمل مسئولية بناء جيش وطنى يكون بمثابة القوة الرادعة للخطط العدوانيـــة الاستعمارية الصهيونية » .

ففى عهد تحتمس الثالث فرعون مصر — وكأن التاريخ يعيد نفسه — يتبين لنا أن أحوال الشرق كانت مفكـكة وكانت نيران الفتنة يندلع لهيبها فى كل

الأقاليم حتى غمرتها الاضطرابات وزلزلت من حولها الأرض. ولم يكن لأصحابها يومئذ من زعيم تجتمع عليه قلوبهم أو ينتهى إليه أمرهم ، وإنما ابتلاهم الزمن بالانقسام والفرقة حتى اختل ميزان الأمور ، وغمرتهم أمواج الفتن فضلوا الطريق ، وجعلتهم السياسة الهوجاء أحزابا مختلفة ، فكنت ترى فى كل بقعة من بقاع الشرق العربى انقساماً بين أمراء الشرق ، قد شجبت الفتنة زعامتهم وغدا الناس يومئذ لا يبالون بحجة العقل أو وحى الضمير فما يعرفون للتفاهم لغة غير لغة الحرب ، فباتوا يتكلمون بألسنة السيوف والحراب وباتت المنايا تتربص بالناس .

وإذا تحتمس الثالث ينطلق بين نيران الفتن والحروب فيبلغ زعامته عن طريق الجهاد المتتابع والسهر المتصل ، واستطاع بعد جهود جبارة أن يجعل من أولئك الجفاة المشتتين فى أقاليم الشرق ومدائنه وقراه عصبة ووحدة متماسكة الأجزاء متساندة القوى لا ينازعها فى حوض البحر من الجنوب منازع .

ومع ذلك فلم يكن تحتمس الثالث قائدا مستبداً برأيه ، وإنما أثبت للتاريخ أنه كان صاحب مشورة ، لم يشأ أن يسلك طريقه إلى « مجدو » إلا بعد أن شاور أمراء جنده ، ولم يبعث بعساكره إلى ميادين الحرب يصلون نارها من دونه أو يقذف بهم فى الصحراء ، وشعاب الجبال ، وأوديتها الموحشة الوعرة ليستمرىء وحده ظل النعمة ، ولم يكن همه أن يبعث بجنوده إلى أقاليم الأرض ليكسب النصر ويغنم السلامة ، ويظل وحده فى حصنه . وإنما كان يخرج فى الطليعة ويطلق باكورة السهام ، ويعرض صدره لنبال العدو ، ويعير القدر جمجمته مؤمنا بالفوز ، واثقاً من النصر فى إبانه ، ولم تكن المغامرة وحدها هى التى هيأت له كل ذلك ، ومهدت له طريق الزعامة ، ولكنها الرجولة الكاملة والخلق العظيم ، والعبقرية النادرة ، والشخصية القوية . كانت حروبه متصلة

وكان يغامر رغم سنه المتقدمة ، وفى ذلك ما يدل على طبيعة عجيبة قل أن توجد فى الرجال وشجاعة فائقة قل أن تحلى بمثلها ملوك الدهر . لكأنما يحرص على الموت فتوهب له الحياة .

ومصر التى أنجبت تحتمس الثالث هى هى منذ القدم واليوم وإلى الأبد ستظل رائدة التحرير وأمل الشعوب الآسيوية الأفريقية .

شبه جزيرة سيناء والدول التى تعاقبت عليها :

ولما حكم البطالمة مصر بعد وفاة الإسكندر المقدونى كانت نظرتهم إلى الشرق أشبه بنظرة الفراعنة إليه فى أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد .

وطوت الأيام دولة البطالمة ثم أكلت من ورائه سلطان الرومان . وفى القرن السابع الميلادى بزغ الإسلام وتلألأ بروعته فى سماء الوجود فساق المسلمون جيوشهم إلى مصر فدخلوها عبر سيناء عند منتصف القرن السابع الميلادى .

وظلت شبه جزيرة سيناء ، تشهد حركات الجيوش من وراء ذلك ، أيام الحروب الصليبية ، وعلى عهد دولة المماليك ، وفى زمن دولة الأتراك العثمانيين ثم ملحمة الفرنسيين عند أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، حينما حاول نابليون بونابرت أن يبعث إمبراطورية فرعون تحت راية فرنسا فساق جيوشه إلى الشام عبر سيناء ، وتنكرت الأيام للفرنسيين فى الشرق الأوسط ، إذ تصدى لهم جندى ألبانى ، وما استوى على عرش مصر حتى رمى ببصره نحو الشرق ، إنه محمد على والى مصر الذى نشر الجند فوق رمال سيناء يسوقهم من نصر على الوهابيين فى شبه جزيرة العرب إلى نصر على الإمبراطورية العثمانية والاستيلاء على ولاياتها بالشام ، ويظل جيشه المتمرد على السلطان يتقدم حتى يدرك بلاد الأناضول .

ثم تستقر به الحال ويمنح مصر وراثة لأبنائه بالتتابع ، ويأتى حكام ضعاف ،

وتتحرك المطامع الاستعمارية الفرنسية بكسب حقوق وامتيازات حفر قناة السويس، وتتأهب إنجلترا للتربص بالفرنسيين وتطمع فى الاستحواذ على مصر، وتجعل من قبرص نقطة انطلاق لوادى النيل حتى كان لها ماأرادت من السيطرة على مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

شبه جزيرة سيناء ودير سانت كاترين :

لم يكن هذا الدير يحمل اسم « سانت كاترين » عندما أنشىء ، وإنما كان يعرف باسم « دير السيدة العذراء » ولم يطلق عليه اسمه الحالى إلا فى القرن التاسع الميلادى .

والقديسة كاترين هى شهيدة من شهداء المسيحية [١] .

استراتيجية دير سانت كاترين :

وما أكثر ما اتجهت أنظار العالم إلى جبل سيناء حيث هذا الدير بتاريخه الطويل الذى يرجع إلى ٥٤٥ م ، وآثاره الفنية والمعمارية البيزنطية ، ومكتبته التى تضم إنجيلا من أقدم الأناجيل الأربعة المعروفة ، وكنيسته الكبرى ، والمسجد الصغير المقام فيه .

وما أكثر ما اهتمت جامعات العالم ومنها جامعة الإسكندرية ، وجامعتا ميتشجان وبرنستون الأمريكيتان وجامعة أكسفورد البريطانية ، بدراسة هذا الأثر الحى من آثار المسيحية الأولى .

وترجع أهميته إلى وقوعه فى المكان الذى كلم الله فيه نبيه موسى .

وما أكثر ما زحفت إليه البعثات العلمية ووفود السياح عابرين ما يزيد على ٤٤٠ كيلو مترا من القاهرة إلى جنوب صحراء سيناء ، عند نقطة تقع شمال

---

(١) القديسة كاترين لها قصة بطولية فى الإيمان بالله ومدى استمساكها به حتى الاستشهاد قد وردت فى كتاب السنكسار وكتب التاريخ الكنسية .

البحر الأحمر تماما بين خليج العقبة شرقا وخليج السويس غربا ، تحدها سلسلة من الجبال التى يبلغ ارتفاع بعضها نحو ٥٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، وتتفاوت درجة الحرارة فيها بين ٣٢ ، ٢٧ درجة مئوية .

ويصعد الإنسان إلى الدير بنحو ثلاثة آلاف درجة نحتها الرهبان على مر العصور فى الجبل ، ليصل بعد هذا كله إلى منطقة غنية بالماء والزرع .

لقد بنى هذا الدير — على الأرجح — الإمبراطور الرومانى جوستنيان ٥٢٧ — ٥٦٥ ليكون ملجأ للرهبان الهاربين بعقيدتهم من بطش الأباطرة والحكام ، والراغبين فى الانقطاع والوحدة . والإمبراطور جوستنيان من ألمع أباطرة الدولة الرومانية ، ومن أكثرهم جرأة وحبا للفنون المعمارية .

وقد أقيم الدير على شكل قلعة منيعة حصينة ليصد غزو قبائل البدو ، يحيط به سور شبه مربع الشكل إذ تبلغ أطوال أضلاعه ١١٧ × ٨٠ × ٧٠ × ٧٦ مترا ويتراوح ارتفاعه بين ١٢ ، ١٥ مترا ويبلغ سمكه مترين وخمسة وعشرين سنتيمترا ، والسور مبنى بأحجار الجرانيت المقطوعة من محاجر قريبة ، وفى أعلاه أبراج بها مدافع أثرية قديمة يقال إنها وضعت فى عهد السلطان العثمانى سليم الأول . وكانت للسور بوابة عريضة لكنها استبدل بها ثلاثة أبواب ضيقة لحماية الدير من الغارات الخارجية .

ويضم الدير كنيسة كبرى هى كنيسة «الخلاص» وهى مبنية بالجرانيت ، وكنيسة صغرى ، وعددا من الكنائس الصغيرة ، وهى ذات نقوش تاريخية — دينية بالفسيفساء .

وفى داخل الدير مسجد صغير يقع غربى الكنيسة وهو مبنى بالطوب ومن أهم ما فيه من آثار مقعد ومنبر . وعلى المقعد نقش اسم بانى المسجد وهو على بن الأفضل وزير « الحاكم بأمر الله » الخليفة الفاطمى السابع .

وفى الدير مكتبة تاريخية تضم ما يقرب من ثلاثة آلاف كتاب ، بخلاف المخطوطات التاريخية القيمة التى يرجع تاريخها إلى نحو ١٥٠٠ سنة مضت ، وهى بالعربية والصينية والقبطية واللاتينية ، كما تضم الكثير من الكتب الدينية الموشاة بالذهب والفضة .

وفى الدير عدد كبير من الأيقونات يقدر بنحو ٥ آلاف أيقونة ، وهى أكبر مجموعة من الأيقونات الموجودة حتى الآن . ومعظمها أيقونات من رسم فنانين من الروس .

ويتجلى فيها فن المدرسة البيزنطية وتطوره ، كما لا يتجلى فى أية آثار أخرى . وقد نجت هذه الأيقونات من التدمير بما يشبه المعجزة . ففى نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع تقريبا وقع نزاع حول مسألة الأيقونات فى المسيحية ، فأصدر الإمبراطور أمراً بتدمير جميع هذه الآثار الدينية .

وبالصدفة الجغرافية كان دير سانت كاترين يقع فى أرض إسلامية لا تمتد سلطة الإمبراطور إليها . . وكان الرهبان فى الدير على علاقة طيبة بالحكام المسلمين ، ومن هنا استطاعوا أن يتجاهلوا الأمر المتعلق بتدمير مجموعتهم من الأيقونات ، التى هى اليوم موضع الدراسة العلمية فى جامعة الإسكندرية وجامعات العالم الأخرى .

القيمة السياسية لدير سانت كاترين بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة :

هذه هى ثروتنا الدينية لأبناء الأمة المسيحيين الذين قال الله عنهم : «ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » (١) .

---

(١) المائدة : ٨٢ .

بل إن هذا التراث الدينى الخالد قد يأتى بالمعجزات إذا استطعنا تقويمه تقويماً علميا فتتوثق عرى المودة بين الشرق والغرب. وفى الفترة من ٢٤ سبتمبر « أيلول » ١٩٦٦ احتفل دير سانت كاترين ، فى جبل سيناء ، بمرور ١٤ قرنا على إنشائه ، وأقيم قداس دينى كبير برئاسة الأسقف مكاريوس ، رئيس جمهورية قبرص ، حضره الملك قسطنطين ، ملك اليونان ، والمطارنة والأساقفة الذين جاءوا للمشاركة فى هذه الاحتفالات ممثلين لكنائس الروم الأرثوذكس فى جميع أنحاء العالم . وقام الملك قسطنطين والأسقف مكاريوس بزيارة معالم الدير الأثرية ومنها المذبح الذى أقامته الملكة هيلانة والكنيسة المسماة كنيسة العليقة المشتعلة — أو كما تسمى معبد العليقة المشتعلة — وهذا المعبد بنته الملكة هيلانة سنة ٣٣٢ ميلادية فى المكان نفسه الذى سمع فيه النبى موسى صوت ربه يكلمه ، يوم رأى شجرة ملتهبة تصعد منها النار .. أى أن المعبد بنى قبل دير سانت كاترين بـ ٢١٣ سنة . وشجرة العليقة الملتهبة التى رآها موسى فوق الجبل والتى نقلها الرهبان على بعد ثلاثة أمتار خلف المعبد حتى لا تموت من شجر التوت ، وهى لا تثمر أبدا ولم يصل بعد خبراء النبات إلى معرفة أصلها رغم الأبحاث التى أجريت عنها . ولا تزال الشجرة موجودة حتى اليوم وبجوارها شجرة النبى هارون التى نبتت فى عصاه التى زرعها فى هذه المنطقة فتحولت إلى شجرة وارفة الظل . ويقول الرهبان إن شجرة موسى كلما مالت إلى الكبر أخذنا منها فرعا وزرعناه فى المكان نفسه . . . وهكذا أمكن الإبقاء عليها أكثر من ثلاثة آلاف سنة منذ أن رأى النبى موسى هذه الشجرة والنيران مشتعلة فيها .

وأمام معبد العليقة لا تزال بئر موسى التى شرب منها يوم وصل إلى سيناء ويستعملها الدير فى كافة لوازمـــه . والقصة وردت فى التوراة ويحكيها

الرهبان أنه عندما وصل النبى موسى إلى البئرهاربا من مطاردة فرعون وجد جماعة من الشبان يعاكسون فتاتين ترعيان الغنم فطرد موسى الشبان ومكن الفتاتين من أن تسقيا الغنم وتعودا بسرعة إلى دارهما . . وفى الدار حكت « صفورة » لأبيها — وكان كاهن المنطقة — ما حدث فطلب إليها أن تدعو الغريب إلى الدار فذهب وتزوج موسى « صفورة » وعاش هناك ٤٠ عاما مع زوجته قبل أن يكلمه ربه ويطلب إليه العودة إلى مصر (١) .

شبه جزيرة سيناء وقناة السويس :

ترجع فكرة اتصال البحرين المتوسط والأحمر إلى أيام قدماء المصريين ، إذ قام بعض ملوكهم بحفر قناة توصل النيل بالبحر الأحمر ، فكانت السفن تسيرأولا من البحر المتوسط فى فرع النيل حتى تصل إلى مدينة منف ، ثم تسير فى تلك القناة حتى البحر الأحمر ، وبالعكس ، وكثيرا ما ردمت الرمال تلك القناة ، فكان الفراعنة يجددون حفرها وتطهيرها .

وقد جددها البطالمة ، واستخدمها العرب وأطلقوا عليها اسم خليج أمير المؤمنين ، ثم ردمت بعد ذلك .

ولما غزا الفرنسيون مصر سنة ١٧٩٨ م اهتموا بدراسة مشروع حفر قناة توصل بين البحرين المتوسط والأحمر ، ولكن البحوث التى أجريت يومئذ انتهت إلى أن مستوى مياه البحر الأبيض المتوسط أعلى من مستوى البحر الأحمر .

---

(١) انظر ما جاء فى سفر الخروج ٢ : ١١ — ٢٥ . كذلك وردت القصة فى القرآن الكريم انظر سورة القصص الآيات ٢٣ — ٢٥ .

ولم ينثن مهندسو الفرنسيين عن دراسة المشروع حتى أثبتت بحوث جديدة إمكان حفر القناة ، وعرضوا المشروع على محمد على الوالى العثمانى على مصر وقتئذ ، إلا أنه خشى أن تكون القناة سببا من أسباب مطامع الاستعمار فى مصر التى يعتبرها ملكا له وميراثا لأولاده من بعده ، وبناء على هذه الهواجس رفض تنفيذ المشروع .

وظل مهندسو الفرنسيين يتربصون للوقت المناسب حتى كان حكم سعيد سنة ١٨٥٤ فانتهز « فرديناند ديلسبس » صداقته لسعيد باشا وعرض عليه المشروع عرضا فيه إغراء ، مبينا له الفوائد التى ستعود على مصر منه . فوافق سعيد وأعطاه إذنا بالحفر بشروط مجحفة للحقوق المصرية منها :

١ — أن تكون مدة استغلال الشركة للقناة ٩٩ سنة تصير بعدها القناة ملكا للحكومة المصرية .

٢ — أن تلتزم مصر بتقديم ٤/٥ العمال اللازمين للحفر بالسخرة .

٣ — أن يكون نصيب مصر ١٥٪ من صافى الأرباح .

٤ — أن يعفى ما تستورده الشركة من معدات وأدوات من الرسوم الجمركية .

٥ — أن تحفر ترعة عذبة تروى ما تمر به من أراض نظير أجر معين .

ويتضح وضوحا بينا من هذه الشروط مدى الظلم الفادح الذى وقع على مصر بسبب غفلة وبلاهة سعيد باشا الوالى العثمانى على مصر وضياع حقوق مصر منها :

١ — طول المدة حوالى قرن من الزمان فى استغلال القناة .

٢ — استخدام السخرة لتقديم ٤/٥ العمال المطلوبين للحفر .

٣ — ضآلة نصيب مصر من الأرباح نظير استغلال القناة للملاحة .

٤ — ضياع رسوم جمركية على ما تستورده الشركة على الدولة .

٥ — التحكم فى أصحاب الأراضى التى تمر بها الترعة العذبة .

تنفيذ مشروع قناة السويس وتحرك المطامع الامبريالية :

عارضت إنجلترا مشروع القناة ، إذ وجدت فيه خطراً يهدد مصالحها فى الهند والشرق ، ولذا طلبت من السلطان التركى عدم الموافقة ، ولكن ديلسبس تغلب على كافة الصعوبات ، بفضل مساعدة فرنسا ، ووافق السلطان التركى ، وتم حفر القناة بأيدى المصريين الذين سخروا لتنفيذ هذا المشروع بالقوة بدون أجر ، ومات عدد كبير منهم .

ثم فتح باب المساهمة فى شركة قناة السويس فأقبل الفرنسيون على شراء أسهمها ، واشترى سعيد باشا ما تبقى دون بيع .

ولما مات سعيد باشا سنة ١٨٦٣ ، وتولى إسماعيل ، عادت إنجلترا فأوعزت لتركيا بإثارة الموضوع وبيان ما أصاب مصر من ظلم ، ولذلك اعترض إسماعيل على الشروط القديمة وطلب تعديلها فعدلت مقابل دفع مصر مبلغ ٣٫٣٦٠٫٠٠٠ جنيه تعويضا للشركة ، وواصلت الشركة عملها ، وفى نوفمبر سنة ١٨٦٩ افتتحت قناة السويس للملاحة ، فى احتفال عظيم حضره ملوك أوربا وعظماؤها ، وأنفق فيه الخديو إسماعيل ما يزيد عن مليون جنيه . ولما ساءت الحالة المالية ، بسبب الإسراف ، باع إسماعيل نصيب مصر فى الأسهم لإنجلترا ، وبذلك أصبحت لإنجلترا مصلحة مباشرة فى القناة فأخذت تتدخل فى شئون مصر حتى احتلتها سنة ١٨٨٢ .

وظلت الشركة تستغل القناة دون أن تفيد مصر منها فائدة تذكر، وكانت إنجلترا تتخذ منها سببا لاستمرار احتلالها لمصر، ولم تتنازل عن وضع قوات لحمايتها إلا بعد قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وعقد معاهدة الجلاء سنة ١٩٥٤ .

التدخل الأجنبي :

حكم خلفاء محمد على مصر حكما استبداديا، وأنفقوا أموالها فيما لم يعد على البلاد بفائدة تذكر، واستدانوا من الأجانب عشرات الملايين من الجنيهات، مما أدى إلى التدخل الأجنبي فى مصر بحجة المحافظة على أموالهم، وسرعان ما تحول هذا التدخل المالى إلى تدخل سياسى فى شئون البلاد .

القناة . . والثورة . . والعدوان الثلاثى :

أدرك الرئيس جمال عبد الناصر أهمية قناة السويس وما سيعود على مصر من الناحية المالية والاقتصادية والسياسية والعسكرية إذا صارت القناة لمصر وحدها . ولذلك أعلن فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ تأميم قناة السويس وكانت الإرادة القوية والتصميم على استرداد أملاك الدولة للدولة ، مما مكن هيئة قناة السويس المنبثقة من الثورة من إدخال تحسينات بالقناة من توسيع ضفتيها وتعميق قاعها حتى كان ذلك من أسباب زيادة الدخل . ومصر التى تقف من الحقوق الإنسانية موقف العدالة والرحمة قد تعهدت للدول المساهمة فى شركة قناة السويس المنحلة بأن تدفع لهم ثمن أسهمهم . وباشرت مصر سيادتها واستغلالها للمرفق كمورد مالى يغذى المشروعات الصناعية الكبرى كالسد العالى جنوبى أسوان .

لكن تأميم القناة أغضب الاستعمار مما جعل إنجلترا وفرنسا تخططان مع إسرائيل لعدوان انتقامى على مصر . وخلال سبتمبر وأكتوبر عام ١٩٥٦ قامت إسرائيل بعملية تمويه هدفت من ورائها إلى تحويل الأنظار عن استعداداتها للقيام بهجوم كبير فشنت أربع غارات « انتقامية » عبر الحدود ،

ووقعت أكبر غارة من هذه الغارات المسلحة فى العاشر من أكتوبر على ق
فى المملكة الأردنية ، حيث أحصى مراقبو هيئة الأمم فيما بعد ٤٨ قتيلا عربيا

وكانت تعبئة إسرائيل العسكرية قد أمست على نطاق واسع إلى درجة لم
يعد فى الإمكان إبقاؤها طى الكتمان فما كان من الرئيس أيزنهاور إلا أن
وجه تحذيرا قويا إلى رئيس وزراء إسرائيل ، بن جوريون ، ووعد بتقديم
المساعدة إلى ضحية العدوان فى الشرق الأوسط كائنا ما كان الضحية .

وأجاب أبا إيبان على هذا التحذير بقوله : « إن إسرائيل لن تبدأ أية
حرب »، وفى اليوم التالى(١) لتصريح سفير إسرائيل فى الولايات المتحدة قامت
إسرائيل بغزو شبه جزيرة سيناء بحجة أنها حرب وقائية لصد هجوم منتظر
تقوم به مصر .

لقد قذفت إسرائيل بقوات تتألف من ٣٠ ألف رجل مزودين بالمصفحات ،
وسيارات الجيب ، يحميهم غطاء جوى من قاذفات القنابل ميستير ، فعبرت هذه
القوات شبه جزيرة سيناء كلها واتخذت سبيلها إلى قناة السويس مباشرة .

انجلترا وفرنسا تدخلان المعركة لمساندة اسرائيل :

وفى ٣١ أكتوبر عند الفجر ، بدأت إنجلترا وفرنسا بجيش يبلغ عدد
أفراده خمسين ألف رجل(٢) غزو مصر جوا وبحرا : بالطائرات ورجال
المظلات ، والأساطيل البحرية والقوات البرية التى كانت قد حشدت سرا على
قدم الاستعداد فى جزيرة قبرص .

وفى فترة قصيرة استولت إسرائيل على قطاع غزة ، وعلى شبه جزيرة

---

(١) ١٩٥٦/١٠/٢٩ .   (٢) نقلا عن مجلة تايم الصادرة فى ١٩٥٦/١١/٢٠

سيناء بكاملها . وكعادتها بعد كل هجوم صاعق كانت تقوم به على ناحية من نواحى خط الهدنة واستيلائها على كسب إقليمى ما ، وافقت إسرائيل على طلب هيئة الأمم المتحدة القاضى بوقف إطلاق النار ، متجنبة بذلك انتقام المصريين .

وبعد أن أتمت بريطانيا وفرنسا تحطيمهما للمطارات المصرية واستيلاءهما على الجزء الشمالى من قناة السويس وافقتا أيضا على وقف إطلاق النار .

وكان وضع مصر الدال على عدم الاستعداد قد كشف أوضح ما يكون الكشف أنها لم تكن تدبر أى هجوم وشيك أو منتظر ضد إسرائيل .

صلافة اسرائيل ووقاحتها والانسجام التام بين الجلفاء :

وأعلن رئيس وزراء إسرائيل « بن جوريون » أن خطوط الهدنة المرسومة عام ١٩٤٩ قد أمست « ميتة » وادعى ملكية إسرائيل لشبه جزيرة سيناء كلها البالغة مساحتها الواسعة ٢٣ ألف ميل مربع .

وطلب رئيس الوزارة البريطانية « إيدن » — لكيلا تتفوق عليه دولة صغيرة مثل إسرائيل — أن تتراجع مصر مائة ميل عن حدودها المصرية — الإسرائيلية ، وأن تترك حماية قناة السويس لبريطانيا وفرنسا .

امريكا وروسيا فى المعركة :

ولكن سرعان ما تلقى ذلك الانسجام — فى تعاقب سريع — ضربتين قاضيتين ، وكانت الضربه الأولى مروعة حقا فقد وجهت روسيا إنذارا صريحا إلى بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بضرورة الانسحاب فى الحال من مصر وإلا فإنها سترسل جيشا متطوعا لنجدة مصر [١] ، وأيدت الصين الشعبية روسيا فى موقفها بأنها ستسمح لـ ٢٥٠ ألف متطوع لنجدة مصر .

---

(١) نقلا عن مجلة تايم فى ١٢/١١/١٩٥٦ .

أما الضربة الثانية فعلى الرغم من أنها كانت أخف ، فقد كانت أحفل بالخزى والعار .

لقد كان موعد الهجوم قد اختير فى براعة ، بحيث يقع قبيل انتخابات الرئاسة الأمريكية مباشرة فى نوفمبر سنة ١٩٥٦ .

وكانت نظرة إيدن تذهب إلى أن الرئيس أيزنهاور سوف يلتزم الصمت تجاه عدوان إسرائيل ، خشية أن يخسر أصوات اليهود الأمريكيين فى الانتخابات ، وأنه سوف يواصل التزام الصمت تجاه العدوان البريطانى الفرنسى خشية أن يخسر حلفاءه فى حلف الأطلسى « الناتو » .

ولكن إيدن أخطأ فى تقديره هذا ، ذلك أن الرئيس أيزنهاور لم يسارع فى غير ما تردد ، وقبل الانتخابات ، إلى إدانة إسرائيل فحسب ، بل سارع إلى إدانة بريطانيا وفرنسا أيضا وأوضح بما لا يحتمل اللبس أن تزويد الولايات المتحدة لدول حلف الأطلسى بالأسلحة والبترول لم يكن يقصد به المساعدة على العدوان فى الشرق الأوسط .

وكان أيزنهاور صريحا إلى أبعد الحدود أيضا ، فى تحذير روسيا من التدخل . وإنما كان ذلك وليد الخوف الذى سيطر على أمريكا وعلى تفكير كل من أعضاء الوفود الدولية من تدخل روسيا فى الشرق الأوسط ، حتى أن هيئة الأمم المتحدة أصدرت أوامرها إلى المعتدين الثلاثة بالانسحاب من مصر فى الحال .

وهناك عامل ثالث لم يحسب له المتآمرون حسابا ذلك هو قوة العرب بقيادة الرئيس المفدى جمال عبد الناصر ، فقد وقفوا جميعا وقفة قوية أجبرت إيدن

على التخاذل والانسحاب، وحين أصرت الولايات المتحدة فى طلبها إلى إسرائيل أن تنسحب من سيناء ، وعندما اضطرت إسرائيل آخر الأمر ، على كره منها إلى قبول ذلك ، طلبت جولدا مايير وزيرة خارجية إسرائيل أن تنتزع سيناء من مصر ، وأن تجعل منطقة محايدة .

العدو يلتزم بمخططاته ويتابعها :

إن إسرائيل تستند على زعم روحى فى حقها فى منطقة من نهر الفرات إلى نهر النيل قد وعد الله بها إبراهيم عليه السلام إذ جاء فى التوراة « أن الله قطع مع أبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »[1] .

ومن هذا الميثاق نظموا نشيداً وطنيا تتناقله الأجيال وهو :

نعود للوطن
وطننا إسرائيل
إنه الآن صغير
ولكنه سيكبر ويتوسع
وسنبنيه بأيدينا هذه
من النيل إلى الفرات

ولهذا فإن تعبئة إسرائيل للعدوان على الدول العربية إنما هى تعبئة روحية دينية وعلمية ذات مخطط على مستوى دولى .

ونحن العرب المعتدى علينا والمفترى علينا ، وبلادنا فلسطين السليبة ، معنا البرهان الساطع والدليل القاطع أن وعد الله لإبراهيم إنما هو لنا والأرض

(١) تك ١٥ : ١٨ — ٢١ .

الموعودة هى لنا : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين »[1]. ويؤكد ذلك تتابع الرسالات السماوية تحقيقاً لقوله: « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » ، فأتبعت اليهودية بالنصرانية ، وانتهى المطاف بالإسلام دين الله الحنيف ، وساد الإسلام سيادة روحية وسياسية على الشرق من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى . وتكفل الله الأمة الإسلامية — مهما عانت من هزيمة — بالنصر « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » فصبراً والنصر قريب للأمة العربية . وجاءت سنة ١٩٦٧ لتكشف أن أمريكا تقف وراء إسرائيل على طول الخط ولا ترى غير وجهة النظر الإسرائيلية حتى وإن كانت بالعدوان على الدول العربية .

فقد قدمت واشنطن عن طريق سفيرها فى مصر « ريتشارد فولتى » ظهر يوم الثلاثاء ١٩٦٧/٥/٢٣ إلى وزارة الخارجية رأيها فى المواقف العدوانية لإسرائيل على العرب ، متمثلا فى خمس نقط على النحو التالى وبالحرف :

« ١ ـ أن الولايات المتحدة الأمريكية ترى أن تظل قوات الطوارىء الدولية فى غزة وشرم الشيخ لحين صدور قرار من الجمعية العامة .

٢ ـ ألا تتوجه أية قوات مسلحة إلى شرم الشيخ إلا بعد أن تصدر حكومة الجمهورية العربية المتحدة إعلانا رسمياً بتأكيد حرية الملاحة فى مضايق تيران ـ مدخل خليج العقبة ـ بدون أية قيود ، مع ملاحظة أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر أن أى قيد على حرية الملاحة فى الخليج أمر له عواقبه البعيدة وهو يشكل عملا عدوانيا .

٣ ـ ألا تدخل إلى قطاع غزة أية قوات مسلحة مصرية .

---

(١) آل عمران : ٦٨ .

٤ ـ أن تظل الأمم المتحدة ووكالاتها مسئولة عن الإدارة فى قطاع غزة حتى تتم تسوية المشكلة .

٥ ـ أن الحشد العسكرى المصرى الذى يجرى فى سيناء الآن خطير وأن حل الموقف هو أن تعود القوات المصرية فى سيناء ، والقوات الإسرائيلية المحتشدة أمامها فى النقب إلى مواقعها الأصلية»(١) .

* * *

ورفضت مصر هذه المذكرة الشفهية بالرد التالى :

١ ـ أن الجمهورية العربية المتحدة تعتبر أن الولايات المتحدة منحازة انحيازاً كاملا لإسرائيل وضد العرب .

٢ ـ أن الجمهورية العربية المتحدة تقرر لنفسها سياستها وتنفذ خطاها دون أى اعتبار إلا لمبادئها .

٣ ـ أن الجمهورية العربية المتحدة تؤمن بالسلام وتعتقد أن السلام لا يقوم إلا على الحقوق الثابتة ، وأما السلام الذى تتحدث عنه الولايات المتحدة فهو مجرد ضمان أمن لإسرائيل ، والأمر الواقع الذى تحاول فرضه بالعدوان»(٢) .

عدوان اسرائيل على مصر بسبب ممارسة مصر لسيادتها :

ما إن اتخذت الجمهورية العربية المتحدة قرارها بإغلاق خليج العقبة فى ٢٣/٥/١٩٦٧ وفقاً لحقوق السيادة حتى جن جنون إسرائيل تساندها مساندة سافرة

---

(١) الأهرام ٢٦/٥/١٩٦٧ .
(٢) الأهرام ٢٤/٥/١٩٦٧ .

الولايات المتحدة وبدأ العدو الإسرائيلى هجومه الشامل صباح ١٩٦٧/٦/٥ وقد أثبتت التقارير العسكرية أن الطيارين كانوا يحتفظون بخرائط عن مواقعنا فى غاية الدقة صورت بالقمر الصناعى وصورت عليها كافة الأهداف والإمكانيات الدفاعية من قواعد الصواريخ ومداها ، ولعل فى إدراك إسرائيل للأسرار العسكرية العربية السبب فى توقيت الهجوم ، حتى أن الطائرات الإسرائيلية قد نجحت فى تحطيم ثمانى محطات للقيادة العربية ، وبذلك أصبح الطيران المصرى بدون مراكز للتوجيه ، فالطائرات المقاتلة تأخذ خط سيرها وهدفها من غرفة العمليات حول الهدف الذى تقصده ومن خلالها يمكن توجيه الضربة القاضية .

وفى ساعات قليلة رجحت الكفة لإسرائيل وأخذت وحدات الاتصال الإسرائيلية ، والتى قذفت بالمظلات خلف الخطوط المصرية ، فى شل حركة القوات العربية وأخذت تصدر الأوامر منتحلة صوت القيادة المصرية .

مجلس الأمن وقرار وقف اطلاق النار :

وفى ١٩٦٧/٦/٦ أصدر مجلس الأمن قراراً بدعوة جميع دول الشرق الأوسط المشتبكة فى الحرب أن توقف إطلاق النار فوراً .

موقف روسيا من الاعتداء الاسرائيلى :

وتحدث نيكولاى فيدرونكو مندوب الاتحاد السوفيتى أمام مجلس الأمن فى ١٩٦٧/٦/٨ فطالب بإدانة إسرائيل لاعتداءاتها العسكرية المتكررة ، ودعا إلى أن يصاحب وقف القتال انسحاب القوات إلى ما وراء خطوط الهدنة التى أنشئت سنة ١٩٤٩ .

التواطؤ الامريكى البريطانى مع اسرائيل :

« صرح السناتور الأمريكى كليفورد كيس عضو لجنة العلاقات الخارجية أمام مجلس النواب الأمريكى فى ١٩٦٧/٦/٨ بعد أن حضر الاجتماع السرى

الذى عقده دين راسك وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية مع أعضاء الكونجرس ، أنه فهم من تقرير راسك فى ذلك الاجتماع أن الولايات المتحدة لم تتوقف إطلاقا عن إرسال شحنات أسلحة أمريكية إلى إسرائيل .

« وفى لندن أعلن جورج براون وزير الخارجية البريطانى فى مجلس العموم أن بريطانيا قررت رفع الحظر — الذى فرضته لمدة ٢٤ ساعة — على إرسال الأسلحة إلى الشرق الأوسط ، وستعود إلى تصدير الأسلحة إلى إسرائيل »(١) .

هل تعبر الأمم المتحدة عن الرأى العام العالمى (٢) :

إن الأمم المتحدة بتشكيلها الحالى وبالواقع والأدلة الناصعة أداة فى أيدى الإمبريالية العالمية لتنفيذ مخططاتها وهى بهذا قد رفعت راية قانون الغاب وشرعية العدوان . لقد أصبح لأى بلد حق الاعتداء على جيرانه واغتصاب أرضهم وتشريد سكانها بضمان من الأمم المتحدة التى تتدخل لحمايته وتفرض شروطه .

لقد انتهكت الأمم المتحدة تحت ضغط أمريكى ميثاق المنظمة الدولية بتخاذلها عن إدانة العدوان أو حتى سحب القوات المعتدية دون شرط ، ومع هذا فإن جبهة الشعوب أقوى وأكثر فاعلية ، وهى العامل الحاسم فى تحديد مسار التاريخ والعنصر الأساسى لتصفية الاستعمار وإلى الأبد .

ومن ثم فإننا لا نفتقد الثقة فى الرأى العالمى وفى الحركة النضالية الواسعة العملاقة المعادية للاستعمار والتى أدانت العدوان وتصدت له ومازالت .

---

(١) الأهرام فى ١٩٦٧/٦/٩ .

(٢) انظر إلى رأى للأهرام فى ١٩٦٧/٧/٦ عن موقفنا من منظمة الدول ومن شعوب العالم المحبة للسلام .

إن قوانا الذاتية العربية بمساعدة شعوب العالم المحبة للسلام ، المناضلة من أجل خلاص الإنسانية من عبودية الاستعمار بكافة صورة . . هذه القوى كفيلة بتصفية آثار العدوان وقطع الطريق على جميع المؤامرات الاستعمارية الإسرائيلية الأمريكية .

إن المعركة مستمرة وسوف نقاتل دفاعاً عن كل شبر من أرضنا المقدسة والنصر لنا والعزة للعرب .

حقائق هامة يؤكدها عبد الناصر (١) :

إن الدول المناضلة من أجل حقوق سيادتها ومصيرها لن تستسلم للنكسات. فتركيا وألمانيا بعد هزيمتهما فى الحرب العالمية الأولى سرعان ما خرجتا من الهزيمة إلى النصر وسرعان ما تبوأتا مركزهما بين الدول العظمى .

وعن هذا يعبر السيد الرئيس جمال عبد الناصر بقوله : « إن أولئك الذين يقصرون تفكيرهم فى نطاق الهزيمة العسكرية التى لحقت بنا فى العام الماضى ، ويعتقدون أنها الصفحة الأخيرة فى الكتاب إنما يرتكبون خطأ كبيرا سيكلفهم غاليا ». وهذه النظرة التى ترفض الاستسلام للنكسة ، وتتحرك بما تختزنه الطاقات العربية من قوة معنوية ومادية قادرة على ضمان خاتمة مظفرة ، لاتستند فقط إلى تقدير واقعى لموازين القوى فى المنطقة وعلى نطاق العالم ، وإنما تكشف فى الوقت ذاته عن زيادة حشد وتراص القوى القادرة بتضافر حركتها على أن تفسد مشروعات إسرائيل التوسعية وأن تلزمها بالتخلى عما اغتصبته بقوة العدوان .

وأثناء مثول الكتاب للطبع وبينما العالم كله يتحدث عن السلام فى

---

(١) انظر رأى للأهرام فى ١٢/٧/١٩٦٧ .

منطقة الشرق الأوسط ويبحث عن وسائل تحقيقة وتدعيمه تخرج أمريكا من هذا الاجتماع وتعلن — على أثر رفض جروميكو [١] «عقد تفاهم» مع دين راسك إلا بعد الوصول إلى حل للأزمة — تزويد إسرائيل بطائرت الفانتوم ...
وقد أبرزت الوفود العربية — فى تعليقها على القرار الأمريكى — عدة نقاط هامة :

١ — أن الولايات المتحدة أصبحت طرفا عسكريا فى الأزمة إلى جانب سرائيل .

٢ — أن هذا القرار نسف مهمة يارنج فى وقت وصلت فيه الأزمة إلى موقف بالغ الأهمية .

٣ — أن واشنطن تبرر قرارها بتعزيز قدرة إسرائيل الدفاعية مما يجعل فى متناولها كل هدف [٢] رئيسى فى مصر من الإسكندرية إلى السد العالى .

شبه جزيرة سيناء والمؤتمر الصهيونى الأول فى بال :

كان مؤتمر بال الصهيونى بسويسرا المنطلق للوثبة الصهيونية الكبرى ، ويعتبر نقطة تحول هامة للدعوة الصهيونية .

ذلك أنه بعد أن اشتدت وطأة الاضطهاد على اليهود خاصة فى دول أوربا الشرقية — روسيا وبولندا ورومانيا — وبعد أن هاجر كثير منهم من تلك البلاد ، دعا تيودور هيرتزل إخوانه اليهود فى العالم كله إلى التضامن والكفاح ليتسنى إقامة دولة صهيونية لها كيانها واستقلالها . ثم انعقد مؤتمر فى مدينة « بال » بسويسرا وتكرر انعقاد المؤتمرات الصهيونية فى سويسرا

---

(١) مساء الثلاثاء ٨/١٠/١٩٦٨ .
(٢) انظر الأهرام فى ١١|١٠|٦٨ الصفحة الأولى والتاسعة .

وغيرها من بلدان أوربا ، وانتشرت أخبارها فى الصحف ، ثم خطا هيرتزل وأعوانه خطوات جدية لتحقيق مآرب اليهود ، ومما قام به أن عرض على سلطان تركيا السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ، وتملك الأراضى فيها مع استعدادهم لدفع مبلغ كبير من المال مقابل ذلك ، فأبى السلطان عبد الحميد السماح لهم بماطلبوه.

فولوا وجوههم نحو إنجلترا ، وكان لهم نفوذ كبير فيها ، إذ كان فيها من اليهود كبار رجال المال ، وأخصهم اللورد روتشيلد عميد اليهود هناك ، وكثير غيره من الوزراء والكتاب والصحفيين والنواب . وكان من أثر ذلك أن أرسل وزير خارجية إنجلترا فى سنة ١٩٠٣ إلى اللورد كرومر عميدها فى مصر أن يساعد اليهود على استعمار شبه جزيرة سيناء ، وبمعنى آخر أراد وزير خارجية بريطانيا الأمين على مصر اقتطاع جزء كبير من أرضها ومنحه لليهود دون التفات إلى « مصر » صاحبة البلاد .

ولم يكن الإنجليز وقتئذ سوى محتلين أتوا إليها بحجة تأييد عرش الخديو وأعلنوا أنهم سيغادرونها بعد استتباب الأمن فيها .

نفذ « كرومر » أمر وزارة الخارجية البريطانية ، ورضى أن يقتطع هذا الجزء الكبير من الأرض ويهبه لليهود ، كى يتمكنوا من إقامة مستعمرة يهودية فيه . وقام الخبراء من إنجليز ويهود بمعاينة سيناء ، واختيار المواقع التى تصلح لاستعمار اليهود لكنهم رأوا صعوبة استغلالها للزراعة ، واستثمارها للإنتاج الزراعى فرفض اليهود امتلاكها . .

وهنا يقول حاييم وايزمان فى مذكراته ، وهو خليفة هيرتزل فى زعامة اليهود ، وأول رئيس لجمهورية إسرائيل ، إنه يأسف لرفض اليهود استعمار سيناء ، وكان من رأيه قبول استعمارها وتوطنها لتكون نقطة يرتكز عليها اليهود فى الوثوب مستقبلا إلى جارتها فلسطين .

وبعد هذا الرفض ، عرض الإنجليز سنة ١٩٠٤ على اليهود استيطان جزء من شرق إفريقيا « أوغندة » ، مع أن هذه المنطقة كانت تحت حماية مصر فى عهد الخديو إسماعيل بمقتضى معاهدة أخفاها الإنجليز كما يشهد التاريخ .

وهكذا كان حظ المصريين مع الإنجليز إبان الاحتلال النهب والاغتصاب، فإنهم أرادوا أن يعطوا اليهود «سيناء» [1] وهى من أرض مصر، ثم «أوغندة» وكانت وقتئذ تابعة لمصر .

ثم انتهوا أخيراً إلى أن وهبوهم فلسطين العربية التى لا يمتلكونها ، وتمكنت الصهيونية من اغتصابها وطرد أهلها وتشريدهم .

٢ ــ مصر

الهكسوس وعلاقتهم بالآباء :

هم الملوك الذين كان مؤرخو اليونان يسمونهم « هيكسوس » [2] والعرب الأقدمون يطلقون عليهم « العمالقة » أو العرب « البادية » . ويقول يوسيفوس إن معنى كلمة هيكسوس ــ الملوك الرعاة ــ لأنها مؤلفة من كلمتين هما « هيك » ومعناها الملك ، و « سوس » ومعناها الراعى . وأما بروكسن فيقول إنها مؤلفة من « هيك » ومعناها الملك، و« شاسو» [3] ومعناها البادية أو البدو .

---

(١) مساحة شبه جزيرة سيناء تبلغ ٥٢ ألف كيلو متر مربع . . وهى أكبر من مساحة « سوريا » وتزيد على ثلاثة أمثال مساحة « فلسطين » وعلى ثمانية أمثال مساحة « لبنان » .

(٢) السر فلندرس بترى History of Eqypt .

(٣) يستنتج السر فلندرس بترى من الآثار التى عثر عليها أنهم حكموا مصر من ٢٠٩٨ إلى ١٥٨٧ ق . م . بينما يرجح بريستد أنهم حكموا مصر فى زمن الأسرات من الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة ١٧٨٥ — ١٥٨٠ ق . م .

وهؤلاء المؤرخون كلهم اتفقوا على أن العمالقة عرب ، وأنهم هم الذين جاء ذكرهم فى تاريخ مصر القديم .

كان الشاسو يتنقلون فى بادية مصر الشرقية بين النيل والبحر الأحمر كما يتنقل البدو فيها هذه الأيام ، ولم يكونوا ليقتصروا على تلك الصحراء ، بل كانوا يرحلون بينها وبين شبه جزيرة سيناء وما وراءها أيضا ، وربما اتصلوا بإخوانهم بدو العراق ، لأنهم جميعا من أصل واحد كما أنهم نزلوا ديار فلسطين « بئر سبع » واستوطنوها مدة قبل أن يغزوا مصر ، وكثيرا ما كانوا يسطون على المصريين فى مدنهم .

من أجل ذلك كان المصريون يخافون بأسهم ، وكانوا يستعينون بهم لما اشتهروا به من شدة وشجاعة وبأس فى حروبهم بعضهم مع بعض فى كثير من الأحيان .

وقد ساروا على هذه الخطة حينا من الدهر إلى أن سنحت لهم فرصة وثبوا فيها على مصر ، ويقال إن ذلك كان فى زمن إبراهيم الخليل ، فملكوها وظلوا فيهـا حكاما وملوكا مدة خمسة قرون ، وكونوا فيهـا ملـكا عربيا تعرف قوته من أن يوسف الصديق عليه السلام كان مستوزرا فيه .

وجاء فى أخبار مؤرخنا الوطنى « مانيثون » أن الهكسوس قد استولوا على مصر فى سهولة ، وملكوها دون أن يشعلوا نار حرب ، لأن أمور المصريين يومئذ كانت مضطربة أشد الاضطراب ، والفوضى قد عمت البلاد منذ عام ١٧٥٧ ق . م .

وبين آثار المصريين مايؤيد حديث مانيثون فهذه بردية ساليه Sallier تؤكد ذلك ، وكأنما إرادة الله وإرادة الغزاة على موعد واتفاق ، فبلغ

الهكسوس دلتا الوادى وسيطروا على شمالها ، جاءوها بخيلهم وعجلاتهم الحربية التى لم يكن للمصريين عهد بها من قبل .

وجعل الهكسوس حاضرة ملكهم « أواريس » — صان الحجر شرق الدلتا — ثم أخذوا يمدون سلطانهم على أقاليم الوادى فتركوا غرب الدلتا تحت إمرة حكام من الوطنيين يسميهم مانيثون حكام الأسرة الرابعة عشرة واتخذ الملك « نحسى » من ملوك هذه الأسرة « سخا » قاعدة لملكه المسلوب ، وهكذا كان الحال فى شمال الوادى وبعض أقاليمه الوسطى ، فأما صعيده الأعلى فقد كان تحت إمرة حكام من الوطنيين أسماهم هيرودوت ملوك الأسرة السابعة عشرة ، وقد ظل أولئك يجاهدون فى سبيل تحرير البلاد من يد العدو حتى لاحت بوادر النصر فى أواخر عهدهم .

وكما أنهم نزلوا ديار بئر سبع واستوطنوها مدة قبل غزو مصر فإنهم لم يجدوا ملجأ سواها يوم غلبوا على أمرهم هناك ، وحالفوا المصريين على أن يخرجوا من مصر إلى حيث يشاءون . ويقول السير فلندرس بترى إنهم أموا سوريا عن طريق الصحراء إلا فئة قليلة منهم تخلفت خوفا من بطش الآشوريين وسيطرتهم ، ولهم فى « تل الفارعة » و « تل جمة » و « تل العجول » من الآثار ما ينطق بذلك .

زوال ملك الهكسوس :

اندلعت الثورة فى الجنوب فى أيام ملك من الهكسوس يقال له « أبوفيس » وقد كان ثالث ثلاثة يدعون بهذا الاسم . وقد أخذ يتحدى الملك المصرى

الحاكم يومئذ فى طيبة ويتحرش به[١] ، ولقد كان الحاكم المصرى يدعى « سقنن رع » وكان هو الآخر ثالث ثلاثة[٢] .

وتحدثنا بردية ساليه Sallier عن « أبوفيس » ملك الهكسوس وكيف أنه أرهق الملك المصرى الحاكم فى طيبة بمطالب لا قبل له باحتمالها ، وكيف أنه ظل يتحداه ويجرح كرامته حتى أثاره . وأكبر الظن أن « أبوفيس » قد رأى لأميرنا المصرى من القوة والسلطان ما يجوز أن يصبح أمره خطراً على ملك الهكسوس ونفوذه السياسى ، فأخبار الثورة فى البردية المذكورة تشير إلى قوة الحكومة الوطنية واتساع نفوذها ، وانتشار سلطانها بين أقاليم مصر ، حين تزعم أن مصر كانت تؤدى خراجها إلى بيت طيبة ، فلن يكون غريباً بعد ذلك أن يتحرش ملك الهكسوس بأميرنا المصرى من أجل الثراء المادى واتساع السلطان السياسى ، وأن يثور بيت طيبة ، ويثور معه أعوانه من بيوت الصعيد للعزة الوطنية والكرامة القومية ثم لشىء آخر أجل خطراً وأبعد أثراً فى حياة الناس وفى تاريخهم السياسى من كل ماذكرنا أعنى من أجل تنازع البقاء .

وبين أخبار الثورة ما يشير إلى أنها قامت تحت راية الدين ، ولن يبدو ذلك غريباً فى عيون أولئك الذين درسوا الحياة المصرية وتاريخها وحياة الشرق وتاريخه ، بل وحياة الدنيا كلها فيما مضى من أيامها البعيدة والقريبة ، فقصص الحروب المصرية كلها قدصورت تلك الحروب فى صور دينية ، وأجرت حوادثها تحت راية الدين وفى ركاب الآلهة ، وقصص الإسرائيليين عند خروجهم من

---

(١) توجد أخبار ذلك الاحتكاك فى البردية المعروفة باسم بردية Sallier وقد ترجمها العالم الألمانى Erman فى كتابه المعروف عن الأدب المصرى .

(٢) Ed. Meyer; Gesch, d. Al tertums I, 310.

مصر قد لبست كلها أثوابا دينية براقة (١).

فلا عجب بعد ذلك أن تثير الرواية عجاج هذه الحروب المصرية تحت راية الدين ، وأن تندفع فى ركاب « آمون » وهو يومئذ صاحب طيبة ومعبود الأسرة الحاكمة فيها ، ثم تصور لنا « أبوفيس » ملك الهكسوس وقد جعل من معبوده « ست بعل » إله الآلهة ورب الأرباب يعكف على عبادته ويحرم على الناس عبادة ما عداه ثم يدعو الملك المصرى إلى عبادة « ست بعل » والانصراف عن آمون ، بينما يستمسك الأخير بعبادة ربه « آمون » رب الأرباب وإله الآلهة ، وهكذا يتنافس الملكان تنافسا دينيا خالصا ، فما يكاد أحدهما يظفر بصاحبه وما كاد أحدهما يبلغ بمعبوده ما يريد ، ثم ينتهى الأمر إلى تلك الحروب التى أدت إلى مصرع أمير طيبة .

وبين أسانيد التاريخ المصرى ما يؤيد بعض رواية « ما نيثون » ويشير إلى بلوغهم ذلك المدى من حدود الأقاليم الوسطى .

وجاء فى أخبار الملكة « حاتشبسوت » أنها أصلحت داراً للمعبودة « حاتحور » بجهة القوصية فى شمال أسيوط ، وأنها عمرت الخراب وأتمت الناقص من معابد الوادى وعمائره بعد الذى أصابها على أيدى الهكسوس . Breasted, A. R, II, 296 .

---

(١) لقد انفردت التوراة بأخبار الجدل الدينى بين موسى وكهنة المصريين مما استحوذ على اثنى عشر إصحاحاً من سفر الخروج ، ثم إن موسى وهو ما زال فى حدود مصر فى سيناء رسم لهم الشريعة فاستحوذت على اثنى عشر إصحاحا أخرى ، ومع هذا فإنهم عبدوا العجل الذهبى فى سيناء « خروج ٣٢ : ١ — ١٠ » .

وفى حديث الملك « كاموس » أحد أبطال ثورة الحرية مع أمراء جنده ورجال بلاطه ما يؤيد احتلال الهكسوس إقليم الأشمونين بعد « منف » وبلوغهم بلدة القوصية شمال أسيوط[١] .

وكانت حرب الاستقلال على يد « اعح موسى » التى انتهت بطرد الهكسوس وزوال سلطانهم .

٣ — فلسطين

فلسطين الوطن العربى السليب من أقدم ممالك التمدن الشرقى القديم ، تقع فى الغرب من قارة آسيا بين خطى عرض ٣٠َ ٢٩ْ و ١٥َ ٣٣ْ شمالا ، وبين خطى طول ١٥َ ٣٤ْ و ٤٠َ ٣٥ْ شرقى جرينتش ، وهى القسم الجنوبى الغربى من بلاد الشام .

ويحد فلسطين من الغرب البحر الأبيض المتوسط على ساحل طوله نحو ٢٣٠ كيلو مترا ، ومن الشرق سوريا — ويبلغ طول الحدود بين القطرين ٧٠ كيلو مترا — والأردن على حدود طولها نحو ٣٦٠ كيلو مترا ، ومن الشمال الجمهورية اللبنانية — على حدود طولها ٧٩ كيلو مترا — ومن الجنوب سيناء

---

(١) كانت القوصية تعتبر الحد الفاصل بين أقاليم الجنوب وأقاليم الشمال . ويتجلى ذلك بوضوح عند النظر فى التقسيم الإدارى الذى استقر فى أيام الامبراطورية المصرية منذ عهد الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها ، حيث جعلت إدارة الإقليم المصرى من مطلع الوادى عند أسوان إلى شمال أسيوط تحت إشراف كبير وزراء الصعيد ، وتركت إدارة الأقاليم شمال أسيوط إلى أقصى الشمال حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط تحت إشراف كبير وزراء الشمال . هذا وقد سمى المصريون معبود أسيوط « فاتح الطرق » وصوروه على هيئة كلب من بنات آوى . وأكبر الظن أنهم كانوا يتخذون منه علما فى زحفهم نحو أقاليم الشمال ، ففى اسمه ما يشير إلى عقيدتهم فيه ، وجعلوه حارساً لملكهم فى الصعيد . ومن المرجح أن المصريين كانوا يتخذون من « أسيوط » حصناً يدرأون به إغارة الطامعين فى ملكهم .

وخليج العقبة ، ويبلغ طول الحدود المصرية — الفلسطينية بين رأس طابا على خليج العقبة ورفح على البحر الأبيض المتوسط نحو ٢٤٠ كيلو مترا. هذا وطول الساحل الفلسطيني الواقع على خليج العقبة عشرة كيلو مترات ونصف الـكيلو متر .

تعينت الحدود بين فلسطين من جهة ، ولبنان وسوريا من جهة أخرى بموجب الاتفاق الفرنسي — البريطاني المنعقد فى ١٩٢٠/١٢/٢٣ . وبموجب هذا الاتفاق تسير الحدود من « رأس الناقورة » الواقع على البحر المتوسط باتجاه الشرق إلى قرية « يارون » فى لبنان . ومن ثم باتجاه الشمال الشرقى إلى « قدس »و« المطلة » فى فلسطين ، وعبر وادى الأردن إلى « تل القاضى » فى فلسطين وإلى « بانياس » فى سوريه .

وبعد ذلك يسير خط الحدود باتجاه الجنوب الغربى إلى « جسر بنات يعقوب »، ومن ثم يسير باتجاه الجنوب على طول نهر الأردن حتى بحيرة طبرية وساحلها الشرقى إلى نقطة تـكاد تـكون إلى الشرق من مدينة طبرية ، حيث ينحرف خط الحدود فى اتجاه الجنوب الشرقى إلى أن يصل محطة « الحمة » الواقعة على سكة حديد درعا — سمخ .

وحسب هذا التحديد تقع جميع « بحيرة الحولة » وحوضها ، و« بحيرة طبرية » بأكملها فى فلسطين .

ويتألف القسم الفلسطيني الواقع شرقى البحيرتين من قطاع ضيق يمتد على طول ساحل بحيرة الحولة الشرقى ، وشريط ضيق يقع شرقى بحيرة طبرية يتراوح عرضه بين ١٠و٢٠٠٠ متر على أكثر تقدير .

وأما الحدود مع شرقى الأردن فقد حددها المندوب السامى البريطانى

لفلسطين وشرقى الأردن فى ١/٩/١٩٢٢ ، وهى تبدأ من نقطة اتصال اليرموك بالأردن فتسير جنوبا من منتصف مجرى نهر الأردن وبحيرة لوط ووادى العربة حيث تنتهى فى ساحل خليج العقبة على بعد ميلين غربى مدينة العقبة .

وكانت الحدود بين فلسطين ومصر قد حددت بموجب الاتفاقية المعقودة فى ١٢ شعبان ١٣٢٤ هـ الموافق أول أكتوبر ١٩٠٦ بين خديوية مصر والحكومة العثمانية . وتمتد الحدود من « تل الخرائب » فى « رفح » على ساحل البحر الأبيض المتوسط وتنتهى فى « رأس طابا » على خليج العقبة . وخط الحدود هذا يكاد يكون فى امتداده مستقيما .

وكان العثمانيون يعتبرون هذه الحدود حدودا إدارية تفصل بين «خديوية مصر » — وكانت لهم عليها سيادة اسمية — وبين ولاية سورية ومتصرفية القدس .

ومما هو جدير بالذكر أن طول الحدود الإدارية البرية بين « فلسطين المغتصبة » والأقطار العربية المجاورة اليوم يبلغ نحو ٩٥١ كيلو مترا توزع كما يلى وذلك قبل العدوان الإسرائيلى فى يونيو ١٩٦٧ :

القسم المغتصب — سوريا ٧٦ كيلو مترا

القسم المغتصب — لبنان ٧٩ كيلو مترا

القسم المغتصب — الأردن ٥٣١ كيلو مترا

القسم المغتصب — الجمهورية العربية المتحدة ٢٦٥ كيلو مترا

فيصبح المجموع ٩٥١ كيلو مترا

مع ملاحظة إضافة ٥٦ كم إلى الحدود الأردنية للقسم المغتصب وهى

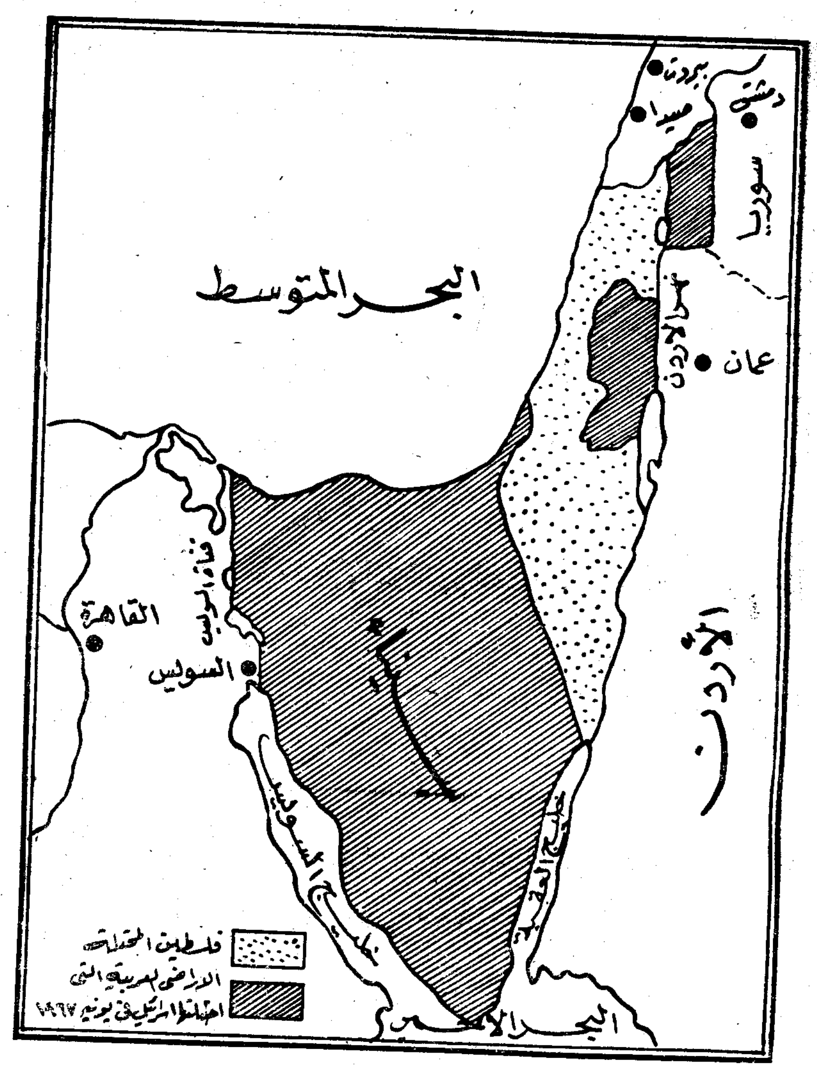
الحدود البحرية الواقعة على ساحل البحر الميت ، وأن حدود قطاع غزة ضمن حدود ج . ع . م .

وفلسطين مستطيلة الشكل ، فطولها من الشمال إلى الجنوب وهو يوازى حدها الشرقى نحو ٤٣٠ كم . وأما عرضها ففى الشمال يتراوح بين ٥١، ٧٠ كم، أما النتوء الأرضى الفلسطينى الواقع بين سوريا من الشرق ولبنان من الغرب فلا يزيد طوله عن ٢٢ كم وعرضه عن ١٤ كم .

وفى الوسط يتراوح العرض بين ٧٢ ، ٩٥ كم . هذا وطول الخط المستقيم بين الساحل ونهر الأردن ، والمار بمدينة نابلس هو ٧٢ كم ، وطوله الممتد بين البحر الميت والساحل والمار بالقدس هو ٨٢ كم . وأما فى الجنوب فإن العرض يتسع حتى يصل إلى نحو ١١٧ كم . أما أقل عرض فى القسم المغتصب فلا يزيد عن ١٤½ كم وهى المسافة الواقعة بين طولكرم وناثانيا على ساحل البحر . وأما فى شمالى القسم المغتصب فإن أعظم عرض لا يزيد عن ٦٦ كم، وفى الجنوب لا يزيد العرض عن ١٠٨½ كم .

مساحة فلسطين السطحية :

تبلغ مساحة فلسطين حوالى ٢٧٠٠٩ كم ٢ من هذه المساحة ٧٠٤ كم ٢ هى مساحة بحيرة الحولة ، وبحيرة طبرية ونصف مساحة البحر الميت، ولا يمكن اعتبار أرقام مساحة البلاد صحيحة ونهائية ، وذلك لعدم تعيين الحدود فى « وادى العربة » بين فلسطين وشرقى الأردن ، فقد جعل الحد فى وسط الوادى ، ولكنه لم يعين حتى نهاية الحكم البريطانى البغيض ، فضلا عن أن مجرى نهر الأردن الذى يفصل بين البلدين عرضة للتغيرات الكثيرة الأمر الذى يؤثر فى خط الحدود ، وبالتالى فى مساحة البلاد .



وقد احتل اليهود حتى قبل نكسة يوم ١٩٦٧/٦/٥ ما مساحته ٧٧ ٪ من مساحة فلسطين السليبة أى ٢٠٧٠٠ كم ٢ أى ما يوازى ٧٩٩٣ ميلا مربعا .

وتذكر الوكالة اليهودية فى صفحة ٤٣٥ من إحصاءاتها المطبوعة فى عام ١٩٤٧ أن ما يملكه اليهود من أراض فى فلسطين ، فى نهاية شهر سبتمبر من عام ١٩٤٦ بلغ ١٨٠٧٠٠٠ دونم أى ما يعادل ٦ر٨ ٪ من جميع أراضى البلاد .

سكان فلسطين :

فى ٢١ مارس من عام ١٩٤٧ قدر عدد سكان البلاد بنحو «٦٧٣ر٩٣٣ر١» نسمة على حساب أن عدد بدو بئر السبع «هو ٩٨١ر٤٧» كما جاء فى إحصاء عام ١٩٣١ .

ولما كان عدد البدو قد بلغ فى إحصاء فنى سرى دقيق ، أجرته الحكومة عام ١٩٤٦ «٩٣٤ ر٩١» نسمة فيكون عدد سكان فلسطين هو ٦٢٦ر٩٧٧ر١ بينهم ٢٣٩ر٦١٤ يهوديا . وهـــذا ما يعادل نحو ٣١ ٪ من مجموع السكان .

إلا أن معظم هؤلاء اليهود كانوا من المهاجرين الذين دخلوا البلاد عنوة وخلافا لرغبات سكانها الأصليين واعتراضهم المستمر على دخولهم ، ولذلك فلا يمكن اعتبارهم -- كالسكان العرب المواطنين — فلسطينيين شرعيين بأى حال من الأحوال .

وعليه فإن النسبة المذكورة أكثر من الواقع بكثير .

والباقى من السكان عرب يوزعون حسب دياناتهم كما يلى :

مسلمون ٣٧٦ر٢٠١ر١ ، مسيحيون ١٦٢ر١٤٦ ، طوائف أخرى (الدروز وقليل من البهائيين) ٨٤٩ر١٥ .

وهكذا تصبح كثافة السكان فى الكيلومتر المربع الواحد ٢ ر٧٣ شخصا .

وفى الميل المربع الواحد ٦ر١٩ شخصا .

وبهذه المناسبة نذكر أن إحصاءات المغتصبين قدرت سكان القسم الذى اغتصبوه فى نهاية عام ١٩٤٨ بـ ٠٠٠ر٨٧٩ بينهم ٧٠٢ر٧٥٨ يهود ، وفى نهاية عام ١٩٦٣ بلغوا ٥٠٠ر٤٢٩ر٢ بينهم ٠٠٠ر١٥٥ر٢ يهود .

وفى مطلع عام ١٩٦٥ بلغوا ٦٠٠ر٥٣٦ر٢ من بينهم ١٠٠ ر٢٥١ر٢ يهود .

الكنعانيون

وهكذا فإن هـــذه البلاد « فلسطين » كما يعرفها التاريخ كانت آهلة بالكنعانيين ، وكانت تدعى أرض كنعان .

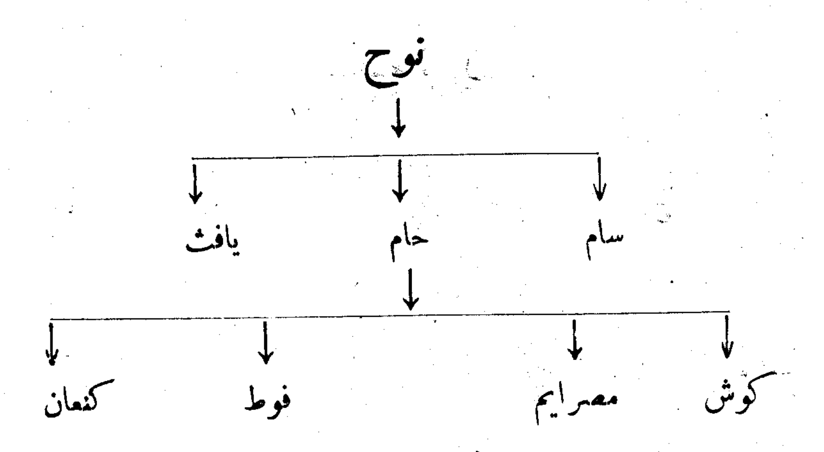
وفى استطاعتنا فى الواقع أن نفخر بهؤلاء القوم وبمنشئى الحضارة الآخرين الذين جاوروهم ، إذ أنهم اكتشفوا — من غير معرفة سابقة تهديهم سواء السبيل — النحاس اللين فى حوالى عام ٤٠٠٠ ق . م . وتعلموا خلال الألف سنة التالية كيف يجمعون ما بين النحاس والصفيح لينتجوا البرونز الجميل ، وهو اكتشاف قد يكون أهم بالنسبة إلى العالم ، فى ذلك الوقت ، من انفلاق الذرة بالنسبة إلينا اليوم ، ذلك أنه أدخل علم التعدين ، وأعطى الشعوب البدائية أدوات وأسلحة قاسية حادة لا تكاد تبلى .

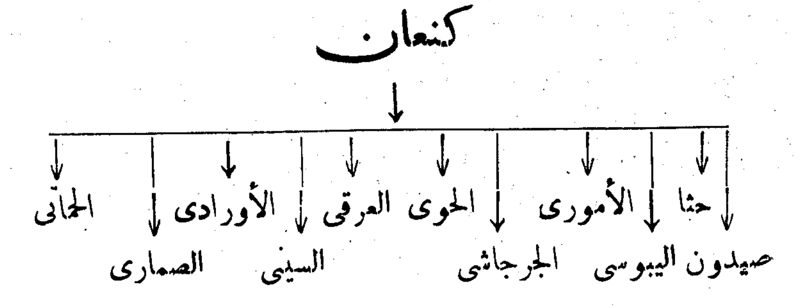
والتوراة هى المصدر الذى يمدنا بتاريخ الكنعانيين :

فمن هو كنعان ؟ حسب التدرج المرمى من القمة نجد أن « مواليد بنى نوح سام وحام ويافث » (١) ، « وبنو حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان » (٢) ، « وكنعان ولد صيدون بكره وحثا واليبوسى والأمورى والجرجاشىّ والحوىّ والعرقى والسينى والأورادى والصمارى والحماتى ، وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعانى » (٣) .

---

(١) تك ١٠ : ١ . (٢) تك ١٠ : ٦ . (٣) تك ١٠ : ١٥ — ١٨ .





« وكانت تخوم الكنعانى من صيدون حينما تجىء نحو جرار إلى غزة وحينما تجىء نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم إلى لاشع. هؤلاء بنو حام حسب قبائلهم كألسنتهم بأراضيهم وأممهم »[١].

لكن إسرائيل تأبى إلا أن ترث أرض كنعان وتقنن لذلك فى صورة حكم إلهى ينسبونه لله تعالى فى القول: « وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم »[٢]، وفى صورة ميثاق يمنح لإبراهيم وورثته: « فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات. القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين

(١) تك ١٠: ١٩ — ٢٠. (٢) تك ٩: ٢٦.

والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين»[١].

وتفنن أيضا حافزا ليحفز إسرائيل على امتلاك أرض كنعان فى القول: « فقال الرب إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم . إنى علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة . إلى أرض تفيض لبنا وعسلا . إلى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين »[٢] .

وإذا سلمنا بما يزعمونه فى صالحهم، فماذا يكون موقفهم من الإنذار الصريح : « ولكن إذا رجعتم ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب أولئك الباقين معكم وصاهرتموهم ودخلتم إليهم وهم إليكم . فاعلموا يقينا أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم فيكونوا لكم فخا وشركا وسوطا على جوانبكم وشوكا فى أعينكم حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التى أعطاكم إياها الرب إلهكم . وها أنا اليوم ذاهب فى طريق الأرض كلها . وتعلمون بكل قلوبكم وكل أنفسكم أنه لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذى تكلم به الرب عنكم . الكل صار لكم . لم تسقط منه كلمة واحدة . ويكون كما أنه أتى عليكم كل الكلام الصالح الذى تكلم به الرب إلهكم عنكم كذلك يجلب عليكم الرب كل الكلام الردىء حتى يبيدكم عن هذه الأرض الصالحة التى أعطاكم الرب إلهكم. حينما تتعدون عهد الرب إلهكم الذى أمركم به وتسيرون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها يحمى غضب الرب عليكم فتبيدون سريعا عن الأرض الصالحة التى أعطاكم »[٣] .

ويعتقد بعض الثقات من المؤرخين أن الإسرائيليين خرجوا من مصر

---

(١) تك ١٥ : ١٨ — ٢١ . (٢) خر ٣ : ٧ ، ٨ . (٣) يش ٢٣ : ١٢ — ١٦ .

حوالى عام ١٢٢٤ ق . م . وأنهم بعد أن هاموا على وجوههم فى الصحراء طوال أربعين سنة غزوا أرض كنعان حوالى عام ١١٨٤ ق . م . فى تلك اللحظة السيكولوجية المناسبة التى كان فيها كل شىء قد تداعى وانهار ، وكان ذلك هو ، بالضبط ، التاريخ عينه الذى يعتقد أن طروادة قد سقطت فيه ، وهى مصادفة غريبة قلما يلاحظها المؤرخون .

وعلى أى حال ، فلا الفلسطينيون الذين جاءوا من كريت وسكنوا الساحل ، ولا الإسرائيليون استطاعوا أن يفرضوا سلطانهم على السكان الوطنيين « الكنعانيين » فى مدنهم المسورة . ومعظم المؤرخين يعتبرون أن مصر قد حكمت أرض كنعان حتى نهاية عهد رمسيس الثالث حوالى عام ١١٥٤ ق.م. وأن الحكم المصرى بعد هذا التاريخ بدا وكأنه أصبح حكما اسميا لا غير .

وظلت أرض كنعان موضع شد وجذب بين الفريقين اللذين أغارا عليها من خارج — الفلسطينيين والإسرائيليين — حتى عام ١٠٠٠ ق . م . على وجه التقريب ، وهذا هو التاريخ الذى يعينونه لاستيلاء الملك الإسرائيلى داود على بيت المقدس ، لقد هزم الفلسطينيين وفتح أرض كنعان ، وتقدم بالتالى للاستيلاء على الدويلات الصغيرة المجاورة الواقعة إلى الشرق من فلسطين « أدوم ، ومؤاب ، وعمود ، وجلعاد » .

لكن يجدر بنا أن نقف وقفة قصيرة للتأمل والتبصر ، هل يظلم الله أحدا ؟ لقد أراد الله أن يورث الأرض الصالحين من عباده ، ولهذا كان اختياره إبراهيم عليه السلام وكان عهده وميثاقه قائما له ولنسله ما داموا ينهجون سبيل الله .

من هنا ندرك الحكمة من قيادة الله لإسرائيل من نصر إلى نصر ، لغاية أن يكونوا صورة الله المقروءة بين الناس فى البر والتقوى والتعفف والعدل

والحق والرحمة ، وبالتالى يكونون نورا للأمم حواليهم ، لـكنهم كانوا كما قال عنهم المسيح : « ويل لـكم أيها الناموسيون لأنـكم أخذتم مفتاح المعرفة ، ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم » (١) .

سكان الساحل الفينيقى

وإلى الشمال من « عكا » تبدأ تلك البقاع الساحلية التى سماها المصريون « زاحى » ثم أطلق عليها الإغريق اسم « فينيقيا » (٢). هنالك امتدت منازل الفينيقيين ، ولم تـكن دولة بالمعنى المعروف وإنما الواقع أن نظام حياتهم كان أشبه بنظام « البندقية » فى شبه جزيرة إيطاليا أو نظام «هنزا» فى ألمانيا ما بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر الميلادى .

ولم يكن يهمهم مطلقا أن تـكون لهم حـكومة مستقلة ، وإنما يهمهم الـكسب أينما وجدوا السبيل إليه ، وقد وقعوا تحت حكم المصريين وتحت سلطان الأشوريين زمنا آخر .

---

(١) لوقا ١١ : ٥٢ .

(٢) لقد حاول العالم الألمانى « كورت زيته » فى بحث من أبحاثه القيمة نشره فى مجـــلة الشرق القريب تحت عنوان Der Name der Phoenizier bei den Griechen und aegypter, in der Mitteillungen der Vorderasiatiches Geulls haft 21. 1916 . 305 ff. أن يثبت أن كلمة « فينيقيا » إنما يرجع أصلها إلى اللفظ المصرى القديم « فنحو » وكان المصريون يطلقونه على البقاع السهلة من أرض آسيا التى تشمل المروج من حول « شرونة » ؛ و « البقاع » ، « ووادى الأردن » ، « وسبيل الساحل الفينيقى » غير أن ذلك لم يرض المؤرخ العظيم « إدوارد ماير » الذى يؤكد أن اسم الفينيقيين إغريقى الأصل ، وأن معناه « الأحمر الدموى » وأن اسمهم لم يكن مصريا ، ولا ساميا . أما هم فـكانوا يسمون الصيداويين نسبة إلى صيدا وكانوا يسكنون فى أرض كنعان .
Ed . Meyer, Getch 111 ; 96 .

وظاهر من النصوص المحفورة على جدران المعابد المصرية منذ أيام البطالمة أن الفينيقيين قد كانوا خاضعين لراية السلطان المصرى. وتشير النصوص فى صراحة إلى أن « بطليموس فيلادلفيوس » قد بسط سلطانه على أرض الفينيقيين ، وثبت تاريخيا أن الساحل الفينيقى من أرض فلسطين قد ظل فى حوزة السلطان المصرى أيام البطالمة منذ عام ٢٨٧ ق . م . حتى كان ملك مصر فى العهد البطلمى يلقب « بملك مصر وحاكم فينيقيا » ، والغالب أن الفينيقيين قد كانوا يحملون الأنبذة والبخور إلى المعابد المصرية فى تلك العصور المتأخرة وما قبلها أيضا (١) ، ومن أشهر مدائن الفينيقيين التى لعبت دورا خطيرا فى تاريخهم وتاريخ من جاورهم من الأمم يومئذ تلك المدائن الساحلية مثل صيدا وبيروت وببلوص (٢) وصور (٣) .

وارتاد الكنعانيون تلك المرافىء يتصيدون السمك فى مياهها ، ولعل نسبتهم إلى « صيدا » (٤) قد جاءت عن هـــذا الطريق . على أن أكثر مدائن الفينيقيين كانت ذات صلة بمصر ، خاصة « ببلوص » ، والغالب أنها اتصلت بمصر منذ أبعد العصور (٥) .

---

(١) لم تخل النصوص المصرية من الكلام عن تلك الأنبذة وذكرها وذكر ربتها « بوتو » التى كانت تقدس عند « تل بنيشة » حيث البقاع الغنية بالكروم والأنبذة المصنوعة منها .

(٢) بيلوص أحد الموانى الشهيرة التى لعبت دورا عظيما فى حياة المصريين الاقتصادية والدينية ، فنها حمل المصريون أكثر الخشب اللازم لعمائرهم الدينية والمدنية وتعرف باسم « جبيل » وتقع ما بين بيروت وطرابلس .

(٣) صور : ومعناها الصخرة وهى تسمية تتفق مع طبيعتها .

(٤) صيدا : الغالب أنه كان لتلك المدينة معبود يدعى « صيد » ومن رأى بعض المؤرخين أن الكنعانيين قد كانوا يزاولون فى مياهها صيد السمك ، وأن اسمهم يتصل بهذه الحرفة ، ومن الجائز أن يكون معبودهم هذا قد كان من آلهة الصيد ولعل فى اسمه مايشير إلى تلك الحقيقة .

(٥) Gressman Bublos, Zeiting der altlestamentalichen Wissen chaft 1925, 225 ff.

ولم يبلغ التاريخ بمصر أيام الأسرة الثانية عشرة «٢٠٠٠ — ١٧٨٥ ق . م.» حتى غدا حكام المدينة من ولاة فرعون . ولم ير الناس فرقا بين معبودتها « بعلة » وبين معبودة المصريين «حاتحور » أو« إيزيس » ، واتصلت الحياة الدينية بين مصر وبين تلك المدينة اتصالا تستطيع أن ترى أثره فى تلك الأسطورة الخالدة التى تدور حول حياة « أوزيريس» وزوجه « إيزيس » .

وإلى الجنوب من ذلك يقع هذا الوادى المنخفض المعروف « بمنخفض النهر الـكبير » الذى يحد من الشمال « لبنان » ويجرى فيه الطريق من الشاطىء مخترقا « وادى العاصى » إلى شمال سوريا ثم يمتد إلى الفرات وتنتشر على جنباته مدائن حصينة تسكنها قبائل سامية .

وفى شمال « لبنان» والبقاع نزل قوم من الساميين يقال لهم«العموريون» وهم أقرب القبائل السامية إلى الـكنعانية وقد جاء ذكرهم فى الإصحاح الرابع عشر من سفر التـكوين حيث يقول : « وحدث فى أيام أمرافل ملك شنعار وأريوك ملك ألآسار وكدرلعومر ملك عيلام ، وتدعال ملك جوييم أن هؤلاء صنعوا حربا مع بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشنآب ملك أدمة ، وشمئيبر ملك صبوييم وملك بالع التى هى صوغر . جميع هؤلاء اجتمعوا متعاهدين إلى عمق السديم الذى هو بحر الملح . اثنتى عشرة سنة استعبدوا لـكدر لعومر والسنة الثالثة عشرة عصوا عليه ، وفى السنة الرابعة عشرة أتى كدر لعومر والملوك الذين معهوضربوا الرفائيين فى عشتاروث قرنايم والزوزيين فى هام والإيميين فى شوى قريتايم والحوريين فى جبلهم سعير إلى بطمة فاران التى عند البرية . ثم رجعوا وجاءوا إلى عين مشفاط التى هى قادش . وضربوا كل بلاد العمالقة وأيضـا الأموريين السا كنين فى حَصـون تامار »[1].

---

(١) تك ١٤ : ١ — ٧ .

والعموريون كانوا يسكنون حصون تامار ، وذلك عندما ضربهم « كدرلعومر » والملوك الذين كانوا معه ، ضربوهم مع كل بلاد العمالقة فى عين مشفاط التى هى قادش .

والظاهر أن العبرانيين ، لم يكونوا قد سيطروا على تلك البقاع أيام أن أخذ المصريون يحملون عليها ، وخصوصا أيام « تحتمس الثالث »، وإنما كانت فلسطين ومدائن الساحل الفينيقى وقراه معمورة بقبائل أخرى ومن بينهم الكنعانيون الذين كانوا يتكلمون لغة قريبة من لغة العبرانيين ، والغالب أن الهكسوس قد لجأوا إلى تلك البقاع بعد خروجهم من مصر .

وإلى الشمال من ذلك انتشرت منازل « الآراميين » فى وادى العاصى ، ممتدة إلى دمشق ، وهم من الساميين وأكثرهم من قبائل الرحل كانوا يتنقلون فى الصحراء السورية ، وكان لسانهم لايختلف فى كثير عن لسان العبرانيين .

ومنذ مطلع الألف الثالثة ق . م . وبعثات التجارة البابلية تركب ذلك الطريق العظيم من طرق القوافل ، الذى يجرى من بابل على متن الفرات مصعدا إلى « قرقميش » ثم يمتد إلى « حلب » ، و «حماه » فى وادى العاصى لإحضار الخشب من غاب لبنان ، وكانت قوافل التجارة تسير فى حراسة الفيالق المسلحة من جنود بابل .

ولما كان عام ٢٨٥٠ ق . م . فتح « سرجون الأول » ملك بابل شمال سوريا ولبنان وطوروس . وظلت تلك الأقاليم خاضعة لبابل حتى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد ، تظهر الولاء لملوكها وتبعث إليهم بالخراج .

وأقبلت سوريا على التراث البابلى لانتشار اللغة « البابلية الآكادية » بين الأقاليم السورية ، وأخذ الناس يكتبون بخط « بابل المسمارى » ، وأضحت

اللغة البابلية وخط « بابل المعروف بالمسمارى » من الأموز التى عرفت فى كافة أقطار الشرق القريب . . وغدا شأنها كشأن « اللغة الآرامية » أيام أكاسرة الفرس .

وعلى حين كانت الصلة بين بابل والأقطار الشمالية من سوريا على نحوما قدمنا ، كانت أقاليمها الجنوبية والساحل الفينيقى وعلى الأخص « ببلوص » وثيقة الاتصال بمصر منذ مطلع حياتها السياسية .

فلسطين وسوريا

وقعت أقاليم الشام تحت سلطان الهكسوس أيام قيام دولتهم . فلما نهضت مصر على أيدى الفراعنة « فراعنة طيبة » وانكسرت شوكة الهكسوس فى « أواريس » بعد واقعة « شاروهين » انقسمت البقاع السورية وأقاليم فلسطين إلى إمارات صغيرة يقوم على حكمها مزيج من الأمراء ، منهم من يمتد أصله إلى الآريين ، ومنهم من ينتسب إلى بطون القبائل السامية .

ورسائل تل العمارنة تعد لنا أكثر من ستين إمارة من تلك الإمارات الآسيوية التى اتصلت حياتها السياسية بالمصريين ، والغالب أنها كانت أكثر من ذلك . ومن وثائق « تحتمس الثالث » تعداد لست وعشرين ومائة بقعة من تلك البقاع التى تآلف أمراؤها مع أمير قادش ، ثم رابط بهم فى « مجدو » فسار إليه فرعون وهزمه هزيمة منكرة [١] .

---

(١) « ولكن الرب لم يرجع عن حمو غضبه العظيم لأن غضبه حمى على يهوذا من أجل جميع الإغاظات التى أغاظه إياها منسى . فقال الرب إنى أنزع يهوذا أيضاً من أمامى كما نزعت إسرائيل ، =

وأكبر الظن أن أهل معظم تلك البقاع كانوا يتكلمون بلسان عبرى ، ورسائل « تل العمارنة » لم تفصل الحديث عن تلك القبائل وإنما اكتفت بأن تسميهم « الكنعانيين » وشمل ذلك الاسم كل سكان الشام يومئذ . على أن تلك التسمية لم ترد فى النصوص المصرية منذ قبل أيام « أمينوفيس الثانى » الذى أسر منهم ٦٤٠ فى طريق عودته إلى الوطن من حملته الأولى(١) .

غمر بدو الصحراء أكثر تلك الأقاليم من سوريا وفلسطين ، وكان المصريون يطلقون عليهم اسم « الشاسو » وهو اسم نعت به المصريون عرب آسيا جميعاً ولم تكن لهم جيوش منظمة يستطيعون أن يهيئوا بها إغاراتهم ، ولم يكن لهم كذلك من سلاح الحرب مايمكنهم من ملاقاة الجيوش المنظمة ، ولم يتح لهم مطلقا أن يعبئوا جيوشا يلقون بها العدو على تلك الصحراء الواسعة ، وما كانوا بقادرين على تعبيد الطرق التى تسلكها الجيوش فى مجاهل صحراء آسيا . ولعلهم لم يروا مثل هذه الطرق إلا بعد أن سلكتها جيوش مصر تحت إمرة بطل استقلالها « اعح موسى الأول » ١٥٨٠ — ١٥٥٨ ق . م . وهو

= وأرفض هذه المدينة التى اخترتها أورشليم والبيت الذى قلت يكون اسمى فيه . . . فى أيامه صعد فرعون نخو ملك مصر على ملك أشور إلى نهر الفرات فصعد الملك يوشيا للقائه فقتله فى « مجدو » حين رآه » ٢ مل ٢٣ : ٢٦ — ٢٩ .

« أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذى قدسه فى أورشليم . . فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم . . . وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم . . وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل » ٢ خب ٣٦ : ١٤ — ٢٠ .

(١) كان المعتقد قبل ذلك أن اسم الكنعانيين لم يرد فى النصوص المصرية أيام الأسرة الثامنة عشرة ١٥٨٠ — ١٠٩٠ ق.م. ثم كشفت الأبحاث بعد ذلك عن لوح تاريخى كبير سجل عليه « أمينوفيس الثانى » أخبار حملتين حربيتين قام بهما على الأقاليم الآسيوية فى العامين السابع والتاسع من أيام حكمه ، والسجل ثانى اثنين ، وجد حطام أولهما بين أنقاض الكرنك وعثر على الثانى كاملا فى الأعوام الأخيرة بين أنقاض منف . « مجلة مصلحة الآثار عدد ٤٢ » . والتوراة تؤكد وجود الكنعانيين حتى بعد العودة من سبى بابل . عزرا ٩ : ١ — ٣ .

يطارد الهكسوس إلى شرق الأرض ، وبعد أن عبد سيتى الأول ذلك الطريق الحربى العظيم الذى يبدأ من « سيلة » «شاروا » عند القنطرة بين بحيرتى « البلح والمنزلة » مارا بالعريش ثم رفح إلى غزة . وسوف نرى كيف أن « سيتى » قد أعد هذا الطريق ونظمه وجهزه بآبار السقاية للجيش ، بحيث تستطيع الجيوش المصرية وقوافل التجارة أن تعبر الصحراء من مصر إلى فلسطين فى سهولة ويسر (١) .

الأشوريون

عاصر الأشوريون ملوك بنى إسرائيل لفترة طويلة ، وقد اجتاحت جيوشهم فلسطين ، فأخضعوا ملوكها وأرغموهم على دفع الجزية . وما استطاع بنو إسرائيل أن يرفعوا رءوسهم ويتنسموا نسيم الحرية إلا فى الفترات التى كان الأشوريون يعدلون فيها عن مهاجمتهم بسبب موت أحد ملوكهم مثلا ، أو مقاومة ملوك سوريا لهم كما حدث فى أيام داود وسليمان حينما ألقى السوريون عام ١٠٥٠ ق . م . عن ظهورهم عبء الأشوريين ، فتنفس بنو إسرائيل الصعداء ، وساروا بمملكتهم نحو المجد « وكان قمة مجد إسرائيل فى عصر مملكة سليمان لحكمة ربانية أرادها الله من الإعلان عن ذاته للأمم أنه واحد أحد خالق السموات والأرض المعز المذل » .

ولم يسترد الأشوريون سطوتهم إلا بعد موت سليمان عليه السلام إذ تغلب « تيغلات بيلازر » على بنى إسرائيل ، واستولى على بلادهم عام ٧٣٤ ق . م . ومن هناك سار نحو منازل الفلسطينيين ، فافتتح عسقلان وغزة ، ثم أخضع فريقا من أمراء العرب وملوكهم .

---

(١) Gardinier, J, E. A. Vol VI P. 99 ff .

وفى سنة ٧٢٢ ق . م . سار « سرجون » بجيشه إلى جنوب فلسطين فأخضع الفلسطينيين ، وبنى يهوذا ، كما أنه أسر حانون ملك غزة فى موقعة «رفح» . « فرجع ربشاقى ووجد ملك أشور يحارب لبنة »(١) .

وفى عام ٧١٥ ق . م . أخذ الجزية من بلاد العرب ، ونقل فريقا من بنى ثمود وغيرهم من القبائل العربية الثائرة إلى السامرة .

ولما مات سرجون سنة ٧٠٥ ق . م . وأعقبه ولده سنحاريب عصى اليهود عليه (٢) وعلى رأسهم « حزقيا » فجاءهم بجيش عرمرم وأخضعهم وفرض عليهم الجزية : « فى ذلك الزمان قشر حزقيا الذهب عن أبواب هيكل الرب والدعائم التى كان قد غشّاها حزقيا ملك يهوذا ودفعه لملك أشور » (٣) .

وأخضع فلسطين كلها ، كما أنه انتصر على ملوك مصر والحبشة الذين أرسلوا إليه جيشا ليحاربه فانتصر عليهم فى موقعتين إحداهما تمنة ، واستولى على ٤٦ مدينة من مدن بنى يهوذا المحصنة ودكها دكا .

وقبل أن يموت قاد غزوة أخرى على فلسطين سنة ٦٨٨ ق . م . وفى هذه المرة وصل إلى بلاد العرب ، وهاجم عاصمة «آدوم» وأسر ملكة العرب وإلهة البلاد ثم قفل راجعا إلى بلاده منصوراً .

---

(١) ٢ مل ١٩ : ٨ .

(٢) مصادر من التوراة:

سنحاريب ملك أشور { ٢ مل ١٨ : ١٣ — ١٦ ضد الملك حزقيا ملك يهوذا .
٢ خب ٣٢ : ١ — ٢٣ ضد الملك حزقيا ملك يهوذا .

شلمنأسر ملك أشور : ٢ مل ١٧ : ١ — ٢٤ ضد الملك آحاز ملك إسرائيل .

(٣) ٢ مل ١٨ : ١٦ .

وفى زمن ولده « آسر حدون » ٦٨٠ ق . م . اجتاح الأشوريون فلسطين مرة أخرى ، ولكنهم لم يأتوا فى هذه المرة بعمل يذكر . ولقد أقام « آسر حدون » ولده « آشور بانيبال » على الملك قبل وفاته فغزا هذا مصر ، وأخذ الجزية من ملوك فلسطين .

وفيما كان الأشوريون مشغولين بإطفاء ثورة بابل عام ٦٥١—٦٤٨ق.م. قام العرب بغزو فلسطين فاجتاحوا بلاد آدوم ، وعمان ، وحوران ، وموآب وغيرها من البلاد . لكن « أشور بانيبال » عاد فتغلب عليهم وظلت فلسطين تحت حكمه زمنا طويلا .

العرب

إن المؤرخين (١) يقصدون بالعرب على عهد الفراعنة والأشوريين والفينيقيين أهل البادية فى القسم الشمالى من جزيرة العرب وشرقى وادى النيل فى البقعة الممتدة من الفرات فى الشرق إلى النيل فى الغرب .

وفى دراستنا للهكسوس الذين جاء ذكرهم فى فتوحات الفراعنة تبين أنهم البدو ، وأن هؤلاء هم الملوك الرعاة « الشاسو » الذين سيطروا على مصر وكونوا فيها ملكا عربيا مدة قرنين من الزمان « ١٧٨٥—١٥٨٠ » ق . م.
وبمقارنة تاريخ الأنباط الذى سيأتى دوره بعدئذ ، نعلم أن هؤلاء ألفوا دولة عربية عاصمتها « البتراء » ، وقد امتد سلطان هذه الدولة من خليج العقبة حتى حدود مصر وشواطىء البحر الأبيض المتوسط ، ثم شملت سيناء وامتدت

---

(١) العرب قبل الإسلام ، لجرجى زيدان نقلا عن هيرودتس المؤرخ اليونانى الذى توفى سنة ٢٠٦ ق. م .

إلى حوران والعراق . وكان ذلك قبل القرن الرابع قبل الميلاد وظلت هذه الدولة قائمة حتى أوائل القرن الثانى الميلادى .

والعرب [١] لم ينفكوا عن ارتياد هذه البلاد بعد هذا التاريخ أيضا وقبل ظهور الإسلام . اذكر قوله تعالى : «لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت. الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف».

ولقد ثبت أن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن ، ورحلة الصيف كانت إلى غزة ومشارف الشام . وكانت قريش تقصد غزة فى فصل الصيف بقصد التجارة ، وكانوا يسمونها « حمراء اليمن » ويألفون ضواحيها لسعتها وخصبها حتى توطنها قبائل كثيرة منهم قبل الإسلام .

ولا بد لنا أن نذكر مَن مِن قبائل العرب نزل ديار الشام .

وفى هذا الشأن يقول ابن خلدون : إن غزة من مواطن جرم ، وجرم أحد بطون قضاعة . ولجرم أفخاذ كثيرة وفروع متعددة كلها كانت مساكنها ببلاد الشام « غزة » .

وذهب القاضى ولى الدين بن خلدون إلى أن « جرم قضاعة » هم الذين يسكنون ببلاد غزة .

وأما القلقشندى فإنه يقول إن أولئك هم «جرم طيىء » لا «جرم قضاعة» وسواء أكانوا جرم طيىء أم جرم قضاعة فإنهم لاشك من القبائل القحطانية لأن جرم طيىء من بنى كهلان ، وجرم قضاعة من بنى حمير . وكهلان وحمير ولدا يعرب . وهل يعرب وجرم سوى شعبين من بنى قحطان ؟!

(١) إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة لمؤلفه الشيخ عثمان الطباع .

وقد أيد الهمدانى رواية القلقشندى فقال : « جرم طيىء » أحد الأحياء الأحد عشر(١) التى تنتمى إلى كهلان . وقد أخذوا هذا الاسم نسبة إلى أمهم « جرم بنت الغوث بن طيىء » وهم الذين ببلاد غزة من الديار الشامية . وقد كانوا متفقين مع ثعلبة بالشام على دفع الفرنج عن المسلمين . فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد دخلت طائفة منهم مصر وبقيت بقاياهم بمكانهم ببلاد غزة .

وفى إحدى الخرائط التى أثبتها الأستاذ سميث G. A. Smith ذكر عن قوم قال عنهم إنهم احتلوا غربى فلسطين من يافا إلى غزة فجرار « تل جمة » قبل مجىء بنى إسرائيل « ١٥٠٠ — ١٢٥٠ » ق. م . وأسماهم Kena Kenahhi.

وفى عصر القضاة لبنى إسرائيل « ١٠٥٠ ق. م . » عاش فى البقعة الواقعة شمالى النقب وغربى البحر الميت « أى حيث توجـــد الآن قبائل الظلام والقديرات » قوم يدعون Jerahmeelites وهؤلاء هم « جرهم » من بنى قحطان .

ومن القبائل التى كانت هناك فى ذلك العهد بنو كنانة ، وكلاب ، وقد جاء ذكر بنى كنانة Kenites فى عهد شاول ١٠٢٠ ق . م . وفى عهد داود وسليمان « ١٠١٥ — ٩٣٠ ق . م. » كان يقطن البقعة الواقعة بين « تل الملح » وعرعرة قوم أسماهم سميث Calebites وهم بنو كلب (٢).

وما سميت غزة « حمراء اليمن » إلا لـكثرة العرب « الحميريين » فيها .

---

(١) الأزد ، وطيىء ، ومذحج ، وهمدان ، وكندة ، ومراد ، وأنمار ، وجـــذام ، ولخم ، وعاملة ، والأشعريون .

(٢) وهذا يوافق ما ذكره القلقشندى فى كتابه « صبح الأعشى » نقلا عن صاحب حماة عن منازل بنى كلب .

ولما جاء الإسكندر إلى غزة وحاصرها سنة ٣٣٢ ق . م. كانت حاميتها من العرب ، فقاومته أشد المقاومة .

وفى الخطط أن العرب سكنوا بلاد الشام قبل الإسلام بنحو ألفين وخمسمائة من السنوات .

وما كاد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم يجاهر بالدعوة الإسلامية لاعتناق الدين الإسلامى حتى انضوى قسم كبير من العرب تحت رايته ، ثم دبت الحياة فى نفوسهم فتاقوا للخروج من الجزيرة ، وخرجوا ولكن كفاتحين فى هذه المرة ، وما هى إلا سنوات معدودات حتى أخذت رايتهم تخفق فى سماء فلسطين والشام والعراق وفارس ، ولأول مرة بعد زوال حكم « الملوك الرعاة » والأنباط دخلت فلسطين تحت حكم عربى صميم ، وكان ذلك فى خلافة عمر بن الخطاب يوم فتح عمرو بن العاص هذه البلاد ومصر وتم له الفتح والاستيلاء عام ٦٤٠ م .

وقد ظلت هذه البلاد تحت حكم الخلفاء الراشدين فى الحجاز حتى قتل الإمام على كرم الله وجهه سنة ٤٠ هـ ـ ٦٦٠ م ، وتنازل ابنه الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية فى الشام عام ٤١ هـ الموافق ٦٦١ م .

وسواء أديرت حكومة فلسطين من الحجاز أم من الشام فقد هبط خلال هذه الفترة من الزمن التى انقضت بين خلافة عمر بن الخطاب وتأسيس الدولة الأموية فى الشام فوج جديد من العرب إلى أرض فلسطين وكونوا فيها بالامتزاج والمصاهرة مع الطلائع الأولى الذين سبقوهم من العرب قبل الإسلام كياناً

عربياً هو الذى نراه فيها فى الوقت الحاضر قبل اغتصاب الصهيونيين لأرض فلسطين .

وكما أن مصر وسوريا كانتا فى الأزمنة الغابرة فى حالة جزر ومد ، فقد ظلتا كذلك بعد الإسلام أيضاً . وعلى هذا المنوال تكون هذه البلاد قد انتقلت تباعا من حكم الخلفاء الراشدين فى خلافة عمر بن الخطاب « ١٣ هـ ٦٣٤ م » إلى حكم الأمويين فى زمن معاوية بن أبى سفيان « ٤١ هـ ٦٦١م » ، ومروان ابن الحكم « ٦٥ هـ ٦٨٤ م » ومروان بن محمد « ١٢٧ هـ ٧٤٤ م » ، إلى حكم العباسيين فى زمن أبى العباس الملقب بالسفاح « ١٣٢ هـ ٨٤٧ م » ، والمهدى بن الواثق « ٢٥٥ هـ ٨٦٩ م » والمعتمد على الله « ٢٥٦ هـ ٨٧٠ م » ، إلى الدولة الطولونية فى زمن أحمد بن طولون « ٢٥٧ هـ ٨٧٠ م » ، وخمارويه ابن أحمد « ٢٧٠ هـ ٨٨٤ م » ، إلى الدولة الإخشيدية فى زمن محمد بن طغج الإخشيد « ٣٢٣ هـ ٩٣٤ م » ، وأنوجور بن الأخشيد « ٣٣٤ هـ ٩٤٦ م » ، وكافور الإخشيدى « ٣٥٥ هـ ٩٦٦ م » إلى الدولة الفاطمية « ٣٥٨ هـ ٩٦٩ م » إلى دولة الأرتقين فى زمن أرتق بن أكسك « ٤٨٤ هـ ١٠٩٥ م » فالدولة الأيوبية فى زمن صلاح الدين الأيوبى « ٥٦٧ هـ ١١٧١ م » ، فدولة المماليك « ٦٤٩ هـ ١٢٥١ م » إلى أن دخلت فى حكم الأتراك العثمانيين وكان ذلك فى أيام السلطان سليم الذى حارب المماليك وغلبهم فى موقعة جرت بينه وبينهم بالقرب من غزة « مرج دابق » « ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م » .

الأنباط ، الآدوميون ، العمالقة ، العموريون

الأنباط :

الأنباط هم خلفاء الآدوميين فى شبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين قهروهم

واحتلوا بلادهم ، ثم أنشأوا دولة الأنباط العربية (١) التى امتد سلطانها من خليج العقبة حتى حدود مصر وشواطىء البحر المتوسط ، وقد شمل أيضاً سيناء وامتد إلى حوران والعراق ، وكان ذلك حوالى القرن الرابع قبل الميلاد ، وقد ظلت دولتهم قائمة حتى أوائل القرن الثانى بعد الميلاد إذ دخلت بلادهم فى حوزة الرومان وكان ذلك عام ١٠٦ م . والأنباط عرب ولغتهم آرامية ، وعاصمتهم البتراء ، وكانوا مسيطرين على طرق التجارة من الشام إلى البحر الأحمر فبلاد العرب ومدائن صالح .

ويرى السير « جورج آدم سميث » أن الأنباط كانوا منذ عام ٧٢٠ ق.م. حتى سبى يهوذا سنة ٥٨٦ ق . م . يعيشون فيما وراء النقب المطلة على وادى العربة .

وفى زمن الفرس ٥٣٨ — ٥٣٢ ق . م . امتدوا نحو الغرب حتى اجتازوا النقب واستولوا على القسم الجنوبى من دير السبع الحالية حيث تنزل قبيلة العزازمة فى يومنا هذا . وقد كانوا فى هذا العهد مجاورين للآدوميين فى الشمال ولما احتل الإسكندر فلسطين سيطر على جميع الأراضى التى تؤلف دير سبع فى الوقت الحاضر إلا الأنباط فقد ظلوا فى منازلهم بوادى العربة .

وقد ظل الأنباط محتفظين باستقلالهم ومجدهم (٢) حتى سنة ١٠٦ م حين غزاهم تراجان ، ولم يجد الأنباط بداً من الاختلاط بأهل البلاد الأصليين من سريان وآرام فانتشروا على حدود سوريا وفلسطين مما يلى البادية بين سيناء والفرات .

---

(١) العرب قبل الإسلام لجرجى زيدان .
(٢) أنشأ الأنباط حضارة باهرة وقطعوا شوطا واسعا فى مبادين الفن والرقى .

الادوميون :

هم أولاد عمومة لإسرائيل ويرجع نسبهم إلى عيسو أخى يعقوب بكر إسحق (١). أما لماذا سمى آدوم فلأنه تاقت نفسه لأكلة عدس كان يطبخها أخوه يعقوب ، « فقال عيسو ليعقوب أطعمنى من هذا الأحمر لأنى قد عييت لذلك دعى اسمه آدوم » (٢) . ويعقوب فى دهائه ومكره لم يعط أخاه أكلة عدس باطلا بل بأغلى ثمن بأن يتنازل عيسو عن البكورية له .

ومن ثم تولد الاحتقار فى قلب عيسو ، وولد الجبن والخوف فى قلب يعقوب حتى أن يعقوب تضرع إلى الله قائلا : « نجنى من يد أخى من يد عيسو لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين وأنت قد قلت إنى أحسن إليك وأجعل نسلك كرمل البحر الذى لا يعد » (٣).

أما عيسو فهاجر تاركا البلاد لأخيه يعقوب : « ثم أخذ عيسو نساءه وبنيه وبناته وجميع نفوس بيته ومواشيه وبهائمه وكل مقتناه الذى اقتنى فى أرض كنعان ومضى إلى أرض أخرى من وجه يعقوب أخيه » (٤).

ومن التنافر بين الأخوين توارث الأبناء العداوة والكراهية . وزاد الطين بلة أن عيسو لم يحظ برضا والديه لاقترانه ببنت إسماعيل عمه وببنات

---

(١) انظر إلى تكوين ٢٥ : ٢١ — ٢٦ .
(٢) انظر إلى تكوين ٢٥ : ٢٩ — ٣٤ .
(٣) تكوين ٣٢ : ١١ ، ١٢ .
(٤) تك ٣٦ : ٦ .

الحثيين « فكانت هذه النساء مرارة نفس لإسحق ورفقة » [١]. وعلى النقيض استحوذ يعقوب على حب والديه بطاعته لهما واقترانه بمن تهواها نفساهما [٢].

ومن عيسو خرج ملوك وأمراء « ملكوا فى أرض آدوم قبلما ملك ملك لبنى إسرائيل » [٣]، « فسكن عيسو فى جبل سعير وعيسو هو آدوم» [٤]. وكانت منازلهم بادىء ذى بدء جنوبى البحر الميت، ثم اتسعت حتى شملت جزءاً كبيراً من الأراضى التى تؤلف دير السبع فى الوقت الحاضر، وكانوا قبائل وفرقا، وقد حاول شاول أن يتغلب عليهم فى القرن العاشر قبل الميلاد فلم يفز بطائل[٥]، فلما تولى داود الأمر أخضعهم [٦] فحقدوا عليه ومالئوا أعداءه وأعانوهم على حربه، وقد ساعدوا نبوخذ نصر يوم نهب أورشليم وذبح أهلها [٧] فجزاهم خير الجزاء، وأيد سلطتهم فى آدوم ووسع نطاقها من تخوم مصر حتى البحر المتوسط. وقد ظلوا فى سعة من العيش حتى داهمهم الأنباط واحتلوا بلادهم وبذلك انتهى ملكهم وسلطانهم.

العمالقة :

وهم من أبناء عيسو[٨] وجاء ذكرهم عند التحام بنى إسرائيل بهم بعد خروجهم من مصر « وأتى عماليق وحارب إسرائيل فى رفيديم » [٩]، وتروى التوراة أن الله ناصر لموسى وقومه — لأنهم صورته على الأرض ونموذج حى للتوحيد — على عماليق « فإنى سوف أمحو ذكر عماليق »[١٠].

---

(١) تك ٢٨ : ٩؛ تك ٢٦ : ٣٤، ٣٥؛ تك ٢٧ : ٤٦ .
(٢) تك ٢٨ : ١ — ٨ . (٣) تك ٣٦ : ٣١ .
(٤) تك ٣٦ : ٨ . (٥) ١صم ١٤ : ٤٧ — ٥٢ . (٦) ٢ صم ٨ : ١٤ .
(٧) ٢ مل ٢٤ : ٢؛ ٢ مل ٢٥ : ٨ — ١٠؛ ١٢ مل ٢٥ : ٢٢ .
(٨) انظر تك ٣٦ : ١٥ . (٩) خر ١٧ : ٨ . (١٠) خر ١٧ : ١٤، ١٥ .

ولا ريب أن كتبة التوراة سيطرت على أذهانهم العنصرية الاستعلائية فجعلوا الله تعالى وفقاً لنزعاتهم يحارب عنهم وينصرهم ويقهر أعداءهم .

كما نسبوا لموسى نبى الله التجسس والحث عليه لاستطلاع أرض كنعان[١]، فعاد الجواسيس وأذاعوا أن الأرض التى مروا فيها هى أرض تأكل سكانها وهناك الجبابرة بنى عناق[٢] : « فكنا فى أعيننا كالجراد ، وهكذا كنا فى أعينهم ». لكن الشعب فضح نفسه بنفسه فصرخت كل الجماعة وبكى الشعب تلك الليلة وتذمر على موسى وتطاولوا على الله بقولهم: لماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض فنسقط بالسيف[٣].

واندلعت الحرب بين إسرائيل وعماليق، وعلم موسى أن إسرائيل لن تقوى عليهم لحذرهم وظل وتابوت عهد الرب فى مكانهما ، فنزل العمالقة والكنعانيون وضربوا إسرائيل وقهروهم وكسروهم إلى حرمة[٤] .

وبنو إسرائيل جبلوا على الجبن والخوف واشتهروا بالمكر والدهاء وأرادوا أن يقيموا لهم كياناً يرهبون به أعداءهم فنسبوا إلى الله أنه اصطفى يعقوب وحرم عيسو[٥] وجعل الأرض ميراثاً ليعقوب ولبنيه من بعده حتى ولو كان على حساب انتزاع أرض الآدوميين .

العموريون :

ومن الأمم التى عاشت فى دير السبع فى الأزمنة الغابرة وكان لها ذكر جليل فيها « العموريون » ، فقد كان لهؤلاء فى فلسطين خمس مدن هى :

---

(١) انظر عدد ١٣ : ١٧ — ٣٣.   (٢) ولقد استغل هذه المادة استغلالا طيبا كاتب رواية Gulliver المقررة على المدارس الإعدادية .

(٣) انظر عدد ١٤ : ١ — ٣.   (٤) انظر عدد ١٤ : ٤٢ — ٤٥.

(٥) انظر تك ٢٨ : ١٣ — ١٥ .

أورشليم « يبوس » ، وحبرون « الخليل » ، ولاخيش « تل الحسى » ، وعجلون « خربة عجلان » ، ويرموث « عراق المنشية » .

وتذكر التوراة حسن تصرف إبراهيم مع ابن أخيه لوط يوم أن تنازع رعاتهما على الأرض بأن اعتزل ابن أخيه لوط ، وسكن لوط أرض عمورة ، وقد كانت كجنة الرب كأرض مصر (١) ، وسكن إبراهيم فى أرض كنعان (٢) .

وتذكر التوراة الملوك الذين ملكوا الأرض وكان إبراهيم وإسحق ويعقوب وبنوه غرباء فى تلك الأرض (٣) .

وتسجل التوراة الأرض لسكانها الأصليين فى حادث نجدة إبراهيم لابن أخيه لوط عندما وقع أسيراً فى حرب بين ملوك الأرض (٤) .

كما تسجل التوراة أن عبادة الله الواحد الأحد كانت معروفة قبل إبراهيم عليه السلام : « وملكى صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العلى وباركه وقال : مبارك أبرام من الله العلى مالك السموات والأرض ، ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك » (٥) .

وملكى صادق هذا من نسل كنعان كان ملكا على مدينة وولاية يبوس ، ويبدو أن ملكى صادق وإبراهيم كانا ابنى عم مثل يعقوب وقيدار ، ذلك بأن نسلهما قد بدأ بولدى نوح وهما حام وسام وقد سار النسلان جنباً إلى جنب فولد حام كنعان وأقام فى أرض الشام « سوريا ولبنان وفلسطين والأردن » وولد سام أرفكشاد الذى أقام فى العراق والجزيرة العربية (٦) .

وقد شمل سلطان العموريين تل الملح ، وتل عواد ، والبحر الميت ، واتسع

---

(١) انظر تك ١٣ : ١٠ ، ١١ .
(٢) انظر تك ١٣ : ١٣ .
(٣) انظر تك ١٤ : ١ — ١٠ .
(٤) انظر تك ١٤ : ١٥ — ٢٠ .
(٥) تك ١٤ : ١٧ — ٢٠ .
(٦) تكوين ١٠ : ٣٠ .

حتى شمل جزءاً كبيراً من شرق الأردن . ويقول السير « فلندرس بترى » إنهم استولوا على مصر فى عهد مرن رع من فراعنة مصر سنة ٣٢٣٥ ق . م .

ولقد كان العموريون من ألد أعداء بنى إسرائيل ، وليس لهذا العداء من سبب سوى أن هؤلاء أرادوا أن يخرجوهم من أوطانهم ، وقد اتحدت مدنهم الخمس وحاربت بنى إسرائيل زمناً طويلا .

العبرانيون

حوالى عام ١٨٠٥ ق. م. هاجر إبراهيم وجماعته من مدينة « أور » الكلدانية فى العراق إلى أرض كنعان بعد أن عبروا نهر الفرات فنهر الأردن ، ولذلك سموا بالعبرانيين [١] . وأتوا إلى حاران وسكنوا هناك وفيها ولد لإبراهيم إسحق ولإسحق ولد عيسو ويعقوب .

ومن عجب أن يعقوب ولد له الأسباط الاثنا عشر فى أرض فدان أرام موطن خاله لابان بل موطن جده إبراهيم [٢] وانتسبوا إليه وحملوا اسم إسرائيل الذى دعى به يعقوب عند منازلته لله وانتصاره عليه [٣] ، وعندما ظهر الله له وباركه بميراث الأرض له ولبنيه من بعده [٤].

سكن إبراهيم أرض كنعان وتاقت نفسه إلى ولد يكون امتداداً له، فناجى ربه قائلا : « ماذا تعطينى وأنا ماض عقيما؟ » [٥] فوعده الله بأرض تمتد من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات [٦].

وآمن إبراهيم وزوجه سارة بوعد الله وأدخلته على هاجر جاريتها لتلد له ولداً يحمل اسمه ويتحقق فيه وعد الميراث [٧] « فولدت هاجر لأبرام ابناً .

---

(١) انظر تك ١١ : ٣١ .

(٢) انظر تك ٢٨ : ١ — ٥ ، تك ٣١: ١٧--٢١ ، تك ٣١ : ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) انظر تك ٣٢ : ٢٤ — ٢٩ .

(٤) انظر تك ٣٥: ٩ — ١٥.

(٥) تك ١٥ : ٢:

(٦) انظر تك ١٥ : ١٨ .

(٧) انظر تك ١٦ : ٣، ٤.

ودعا أبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر إسماعيل »[١] .

وعندما بلغ إبراهيم من العمر مائة عام ولد له ولد آخر هو إسحق من زوجته الأولى سارة[٢] ، لتأكيد قدرة الله على العطاء . لكن الاحتكاك العائلى والتكالب على الدنيا دفعا سارة إلى أن تضغط على زوجها إبراهيم ليطرد زوجته هاجر وابنهما إسماعيل حتى تضمن الوعد فى ابنها إسحق[٣]. وحزن قلب إبراهيم على ابنه إسماعيل فأكد الله القدير الوعد له بقوله :« وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة »[٤] . كما أكد الله وعده لهاجر بقوله : « إنى سأجعله أمة عظيمة »[٥] .

بئر سبع :

وتاريخ بئر سبع حافل بالوقائع التى لها صلة بالعبرانيين[٦] ، وسميت كذلك لوجود سبع آبار فى المنطقة وتدلل التوارة بذكرى ميثاق بين إبراهيم وأبيمالك ملك الفلسطينيين لاستتباب الأمن والسلام بينهما[٧].

وإسرائيل فى فترة إقامتهم ومناوشتهم لسكان الأرض أرض كنعان لم يقووا على سكان البلاد[٨] .

أما حادثة ميثاق إبراهيم مع أبيمالك فيرجح أنها وقعت حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م . فى عصر الأسرة الثانية عشرة لفراعنة مصر .

---

(١) تك ١٦ : ١٥ .
(٢) انظر تك ١٧ : ١٥ — ١٧ ، تك ٢١ : ١ — ٨ .
(٣) انظر تك ٢١ : ٩ — ٢١ .
(٤) تك ١٧ : ٢٠ . (٥) تك ٢١ : ١٨ .
(٦) The Encyclopeadia Britanica .
(٧) انظر تك ٢١ : ٣١ ، ٣٢ .
(٨) انظر يشوع ١٥ : ٦٣ ، ١٩ : ١ ، ٢ .

ويتحول بنو إسرائيل إلى عصابات لاغتصاب البلاد وطرد أهلها ، ويبررون أعمالهم العدوانية بالتقنين بقانون سماوى فزعموا أن الله قد استأثر بالوعد لإسحق دون إسماعيل[١] وأن الله فدى إسحق لا إسماعيل[٢] ، ومعنى هذا أن الميراث محصور فى إسحق دون إسماعيل ، وهذا زعم باطل نفاه الله فى محكم آياته[٣] .

ومن قبل زعموا أن الله سبحانه وتعالى هدى نوحا أن يبارك ابنه سام مقابل لعنه حام وصيرورته عبداً لسام[٤] .

ومن بعد زعموا أن الله بارك يعقوب دون عيسو ، ومعنى هذا أن ممتلكات كنعان وآدوم حلّت لإسرائيل ومن ثم كان الزعم بأن الله قد وعدهم بميراث الأرض قائلا : « فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات . القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين »[٥] .

وهنا تتدافع المطالبة بالحقوق الشرعية :

١ ـــ حقوق إسماعيل فى أبيه إبراهيم التى انتزعتها سارة والدة إسحق .

٢ ـ حقوق عيسو فى أبيه إسحق التى انتزعتها رفقة أمه لمحبتها ليعقوب .

---

(١) انظر تك ١٧ : ١٨ — ٢١ ، تك ٢١ : ٩ ، ١٠ .

(٢) انظر تك ٢٢ : ١ — ١٩ .

(٣) انظر سورة الصافات : ١٠١ — ١١٢ .

(٤) انظر تك ٩ : ٢٠ — ٢٧ .

(٥) انظر تك ١٥ : ١٨ — ٢٠ ، يشوع ٧ : ١ - ١١ .

٣ ــ حقوق حام فى أبيه نوح الذى زعموا أنه لعنه وصيره عبداً لابنه سام .

إنهم ضيقوا حلقة الميثاق من إبراهيم وخلعوها فى يعقوب فحسب ، وزعموا أن الله جعل الوعد والميراث للأرض ليعقوب دون سواه [١] .

هذه مزاعمهم بينما الحقائق تؤكد الوفاق بين إسحق وإسماعيل عندما مات إبراهيم « دفنه إسحق وإسماعيل فى مغارة المكفيلة »[٢].

والوفاق بين يعقوب وعيسو عندما مات إسحق « دفنه عيسو ويعقوب ابناه »[٣] .

هجرة اسرائيل الى مصر :

نزح يعقوب وأولاده إلى مصر عام ١٧٢٠ ق . م . بسبب القحط فى فلسطين[٤] . وفى مصر تكاثروا وتنكروا لأولياء نعمتهم المصريين وتواطئوا مع أعداء مصر مما دفع فراعنة مصر إلى التخلص منهم بعد أن أقاموا بمصر حوالى ٤٣٠ سنة كما تذكر التوراة [٥] .

وكان خروجهم فى زمن نبى الله موسى معاصراً لعهد رعمسيس الثانى ١٢٩٨ ـ ١٢٣٢ ق . م . حيث هرب موسى بقومه من وجه فرعون حوالى سنة ١٢٩٠ ق . م .[٦].

(١) انظر تك ٣٥ : ٩ — ١٢.
(٢) انظر تك ٢٥ : ٩ — ١٠. (٣) انظر تك ٣٥ : ٢٩ .
(٤) انظر تك ٤٦ : ١ — ٧ . (٥) انظر خروج ١٢ : ٤٠ .
(٦) انظر خروج ١٣ : ١٧ — ٢٢ ، ١٤ : ١ — ٣١ .

موسى نبى الله وشعب اسرائيل :

حاول موسى أن يقود بنى إسرائيل إلى أرض كنعان (١) لكنه عانى من بنى إسرائيل تمرداً وعصياناً لله وإشراكاً به حتى أن الله أتاههم فى البرية أربعين سنة وفنى جيل موسى عداه وهرون وكالب بن يفنة فى البرية قصاصاً لعصيانهم وتمردهم (٢) .

ويعلل هانتنغتون E. Huntington انكسارهم أمام العمالقة بأن العمالقة كانوا متحصنين فى النقب وليس من السهل على أى جيش فى العالم أن يجتاز هذا النقب من غير أن يتكبد خسائر فادحة .

وموسى عليه السلام كان فى تحركاته يهتدى بالله ولهذا فإن الله أيده بنصره ومكن بنى إسرائيل تحت قيادته ووجود تابوت عهد الله فى وسطهم من النصر على الأمم حواليهم .

وكاد بنو إسرائيل أن يشرفوا على الهلاك فى المرة الأولى (٣) لولا أنهم ارتدوا على أعقابهم ثم حاولوا مرة ثانية اجتياز منطقة النقب « بئر السبع » وإخضاع العمالقة (٤) .

ويدفع موسى بنى إسرائيل لامتلاك أرض كنعان فيخاطبهم بقوله: « كفاكم قعودا فى هذا الجبل. تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين » (٥) . ويتحول

---

(١) انظر خروج ٣ : ٨ .

(٢) انظر عدد ١٤ : ١ — ٤٥ ، خروج ٣٢ : ٧ — ١٤ .

(٣) انظر عدد ١٤ : ٤١ — ٤٥ « لاتصعدوا. لأن الرب ليس فى وسطكم لئلا تنهزموا أمام أعدائكم » .

(٤) انظر خروج ١٧ : ٨ — ١٣ « وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب وإذا خفض يده أن عماليق يغلب » .

(٥) تثنية ١ : ٦ ، ٧ .

الشعب الرعديد (١) الجبان بطاقة جبارة بعثها فيهم نبيهم موسى بوعوده أنهم يمتلكون الأرض وأن الله يحارب عنهم ، وأن الله يطرد كل سكان الأرض (٢) ، ولكنه عاد فجعل مناصرة الله لهم مشروطة بطاعتهم لله (٣) . وتنتهى مهمة موسى عند البرية حيث يدفنه الرب فى الجواء فى أرض موآب (٤). ويتولى الخلافة بعده يشوع بن نون (٥) فيقود شعب إسرائيل ويعبرون نهر الأردن سنة ١١٨٦ ق . م . وقد دفعهم للحرب بكل وحشية قائلا لهم : « حرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . وأحرقوا المدينة » (٦) . إن منطق يشوع هذا هو منطق عصابات الهاجاناه والاشتيرن الذين بعثوا الرعب فى المواطنين الفلسطينيين أثناء الانتداب البريطانى على فلسطين . بل إن الأسلوب الذى اتبع فى مذبحة دير ياسين هو الأسلوب نفسه الذى اتبعه يشوع فى حربه مع الكنعانيين وإرغامهم على الهجرة من البلاد ، على عكس ما قضت به الشريعة الموسوية بالوصية : « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح .. »(٧) . ولم يترك الله البشرية تقاتل باسم الدين بغير حق فأنزل آياته البينات بقوله تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا »(٨) .

---

(١) لاويون ٢٦ : ٣٦ ــ ٣٩ .

(٢) انظر عدد ٣٣ : ٥٠ — ٥٣ .

(٣) خروج ٣٤ : ١١ — ١٦ .

(٤) تثنية ٣٤ : ١ — ٦ .

(٥) انظر يشوع : ١ — ٩ .

(٦) انظر يشوع ٦ : ٢١ — ٢٤ .

(٧) تث ٢٠ : ١٠ — ٢٠ .

(٨) المائدة : ٣٢ .

ومن حكمة الله فى قوله : « مانسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أومثلها » . وكانت شرعة الله فى القتال واضحة بينة فى الآيات الواردة فى سورة الممتحنة آيات ٧ ـــ ٩ ، الأنفال آية ٣٩ ، ٤٠ .

بنو اسرائيل لم يستطيعوا طرد سكان الارض ولا ان يحافظوا على شرعة الله :

غزا يشوع أرض كنعان ، وتذكر التوراة الآيات والمعجزات التى صنعها له الله لتأييد وجوده بينهم قائدا لجند إسرائيل منها وقف مياه الأردن : « ويكون حينما تستقر بطون أقدام الكهنة حاملى تابوت الرب سيد الأرض كلها فى مياه الأردن أن مياه الأردن المياه المنحدرة من فوق تنفلق وتقف ندا واحدا » [١] ، وذلك على غرار ما صنعه الله مع موسى عند مواجهته للبحر عند فم الحيروث أمام بعل صفون ، « إذ مد موسى يده على البحر فأجرى الرب بريح شرقية كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء » [٢] .

ولعل هذه الآيات والمعجزات التى رأوها رأى العين كانت كفيلة بتثبيتهم على الإيمان ، لكنهم سرعان ما اندمجوا بسكان البلاد وامتزجوا بهم بالمصاهرة وتأثروا بأخلاقهم وعاداتهم [٣] وبهذا انحرفوا عن الصراط المستقيم . وبعد وفاة يشوع تولى قضاة تتابعوا على حكم إسرائيل والدفاع عنهم وظلوا طيلة عهد القضاة فى فتن وحرب مع سكان البلاد فلم يقووا على العمالقة والفلسطينيين والكنعانيين حيث استعبدهم تكراراً ومراراً يابين ملك كنعان ، وكذلك مديان وأيضاً زعماء الفلسطينيين ، وقد زاد فى بلوائهم تفرق كلمتهم .

---

(١) انظر يشوع ٣ : ٩ ـ ١٧ .

(٢) انظر خروج ١٤ : ١ — ٣٠ .

(٣) قضاة ٣ : ٥ — ٦ .

تتويج شاول ملكا لاسرائيل :

ظل بنو إسرائيل متنازعين فيما بينهم مستعبدين مستذلين من شعوب الأرض وسكانها ، وتاقت نفوسهم إلى الكيان السياسى شأنهم شأن الأمم حواليهم ، فنظموا أنفسهم وطلبوا من نبيهم صموئيل قائلين له : « اجعل لنا ملكا يقضى لنا كسائر الشعوب »(١). وجعل شاول عليهم ملكا . ثم تذكر التوراة أن الله ندم على تتويج شاول وأن الله يؤثر داود عليه وتتولد منازعة بينهما تنتهى بأن يسيطر داود على زمام الأمة الإسرائيلية (٢) سنة ١٠٠٧ ق . م على أثر موت أشبال بن شاول البنياميني(٣)، ثم يدخل فى حرب مع الفلسطينيين حتى يتم له النصر عليهم سنة ١٠٠٠ ق . م ، واستولى على يبوس « القدس » بعد أن انتصر على الكنعانيين وجعلها قاعدة لملكه كما أخضع العمالقة فى الجنوب والآدوميين فى وادى الملح وجعلهم يدفعون له الجزية كما أخضع جرار من قبل عام ٩٩٥ ق . م ، حيث أقام فى صقلغ سنة وأربعة شهور(٤) لاجئاً سياسياً عندما هرب من وجه شاول الملك . وكان وجوده بها نكبة على البلاد إذ أحرقها العمالقة انتقاماً من داود(٥) .

مملكة سليمان .. هيكل سليمان .. مدينة اورشليم :

ازداد هذا الملك اتساعا فى عهد سليمان ، ومن ثم فقد تحقق ميثاق الله لإبراهيم فى ميراث الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات (٦) ، وازدهرت مدينة يبوس التى أطلق عليها بعدئذ « أورشليم » ، وبنى سليمان

---

(١) انظر ١ صم ٨ : ٥ ، ١ صم ١٢ : ١.   (٢) انظر ١ صم ١٥ : ١٠ ، ١١ ، ١ صم ١٦ : ١ — ١٤ ، ١ صم ١٩ : ١ ، ٢ ، ١ صم ٢٣ : ١٥ — ١٨ ، ١ صم ٢٧ : ١ — ٤ ، ٢ صم ٣ : ١ ، ٢ صم ٥ : ١ — ٥ .

(٣) ٢ صم ٢ : ١٠ ، ١١.   (٤) ١ صم ٢٧ : ٥ — ٧ .

(٥) انظر ١ صم ٣٠ : ١ — ٦ .   (٦) تك ١٥ : ١٨.

هيكلا جميلا فى البقعة نفسها ، والمعتقد أن مذبح سليمان أمام الهيكل قد وضع فوق الصخرة التى بنى داود [١] عليها مذبحاً أيضاً حيث كان جده الأعلى قد بنى مذبحاً من قرون عديدة خلت[٢] ودعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرأه حتى إنه يقال اليوم فى جبل الرب يرى .

صخرة المريا :

إن هذه الصخرة العظيمة فى مكانتها القدسية تناظر الحجر الأسود فى الكعبة فهى تبعث الحيرة والجزع حتى فى نفوس علماء اليوم المحدثين . فبالرغم من أن فناء الهيكل فى القدس هو القمة المستوية لحافة من حجر الكاس زبدية اللون ، فإن صخرة المريا ذات سواد متلألىء ، كبيرة سائبة ومستديرة فى حجم البيت ، مدفونة إلى نصفها فى الوسط الغربى من فناء الهيكل ، فى ظلام القبة الهائلة من المسجد المدعو بمسجد قبة الصخرة المبنى فوقها .

فهل اختار الله يبوس « أورشليم » التى تسمى اليوم « القدس » لأنها كانت مدينة سلام ؟ أو أنها توصلت إلى تلك الصفة بعد أن أقيمت عبادة لله ومنزلها البيت الحرام . فلما بعث فيهم عيسى طهر الهيكل منددا ببنى إسرائيل قائلا : « بيتى بيت صلاة يدعى لجميع الأمم وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » [٣] . كما توصلت مكة المكرمة ببيت الله الحرام فيها إلى إقامة عبادة لله فلما بعث سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم طهر البيت للعاكفين [٤] .

---

(١) ٢ صم ٢٤ : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) انظر تك ٢٢ : ١ — ٢ ، ٩ — ١٤ .

(٣) مرقس ١١ : ١٥ — ١٨ .

(٤) البقرة : ١٢٤ ، ١٢٥ .

زوال مملكة سليمان :

إن هذا النصر الذى أيد الله به عبديه داود وسليمان كان بمثابة إشراقة نورانية لشعوب الأرض عن المجتمع الذى يسير مع الله وفى طريق الله ، إلا أن بنى إسرائيل تبدلوا وتغيروا وألهتهم دنياهم عن آخرتهم ، فواجهت صخرة المريا مصيرا مؤلما ذلك أن الإسرائيليين بدلا من أن يبقوا هناك على صفاء عبادة الإله الأعلى حقروها وحطوا من قدرها (١) .

وتزعم التوراة أن سليمان ذاته انحرف وأشرك بالله بعد « أن أحب نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات أدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلثمائة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه » (٢) ، والناس ينهجون على نهج ملوكهم ، ومن ثم أعلن الله انقسام المملكة بعده(٣).

مملكتا اسرائيل ويهوذا :

خلف رحبعام أباه وورث تركة مثقلة بالآثام والخطيئة مما أضعف شوكة اليهود . وسار شيشنق فرعون مصر — فى عهد الأسرة الفرعونية الثانية والعشرين ٩٥٠ ق . م . — ٧٣٠ ق . م — وغزاها وتوج عميله « يربعام » ملكا على إسرائيل وأبقى رحبعام ملكا على يهوذا(٤) .

ومن ثم انقسمت المملكة التى اتسعت فى عهد سليمان بعد أن بلغت

---

(١) انظر ١ مل ١١ : ٧ — ٨ . (٢) انظر ١ مل ١١ : ١ـ٣ ،
(٣) ١ مل ٢١ : ١١ ـ ١٣ . (٤) انظر ٢ خب ١٢ : ١ـ ١٢ .

الذروة فى الشهرة حتى أن ملكة سبأ (١) تجشمت الأسفار لترى بعينيها الأمجاد التى بلغها سليمان .

ولم تقو المملكتان على الاحتفاظ بالسيادة والسلطان حتى داهمت أشور مملكة إسرائيل وأزالتها من الوجود نهائيا سنة ٧٢٢ ق . م ، ودمر نبوخذ نصر ملك بابل أورشليم وخرب هيكل سليمان وسبى يهوذا إلى بابل سنة ٥٨٦ ق . م .

وفى هذا تأكيد للإنذار الإلهى على لسان موسى عليه السلام (٢) :

« إذا ولدتم أولادا وأولاد أولاد وأطلتم الزمان فى الأرض وفسدتم وصنعتم تمثالا منحوتا صورة شىء ما وفعلتم الشر فى عينى الرب إلهكم لإغاظته أشهد عليكم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعا عن الأرض التى أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها . لا تطيلون الأيام عليها بل تهلكون لا محالة » .

وبدلا من أن يهجر نصفا المملكة ، أو المملكتان اللتان انقسمت إليهما مملكة سليمان خطاياهما استمرتا فى إثمهما وفى الانهماك فى جميع ضروب الخطيئة وعبادة الأوثان ، وهذه الشرور اقتحمت الهيكل أخيراً وتبدت فى طقوس دينية سرية خبيثة ، كل هذا فى البقعة نفسها التى كان إبراهيم فيها قد استمع إلى كلمات الله ، وحيث كان داود قد رأى الملاك المنتقم مصلتا سيفه فوق القدس .

---

(١) انظر ١ مل ١٠ : ١ — ١٠ .

(٢) تث ٤ : ٢٥ — ٢٨ .

« وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل . وعبّروا بنيهم وبناتهم فى النار وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عينى الرب لإغاظته فغضب الرب جدا على إسرائيل ونحاهم من أمامه » (١) .

أصبحت مملكة يهوذا نهبا مقسما بين حكومتى مصر وبابل ، كلما انحازوا لجهة غضبت عليهم الجهة الأخرى وأسرعت تصب جام غضبها عليهم ، فإن آحاز انحاز لأشور مستعينا بملكها « تغلث فلاسر » (٢) ، ثم ندم وعصاه ، واتجه يحتمى بالمصريين الأمر الذى سبب غضب سنحاريب وأدى إلى حروب طاحنة بين الفريقين .

وفى عهد صدقيا أيضا انحازت مملكة يهوذا إلى ملوك مصر ، ولما صارت كلمة بابل هى العليا انسلخت هذه عن مصر ودخلت تحت طاعة بابل ، فجاء نبوخذ نصر ونفى اليهود إلى بابل وأصبحت هذه البلاد مستعمرة بابلية .

وفى الفترة مابين سبى إسرائيل سنة ٧٢٢ ق . م ، وسبى يهوذا سنة ٥٨٦ ق . م ، جاء أنبياء ينذرون بالشدة نفسها ولكن دون جدوى ، فأنذرهم نبيهم إرمياء بقوله : « ويعبر أمم كثيرة فى هذه المدينة ويقولون الواحد لصاحبه لماذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة ؟ فيقولون : من أجل أنهم تركوا عهد الرب إلههم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها » (٣) .

فإذا كان الصهيونيون يستمسكون بميثاق الله لإبراهيم « لنسلك أعطى هذه

---

(١) ٢ مل ١٧ : ١٦ ، ١٧ .

(٢) ٢ مل الأصحاح ١٦ ، والأصحاح ١٧ .

(٣) إرمياء ٢٢ : ٨ ، ٩ .

الأرض »(١) فإنه يلزم أن نقر كذلك بأن هذه الإنذارات على لسان موسى وداود وسليمان (٢) والمسيح عيسى بن مريم كانت أيضا عهودا من الله .

وهكذا ضاعت الأرض الموعودة !!

لكن الله سبحانه وتعالى مع أنه قطع عن بنى إسرائيل الأنبياء منذ سبى بابل حتى مولد عيسى بن مريم إلا أنه قد وعد ببعث المسيح برسالة السلام والمحبة التى تنبأ بها إشعياء بقوله : « ويكون فى آخر الأيام أن جبل الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال . . . لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب » (٣) .

وكيف يتأتى أن يأتى المسيح وشعب يهوذا مسبى فى بابل . فهل كذب الله فى وعده عندما قال : « وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا . لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل »(٤) ؟ !

كورش ملك فارس مسخر لاتمام ارادة الله :

ولما احتل الفرس فلسطين فى زمن كبيرهم « كورش » سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين سنة ٥٣٦ ق . م (٥) ، كما امتد سلطان الفرس فى عهد قمبيز حتى مصر ، وظلت مصر خاضعة للإمبراطورية الفارسية من سنة ٥٢٥ ق . م . حتى سنة ٤٠٤ ق . م . وبالتالى كانت فلسطين ولاية فارسية ، ولعل

(١) تك ١٥ : ١٨ .
(٢) ١ مل ٩ : ٦ — ٩ ،
(٣) إشعياء ٢ : ٢ — ٤ ، ميخا ٤ : ١ — ٤ .
(٤) متى ٢ : ٦ .
(٥) ٢ خب ٣٦ : ٢٢ ، ٢٣ ، عزرا ١ : ١ — ٤ .

ملوك فارس قد سمحوا ليهوذا بالعودة إلى فلسطين ليصبحوا عملاء للإمبراطورية الفارسية لحماية مصالحها فى مصر وليكونوا صمام أمان لضمان السيادة الفارسية على مصر .

ومن التاريخ القديم أن يهوذا عميلة للاستعمار ضد مصر .

ومن التاريخ الحديث أن إسرائيل عميلة للاستعمار ضد مصر وضد العرب .

وكأن التاريخ يعيد نفسه وإن اختلفت مواقع القوى الاستعمارية .

وتتم إرادة الله السرمدية فيولد المسيح عليه السلام فى أيام هيرودس الملك (١) ، وتتفق أحداث مولده وأحداث مولد موسى إذ فى كليهما تعرض لمؤامرة القتل بأمر من الملك (٢) ، وكلاهما امتاز بالذروة ، فعلى جبل سيناء تلقى موسى الشريعة (٣) ، وعلى جبل صهيون أذاع المسيح موعظته (٤) الخالدة التى نادى فيها بالإيمان والمحبة والسلام ، وبهذا تحققت نبوءة إشعياء فى هذه الموعظة : « لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب » .

وهكذا دالت دولة إسرائيل بعد أن عاشت أربعة قرون فحسب من سنة ١٠٠٠ ق . م إلى ٥٨٦ ق . م . وهذه مدة أقل من المدة التى قضوها مغتربين فى أرض مصر حسب توقيت الكتاب المقدس وتبلغ ٤٣٠ سنة(٥).

---

(١) متى اصحاح ٢ .

(٢) متى ٢ : ١٣ ، خروج ١ : ١٥ — ٢٢ ، خروج ٢ : ١ — ١٠ .

(٣) خروج ٣ : ١ — ٢٢ . (٤) متى اصحاحات من ٥ — ٧ .

(٥) خر ١٢ : ٤٠ .

وعادت فلسطين بعد ذلك كنعانية عربية تستقبل هجرات العرب من سوريا ومن الجزيرة العربية . وأصبحت البقية الباقية من إسرائيل وهم يهوذا ولاية فارسية بعد أن سمح لهم كورش بإعادة بناء الهيكل (١) ، ثم غزاها الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق . م ، وأتبعها لدولة الإغريق ، ثم غزاها العرب الأنباط عام ٩٠ ق . م . وظلت تابعة لعاصمتهم «البتراء» ، ثم غزاها الرومان واحتلوها فى أوائل القرن الأول الميلادى فى عهد القائد « بومبى » ، وأصبحت فلسطين ولاية رومانية تحت السيادة الرومانية ، وقد منحت استقلالا داخليا فولوا عليها بادىء ذى بدء أحد أفراد الأسرة المكابية (٢) الشهيرة « هركانوس » ثم « أنتيباس » ثم « هيرودس » .

وبعد وفاة « هيرودس » ألحقت فلسطين بروما مباشرة ، وأخذ الأباطرة يعينون عليها ولاة رومانيين ، وفى عهد أغسطس قيصر وقبل وفاة «هيرودس» ظهر السيد المسيح .

وفى ذلك العهد وقعت لليهود أحداث هامة وحاسمة فى تاريخهم . ففى سنة ٢٧ م تآمر رؤساء اليهود والكهنة على المسيح واتهموه بالكفر ثم بالخيانة(٣) .

وفى عام ٧٠ م حاولوا استغلال المركز الدينى الممنوح لهم فى القدس بعد عودتهم من الأسر البابلى لأغراض قومية وسياسية ، فزحف الإمبراطور تيطس وأخمد ثورتهم ودمر الهيكل مركز تجمعهم تحقيقاً لنبوءة المسيح ضدهم بخراب أورشليم ودمار الهيكل (٤).

---

(١) انظر عزرا ١ : ٣ ، ٧ — ١١ .

(٢) انظر سفر المكابيين وهو من الأسفار المحذوفة المعروفة بالابوكريفا وتوجد مضمنة فى الكتاب المقدس فى العهد القديم منه فى الطبعة الكاثوليكية لليسوعيين .

(٣) يوحنا ١١ : ٥٣ ، لوقا ٢٣ : ١ ، ٢ ، يوحنا ١٩ : ٧ .

(٤) انظر متى ٢٣ : ٣٧ — ٣٩ ، ٢٤ : ١ — ٢ .

عهد المسيح عليه السلام :

جاء المسيح عليه السلام وكان أشجع من أولئك الذين سبقوه والذين اكتفوا بحرب كلامية على الشر وهذا أضعف الإيمان ، جاء فى فترة طغت فيها المصالح المادية وأخذ رؤساء الكهنة وبطانتهم يستغلون عبادة الله تجارياً ، فجباة العشور فى الهيكل دفعوا أنصارهم المتنافسين إلى أن يقاتل بعضهم بعضا فى الشوارع كما يفعل اللصوص وقطاع الطرق ، والصرافون الذين كانوا يجلسون إلى موائدهم فى الهيكل نفسه كانوا يتخذون صفة السماسرة للكهنة الكبار ، ويبتزون الأموال من الحجاج البائسين دون رحمة أو شفقة ، والكهنة لا يمارسون الشعائر الدينية إلا إذ جنوا أرباحاً وفيرة : « إنكم تأكلون بيوت الأرامل ، ولعلة تطيلون صلواتكم »(١) . فندد بالكهنة والفريسيين بالنقد المرير(٢) وغار غيرة الرب على بيت الرب وأخذ يطهر البيت للعا كفين (٣) ، فكانت نتيجة هذا الموقف الجرىء بالحق على الباطل أن جعل رؤساء الكهنة يتآمرون عليه (٤) ويعللون مؤامرتهم بقول رئيس الكهنة : « إنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها . . . فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه »(٥) . لكن المسيح وجد من الشعب قبولا طيبا ووقفوا معه ، ذلك لأنه نادى بالسلام وقد كانوا يعيشون فى قلق واضطراب ، ونادى بالمحبة بعد أن أكلت العداوة قلوبهم ، ونادى بالطهارة بعد أن استشرى الفساد .

---

(١) متى ٢٣ : ١٤ .

(٢) متى أصحاح ٢٣ .

(٣) مرقس ١١ : ١٥ — ١٧ . لوقا ١٩ : ٤٥ — ٤٦ .

(٤) مر ١١ : ١٨ ، لوقا ١٩ : ٤٧ ، ٤٨ .

(٥) يوحنا ١١ : ٥٠ — ٥٣ .

ولكن مثل هذه المبادىء التى يتولد عنها أخوة تفترض الجودة مسبقة . وكيف يكون ذلك والكهنة على فساد الخلق والزيغان عن الله حتى أنهم أزاغوا الشعب وجعلوه « يتجاوز عن الحق ومحبة الله »(١) .

وتنبأ المسيح فاضحاً مؤامرات رؤساء الكهنة ضده قائلا : « تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله »(٢) . وتنتهى المؤامرة بالمأساة الكبرى بحادث الصلب ، وإن كان الله جل شأنه قد رفعه إليه إلا أن الحادث نسب إلى ما كانوا عليه من سبق الإصرار وما عزموا عليه بهلاك المسيح عيسى بن مريم ، وتحملوا مسئولية هذا الجرم الكبير باعترافهم قائلين : « دمه علينا وعلى أولادنا »(٣) .

فلسطين عربية :

لقد تحققت نبوءات المسيح بخراب أورشليم ودمار الهيكل . لكن إرادة الله فى هيمنة الحق والرحمة على الأرض لابد أن تتم ، وقد تتابعت الأنبياء من موسى إلى عيسى يبشرون بالأمة التى يصير إليها الصولجان الروحى والزمنى ، وأقرب النبوءات هى نبوءة المسيح عليه السلام فى قوله : « الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ، لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره »(٤) .

ويفتح المسلمون فلسطين عام ٦٣٦ م ويحررونها من الاستعباد الرومانى ، ويزعم اليهود أن الانتصارات التى أحرزها العرب على الإمبراطورية الرومانية

---

(١) لو ١١ : ٤٢ . (٢) يوحنا ٨ : ٤٠ . (٣) متى ٢٧ : ٢٥ .

(٤) متى ٢١ : ٤٢ ، ٤٣ . انظر ماجاء فى كتابى « محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن » .

فى فلسطين إنما ترجع إلى الخدمات التى قدمها اليهود للمسلمين إذ ساعدوا الغزاة على فتح فلسطين ودلوهم على مداخلها ، انتقاما من نصارى فلسطين بصفة خاصة ، ونصارى أوربا الذين اعتنقوا المسيحية بعديهوديتهم أو وثنيتهم منذ عهد قسطنطين . وهذه المزاعم باطلة فإنهم لم تقم لهم قائمة فى هذه البلاد منذ نفاهم الإمبراطور هادريان سنة ١٣٥ م وشتت شملهم فى كل أنحاء الإمبراطورية .

وتدفقت على فلسطين القبائل العربية من كل مكان ، وظلت منذ الفتح العربى الإسلامى بلاداً عربية خالصة شعبا ولغة وديانة حتى الاغتصاب الصهيونى عام ١٩٤٨ .

وظلت فلسطين خلال هذه الفترة وهى جزء من الدول العربية الإسلامية المتعاقبة . تتبع المدينة أو دمشق تارة ، أوتتبع القاهرة أوإستانبول مركزالخلافة تارة أخرى .

الصليبيون فى فلسطين :

كانت القدس فى حكم الخليفة الفاطمى « المستعلى » منذ أن استخلصها من الأرتقيين محاصرة بالصليبيين الذين فتحوها عنوة عام٤٩٢ هـ — ١٠٩٩ م ثم تجهز الصليبيون لفتح مصر ، ولكنهم ارتدوا على أعقابهم عند أسوار عسقلان تجاه الجند الذين أرسلهم أمير الجيش تحت قيادة « سعد الدولة » .

ثم عادوا فجهزوا حملة أخرى لافتتاحها أواخر عام ٥١١ هـ — ١١١٨ م إذ خرج بردويل ملك الصليبيين من بيت المقدس واستولى على الفرما وذبح أهلها ، ولكنه مات قبل أن يدرك العريش ، وبموته نجت مصر من غزو الصليبيين لها .

ثم عادوا فحاصروا عسقلان عام ٥٤٨ هـ — ١١٥٥ م وكانت آنئذ من أعمال الفاطميين ، وتم لهم النصر عليها وعلى جميع الشواطىء ، وذلك بسبب انهماك الخليفة الفاطمى « الظافر بن الحافظ » فى شهواته .

وعلى حساب الدنيا وملذاتهـــا انتكست مصر أمام بلدوين الثالث Balduin وضاعت أرض الإسراء والمعراج فى قبضة الصليبيين .

ووصلت مصر فى عهد الخليفة « الفائز بنصر الله » إلى منتهى الضعف عام ٥٥٥ هـ — ١١٦٢ م حتى أنه كان يؤدى الأموال الطائلة ترضية للصليبيين فى بيت المقدس ، ليتوقفوا عن الغزو من جهة عسقلان وغزة .

لكن الصليبيين تجبروا وازدادوا صلافة وغطرسة فاجتازوا الحدود ودخلوا مصر وكان لهم فيها شئون لا محل لذكرها هنا ، فأرسل الخليفة « العاضد » يستنجد بنور الدين فأنجده هذا وأنقذه من شرورهم .

صلاح الدين الأيوبى يرد اعتبار الأمة الاسلامية :

وفى عام ٥٦٦ هـ — ١١٧٣ م جرد صلاح الدين الأيوبى حملة على سوريا فدخل فلسطين ، وافتتح غزة ، ثم رجع إلى مصر ، وبعدئذ سمع أن الصليبيين فتحوا « أيلة » العقبة ، فنشط إليها عن طريق سيناء ، والقصيمة عام ١١٨٢ م ، وحاصرها برا وبحرا حتى فتحها ، ثم رجع إلى القاهرة . واكتسب صلاح الدين نفوذا كبيرا فى مصر حتى لم يبق للخليفة العاضد سوى السلطة الدينية ، وبعد حين مات الخليفة العاضد ، وبموته انتهت الخلافة والدولة الفاطمية .

وأخذ الخطباء يذكرون الخليفة العباسى « المستضىء بالله » على المنابر ، وأول عمل قام به صلاح الدين الأيوبى بعد أن تم له النصر على الصليبيين فى غزة وفى أيلة أن أمر بذكر الخليفة « المستضىء بالله » فى خطبة النعت من

فوق منابر المساجد ، وعمله هذا كان نهاية رسمية للدولة الفاطمية .

ولما اتصل الأمر ببغداد أصبح خليفتها منفردا بالخلافة على سائر المشرق ، وتحولت الأنظار كلها إلى بغداد ، وتولى « أتابك نور الدين » أمر سوريا ومصر معا بإشراف الخليفة العباسى فى بغداد ، وظل صلاح الدين فى مصر . وبموت « نور الدين » تولى الحكم ابنه الملك الصالح إسماعيل ، ثم استولى صلاح الدين على الملك فى مصر وسوريا ، فأصبح أمام أعدائه مباشرة.

ورجع صلاح الدين إلى مصر ، وأبقى أخاه « طوران شاه » على دمشق عام ٥٧٢ هـ — ١١٧٩ م وفى عام ٥٨٣ هـ — ١١٩١ م التقى بالصليبيين فى موقعة « حطين » بالقرب من طبرية وهزمهم ثم سيطر على طبرية وعكا واستولى على نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة وصيدا وبيروت وجبيل ، ثم توجه فسيطر على الرملة والدارون وعسقلان وغزة وبيت جبرين والبترون وبيت المقدس ، وقد حاصر بيت المقدس حصاراً شديداً . ثم سار شمالا ففتح صور ، وحصن كوكب ودمشق وجبلة واللاذقية وأنطاكية وحلب وحماة ، ولم تضع الحرب أوزارها إلا وقد تم لصلاح الدين توحيد سوريا وفلسطين وشرق الأردن ومصر كلها ، وبهذا انتصر انتصاراً رائعاً .

فلسطين والتتار :

تعرضت فلسطين خلال هذه الفترة العربية لكثير من الغزوات فبعد أن غزاها الصليبيون الذين قهرهم صلاح الدين الأيوبى فى موقعة حطين عام ١١٧٩ م غزا البلاد التتار والمغول وحكموها مدة من الزمن ولكنهم رحلوا عنها بعد هزيمتهم أمام « الظاهر بيبرس » فى معركة « عين جالوت » عام ١٢٦٠ م حيث شهدت أرض فلسطين معارك حربية فاصلة ونقط تحول فى التاريخ السياسى والاجتماعى .

الأتراك يغزون فلسطين :

تغلب السلطان سليم الملقب « بياووز » على المماليك فى معركة مرج دابق وقهر سلطانهم قنصوه الغورى عام ١٥٠١ م الذى مات تحت سنابك الخيل . ولم تجد محاولة طومان باى الذى تسلم قيادة المماليك بعدئذ فى مصر نفعا ، إذ انكسرت حملته التى جهزها لمقاومة العثمانيين ، فسار العثمانيون من مرج دابق إلى غزة ففتحوها عنوة ، ثم إلى العريش ، ثم إلى مصر عام ١٥١٧ ، ودانت لهم البلاد من أقصاها إلى أقصاها .

فلسطين والحملة الفرنسية :

وفى عام ١٧٩٩ م دخلت هذه البلاد فى حكم نابليون بونابرت يوم أن احتل هذا مصر وسار بحملته لغزو فلسطين . لكنها لم تبق فى حكمه أكثر من سنة فاستردها الأتراك فى زمن السلطان سليم الثالث وإليك نبذة من تاريخ ذلك العهد :

عندما احتل بونابرت مصر عام ١٧٩٨ واغتصبها من أيدى سلاطين آل عثمان أرسل سلطان تركيا إلى والى عكا أحمد باشا الجزار أن يرسل جيشا لاحتلال العريش ، ففعل ، وأنذره بونابرت بالتخلى عنها لأنها من حدود مصر فأبى .

وقام بونابرت على أثر ذلك لا ليدافع عن مصر فحسب بل ليفتتح سوريا أيضا . وأعد حملة من اثنى عشر ألف مقاتل دخل بها العريش عام ١٧٩٩ م ثم سار إلى غزة واستولى عليها بغير قتال . ثم فتح الرملة واللد ويافا وصفد وصور وطبرية .

ولكن مساعيه فى فتح عكا حبطت وبحبوطها فشلت حملته السورية

فارتد إلى مصر بكل رجاله وفيهم الجرحى حتى وصل تحت الأهوال إلى العريش .

محمد على والى مصر وفلسطين :

وفى عهد السلطان محمود الثانى شق محمد على والى مصر وقتئذ عصا الطاعة ، واتخذ خلافه مع عبد الله باشا والى عكا حجة ليسير جيشاً للغزو . فأرسل جيشا بقيادة ابنه إبراهيم ، فسار هذا عام ١٨٣١ م من طريق العريش والسبع وغزة ، وظل يتوغل فى البلاد إلى أن فتح عكا ، ودان له قسم غير قليل من بر الأناضول وكاد يهدد الآستانة ، فتدخلت الدول ، وجرت وقائع لامحل لذكرها هنا انتهت بانسحابه ، واكتفى بمصر له ولذريته من بعده .

وظلت هذه البلاد تحت سيطرة الأتراك حتى عام ١٩١٧ ولكنها كانت سيطرة اسمية لا فعلية ، إذ أن نفوذهم على العربان كان ضئيلا .

مواقع فاصلة ونقط تحول تاريخى

اليرموك عام ٦٣٦ م	انتصار الإسلام على الرومان
حطين عام ١١٧٩ م	انتصار العرب على الصليبيين
عين جالوت عام ١٢٦٠م	انتصار المماليك على التتار

وفى عام ١٥٤٢ م دخلت فلسطين فى نطاق الخلافة العثمانية حتى احتلها الحلفاء عام ١٩١٨ م بالاشتراك مع القوات العربية تحت زعامة الشريف حسين

لتحريرها من الحكم التركى ، ودخلت البلاد فى عهد بغيض تحت سيطرة الإمبريالية باسم الانتداب الإنجليزى المتآمر مع الصهيونية العالمية على اغتصاب البلاد وطرد أهلها حتى عام ١٩٤٨ م حيث مكنت العصابات الصهيونية من السيطرة على مقاليد البلاد وحركت البلاد العربية للثأر من اليهود الذين اغتصبوا فلسطين وكانت الفرصة مواتية للعصابات الصهيونية أن تحقق كسبا حربيا باسم الدفاع عن النفس تحت تأييد المنظمة الدولية . وهكذا ضاعت فلسطين بسبب قصر نظر السياسة العربية فى التخطيط السياسى على المستوى الدولى .

العبرة من واقعة حطين والأمل فى تحرير فلسطين :

وإذ تحدثت عن الحروب الصليبية وعن صلاح الدين الأيوبى لابد أن نذكر العبرة من تلك الحروب ، العبرة التى يجب على كل عربى وكل مسلم بصفة خاصة أن يعيها ويعتبر بها ، وهى أن فلسطين لم تعد إلى حوزة المسلمين إلا بتوحدهم وانضوائهم تحت راية واحدة .

لقد سجل أعداؤنا هذه العبرة فى دائرة المعارف البريطانية إذ جاء تحت كلمة Crusade (١) :

« ورغم أن قادة الحملة الصليبية الأولى لم يستثمروا خلافات المسلمين كما ينبغى فإن الحقيقة تدل على أن تلك الخلافات قد خدمت الصليبيين إلى حد كبير .

---

(١) The Encyclopaedia Britanica II edition 1911 .

« فإن وضع أمراء سوريا غير المتحدين ، والفرقة والانقسام بين العباسيين والفاطميين جعلا من الممكن الاستيلاء على المدينة المقدسة وتأسيس مملكة بيت المقدس . وحينما قامت قوة فى الموصل حوالى عام ١٣٣٠ م . وكان فى مقدورها توحيد سوريا مع مصر إلا أنه على يد صلاح الدين قضى على قضية المسيحية اللاتينية فى الشرق ، وذلك بنجاحه فى توحيد سوريا ومصر .

« لقد حدث هذا عام ١١٨٧ م . وحرر المسلمون بعد أن أزالو مابينهم من فتن وخلافات ووحدوا صفوفهم وقيادتهم » .

وإن تحرير فلسطين واسترداد الأراضى العربية موقوف بوحدة العرب ووحدة النضال الفكرى ووحدة التخطيط العسكرى ، وإزالة ما بين العرب من فرقة ومنازعات والاستمساك بقوله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

أما اليهود فإنهم — منذ الفتح الإسلامى بل وما قبله منذ خراب بيت المقدس سنة ٧٠ م ، ١٣٥ م — لم يكونوا طرفاً فى النزاع على مقدسات فلسطين طوال مدة الوجود الإسلامى ، ذلك لأنهم لم يكونوا موجودين فى البلاد بشكل يجعل منهم أمة تخضع لنظام الأقلية فى البلاد .

وقد اشترطت العهدة العمرية — بناء على طلب صفرونيوس الذى كان يحرم على اليهود السكن فى بيت المقدس ـ اشترطت ألا يسكن اليهود القدس ، وعليه فإن تطور الوجود اليهودى فى فلسطين طوال الحكم العربى الإسلامى الذى دام أكثر من ثلاثة عشر قرنا إنما يعود إلى سماحة الإسلام ، وتساهل المسلمين الذين تغاضوا عن تسلل اليهود وسمحوا لهم بالوجود وبإقامة الشعائر الدينية من ندب وبكاء عند حائط المبكى .

وإن الحق السياسى فى أى إقليم إنما تقرره مبادىء أساسية منها الغزو الحربى ، وطول مدة الاحتلال واستمرارها ، والصفة العرقية للسكان الحاليين .

فبعد دول المدن « الكنعانية » الأصلية ظلت فلسطين خاضعة خضوعاً يكاد يكون متواصلا للغزاة الأجانب . ولسوف يكون فى إمكاننا أن نفهم حقائق التاريخ فهما أفضل إذا ما حولنا هذه الحقائق إلى أرقام(١) :

حكام فلسطين	تاريخ حكمهم ق.م.	مدة حكمهم
الكنعانيون	أول المستقرين	حتى سنة ١٠٠٠ ق.م
فراعنة مصر	غير محدود	غير محدود
الهكسوس	١٧١٠ — ١٤٨٠	٢٣٠ سنة
فراعنة مصر	١٤٨٠ — ١٣٥٠	١٣٠ سنة
الحيثيون	١٣٥٠ — ١٢٩٠	٦٠ سنة
فراعنة مصر	١٢٩٠ — ١١٥٤	١٣٦ »
كنعانيون ،فلسطينيون، يهود « قضاة »	١١٥٤ — ١٠٠٠	١٥٤ »
مملكة داود وسليمان	١٠٠٠ — ٩٢٧	٧٣ »
مملكة إسرائيل فى الشمال	٩٢٧ — ٧٢٢	٢٠٥ »
مملكة يهوذا فى الجنوب	٩٢٧ — ٥٨٦	٣٤١ »
اليهود فى أوسع مدى تاريخى	١٠٠٠ — ٥٨٦	٤١٤ »
مملكة بابل	٥٨٦ — ٥٣٨	٤٨ »
مملكة فارس	٥٣٨ — ٣٣٠	٢٠٨ »
اليونان	٣٣٠ — ٣٢٣	٧ »
البطالمة « مصر »	٣٢٣ — ٢٠٠	١٢٣ »
السلوقيون « سوريا »	٢٠٠ — ١٤٢	٥٨ »

(١) نقلا عن « أزيلوا . . إسرائيل » لإيلين بيتى ١٣/٣/١٩٦٠.

حـكام فلسطين	تاريخ حكمهم	مدة حكمهم
اليونان فى أوسع مدى تاريخى	٣٣٠ — ١٤٢	١٨٨ سنة
السلوقيون ، مكابيون جزئيا	١٤٢ — ٧٠	٧٢ سنة
روما	٦٣ق.م.— ٦١٤م	٦٧٧ سنة
فارس — الدولة الساسانية	٦١٣ — ٦٢٨	١٥ سنة
روما البيزنطية	٦٢٨ — ٦٣٨	١٠ سنوات
العرب — مسلمون	٦٣٨ — ١٠٨٥	٤٤٧ سنة
الأتراك — مسلمون سلاجقة	١٠٨٥ — ١٠٩٩	١٤ سنة
الصليبيون جزئياً	١٠٩٩ — ١٢٩١	١٩٢ سنة
الأتراك — سلاجقة جزئياً	١٠٩٩ — ١٢٩١	١٩٢ سنة
مصر — مسلمون	١٢٩١ — ١٥١٧	٢٢٦ سنة
الأتراك العثمانيون — مسلمون	١٥١٧ — ١٩١٨	٤٠١ سنة
المسلمون على أوسع مدى	٦٣٨ — ١٩١٨	١٢٨٠سنة
بريطانيا — انتداب	١٩١٨ — ١٩٤٨	٣٠ سنة
إسرائيل جزئيا — الاغتصاب	١٩٤٨ — ١٩٦٨	٢٠ سنة
المملكة الأردنية الهاشمية جزئيا	١٩٤٨ — ١٩٦٨	٢٠ سنة

فبعملية إسقاط سريعة ننحى جانبا الممالك البائدة التى لم تخلف وراثة أومدنية وهى : الهكسوس ، والحيثيون ، والفلسطينيون ، والسلوقيون .

وبإسقاط الممالك التى حكمت مدة وجيزة : بابل، واليونان ، وبريطانيا...

وبإسقاط الممالك التى حكمت جزئياً : الصليبيين، المكابيين ، إسرائيل ...

وبإسقاط المحاولات الثانية القصيرة الأمد : فارس وروما . . .

يبقى لدينا من حكموا آجالا طويلة وهم :

١ — المسلمون	ومدة حكمهم	١٢٨٠	سنة	بعد الميلاد
٢ — روما	ومدة حكمها	٦١٧	»	» »
٣ — اليهود	ومدة حكمهم	٤١٤	»	قبل الميلاد
٤ — مصر	ومدة حكمها	٢٦٦	»	»
٥ — فارس	»	٢٠٨	»	»

ويحسب اليهود عادة طول مدة حكمهم الأول فى فلسطين من شاول إلى الأسر البابلى . ولكن حكم شاول الباكر لم يكن ذا سيادة حقيقية على البلاد التى كان معظمها تحت سيطرة الكنعانيين والفلسطينيين ، كما كان إبان السنوات السبع من حكم داود فى حبرون[١] قبل أن يهزم الفلسطينيين ويقهر الكنعانيين ، ويستولى على القدس .

---

(١) كان داود مقيما فى أورشليم « اقتاد يوآب قوة الجيش وأخرب أرض بنى عمون وأتى وحاصر ربة . فضرب يوآب ربة وهدمها وأخذ داود تاج ملكهم عن رأسه فوجد وزنه وزنة من الذهب وفيه حجر كريم فكان على رأس داود » ١ خب ٢٠ : ١، ٢ .

أما مملكة داود وسليمان الموسعة التى يستند إليها الصهيونيون فى مطالبهم الإقليمية فلم تدم إلا ٧٣ سنة مما يضعها فى الفئة القصيرة الأمد(١) .

وبعد ذلك لم تنعم إسرائيل ولا يهوذا بالاستقلال الحقيقى ، ذلك أن كلا منهما كانت تدفع الجزية إلى دولة عظمى خارجية ، كما أن كلا منهما كانت تدين باستمرار وجودها لحماية تلك الدول العظمى وهى « مصر وأشور وبابل وفارس » .

وبعد غزو قبائل إسرائيل العشر على أيدى ملك أشور سنة ٧٢٢ ق . م . كانت مملكة يهوذا تحتل فعلا مساحة من الأرض تبلغ ٥٠ ميلا عرضاً ، ٧٥ ميلا طولا ، أى قطعة من الأرض أصغر بكثير من تلك التى تحتلها إسرائيل الصهيونية الحديثة الآن .

ولكننا إذا سلمنا بأن الممالك اليهودية القديمة كانت مستقلة طيلة حياتها من غزو داود لكنعان عام ١٠٠٠ ق . م . إلى محو يهوذا عام ٥٦٨ ق . م . فإننا نتوصل إلى حكم يهودى دام ٤١٤ سنة قبل الميلاد ، وهذه الفترة أيضاً تضعها فى المرتبة الرابعة إذا أخذنا فى الاعتبار الآجال الطويلة حسب البيان التالى :

١ — المسلمون : وحكمهم امتد بعد الميلاد فقط ١٢٨٠ سنة .

٢ — مصر الفرعونية ، ومصر العربية وحكمهما امتد قبل الميلاد وبعد الميلاد ٨٤٥ سنة .

---

(١) إن إسرائيل عاشوا بمصر ٤٣٠ سنة فهل مدة الإقامة تخول لهم حق الامتلاك والسيطرة ؟ وهذه المدة أطول من المدة التى أقاموا فيها فى فلسطين على أوسع مدى (٤١٤ سنة) .

٣ — روما وحكمها امتد قبل الميلاد ٦٣ سنة ، وبعد الميلاد ٦١٤ سنة فيصبح إجمالى الحكم قبل الميلاد وبعده ٦٧٧ سنة .

٤ — اليهود على أوسع مدى تاريخى وحكمهم قبل الميلاد فقط ٤١٤ سنة .

وكان حكم المسلمين سواء كانوا عربا أم سلاجقة أم عثمانيين أم مماليك نسيج وحده ، ذلك أنهم بخلاف جميع الغزاة الأجانب الآخرين لم يمسوا فى عزلة بل امتزجوا بأهالى البلاد وتأثر الأهالى بهم طواعية واختياراً فى اعتناقهم الإسلام دينا ، وتزاوجوا وتناسلوا حتى أضحى أهالى البلاد أمة عربية واحدة لا يستطاع معها القول متى انتهى الكنعانيون كجنس ومتى بدأ العرب كجنس .

الباب الثاني

الوجهة الشعوبية والاجتماعية

العرب يميزون بين الصهيونية واليهودية :

لم يعرف التاريخ كله أمة تؤمن حق الإيمان بالتسامح الديني وتمارسه مثل إيمان الأمة العربية بذلك وممارستها له ممارسة نابعة عن عقيدة دينية سليمة . فالأمة الإسلامية من مبادئها: « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »، والأمة المسيحية شعارها : « أكرموا الجميع ، أحبوا الإخوة ، خافوا الله ، أكرموا الملك »[1] . ومن ائتلاف الأمة الإسلامية بالأمة المسيحية لأجيال طويلة منذ سنة ١٣٥ م بعد تشتت اليهود فى أرجاء الإمبراطورية الرومانية تتكون الأمة العربية ويتألف الكيان الفلسطينى .

وانطلاقاً من هذا المبدأ الأصيل فى التراث العربى اتخذت الأمة العربية منذ البداية موقفاً يميز بين اليهودية كدين سماوى جدير بالاحترام وبين الصهيونية كحركة استعمارية فاشستية خليقة بالمقاومة والمناهضة والمحاربة ، وهذا الموقف الذى ظهر بصورة واضحة بارزة نتيجة للمطامع الصهيونية فى فلسطين ، وفى أرجاء أخرى من الوطن العربى ، لم يتغير حتى بعد قيام إسرائيل ، وحتى بعد أن اتضح أن الكثيرين من اليهود الذين لا ينتمون رسميا للحركة الصهيونية يقفون مؤيدين لإسرائيل ويستجيبون للضغط الصهيونى والمطالب الصهيونية .

فاليهودية دين سماوى أنزله الله على نبيه موسى عليه السلام مجملا عقيدة وعبادة وشريعة فى الوصايا العشر[2] نذكرها للتأمل فيها :

عقيدة التوحيد:

١ ـ أنا الرب إلهك . . لايكن لك آلهة أخرى أمامى .

٢ ـ لاتصنع لك تمثالا منحوتاً . . لاتسجد لهن ولاتعبدهن

٣ ـ لاتنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب لايبرىء من نطق باسمه باطلا .

---

(١) ٢ بط ٢ : ١٧ .

(٢) خروج ٢٠ : ١ ـ ١٧ .
(م — ١٠ إسرائيل فتنة)

٤ — اذكر يوم السبت لتقدسه .
٥ — أكرم أباك وأمك .
} عبادة

٦ — لاتقتل .
٧ — لا تزن .
٨ — لاتسرق .
٩ — لاتشهد على قريبك شهادة زور .
١٠ — لا تشته بيت قريبك .
} شريعة

ومن هذا يتبين أن الله أمره أن يبلغ تعاليمه إلى بنى إسرائيل ويدعوهم إلى عبادة الله ، ونبذ ماعداه من الآلهة والأصنام ، والظواهر الطبيعية التى انتشرت عبادتها فى ذلك الوقت البعيد .

لكن ضلال الصهيونية والعنصرية السامية بدا واضحاً فيما تدعيه التوراة من أن الله عزوجل قد خص ذاته لإسرائيل فحسب وعرف ذاته بأن اسمه بينهم « يَهْوَه » (١) وأيضاً اسمه « أهيه » (٢) وذلك عندما أرسل نبيه موسى إلى بنى إسرائيل ليحررهم من استعباد المصريين لهم قائلا له : « هكذا تقول لبنى إسرائيل: يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم »(٣). ونسبوا إلى الله صفات بشرية : « فقال الرب إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر . . . فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة . . إلى مكان الكنعانيين والحثيين . . . »(٤) .

---

(١) خروج ٣ : ١٥ .
(٢) خروج ٣ : ١٤ .
(٣) خروج ٣ : ١٥ .
(٤) خروج ٣ : ٧ ، ٨ .

وخرج موسى من مصر مع بنى إسرائيل وبدأ ينظم الملاقات بين هذا المجتمع الهارب من مصر فى وصايا ألهمه بها الله تتلخص فى أن الله عز وجل ينصرهم إذا ما نصروا الله ونهجوا الصراط المستقيم (١) .

لكنهم بعد أن ازدهرت الدنيا لهم تحولوا عن الله فسلط الله عليهم من لايخافه ولا يرحمهم فتعرضوا لغزو الكلدانيين الذين دمروا هيكل سليمان تدميرا ، والحكمة الإلهية أن الله عز وجل يقهر الشر بالأشرار (٢) . ولما كانت دعوة التوحيد تقوم على أسس من السمو الإنسانى فلقد لقيت ميدانا واسعاً لانتشارها ، لا بين اليهود فحسب ، وإنما فى كثير من دول العالم وشعوبه وأجناسه المختلفة ، واستطاعت هذه الدعوة أن تغزو كثيراً من القلوب التى كانت تخضع كارهة لجبروت الإنسان ، وترغم على عبادة الملوك دون الله عز وجل . ولا أدل على ذلك من يهود أتقياء كانوا فى صحبة دانيال النبى فى أرض السبى فى مملكة بابل ، إذ أمرهم الملك نبوخذ نصّر بالسجود لتمثاله الذهبى ، فأبوا إلا أن يعبدوا الله الإله الواحد الأحد ، مؤمنين أنه قادر على أن ينجيهم من أتون النار المتقدة (٣) . إن هؤلاء الفتية يصدق فيهم قوله تعالى : « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » (٤) . وقد بدت آثار الله وحكمته فى كثير من المواقف على بنى إسرائيل فانتزع إجلال الملوك والأباطرة حتى أن نبوخذ نصر قال : « تبارك الله . . الذى أرسل ملاكه وأنقذ عبيده . . » (٥) .

---

(١) ٢ خب ٢٣ : ٨ ، تثنية ٤ : ١ — ٤٠ ، تثنية ٦ : ١ — ٢٥ .

(٢) ٢ خب ٣٦ : ١٥ — ١٩ .

(٣) انظر : دانيال ٣ : ١ — ٢٩ .

(٤) الكهف : ١٣ . (٥) دانيال ٣ : ٢٨ .

أما الصهيونية فهى دعوة حديثة من نوع آخر ، ومن طراز جديد ، بعيدة كل البعد عن الدين ، ولئن حاول أصحابها والقائمون بها أن يتخذوا من الدين ستارا يخفون به حقيقة دعوتهم ، ويحجبون بهذه الأستار سوء نياتهم وأغراضهم الشخصية ونزعاتهم القائمة على التعصب : « مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدا لهم » (١) ، « ولكن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية » (٢) ، « اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحق » (٣) ، واتجاهاتهم المبنية على الانتهازية ، إلا أن الحق سريعا ما يظهر ، والأباطيل سرعان ما تندحر وتبدو الحقيقة لكل ذى عقل .

فشتان ما بين دعوتين : إحداهما من عند الله طبيعتها السلام والمحبة ، والثانية ابتدعها شياطين الإنس وطريدو البشرية ، عصوا الله فرذلهم وأذلهم فانقلبوا أعداء للإنسانية والربانية ، كما انقلب إبليس عدواً لآدم وذريته من بعده .

مولد الصهيونية :

يقول ألفريد ليلينتال فى كتابه « ثمن إسرائيل » : « فى قبر مجهول . . يرقد الآن منشىء دولة إسرائيل الجديدة ، ولولا الشاعر المجهول الذى كتب المزمور السابع والثلاثين بعد المائة لما كان هناك من دولة يهودية اليوم » .

فبعد أن قوض الأشوريون بنيان مملكة إسرائيل الشمالية عام ٧٢٢ق.م. وبعد أن سبى نبوخذ نصّر ملك بابل مملكة يهوذا فى الجنوب عام

---

(١) تك ٩ : ٢٦ . (٢) تك ١٧ : ٢١ . (٣) تك ٢١ : ١٠ .

٥٨٦ ق . م . إلى أرض بابل ، وبعد أن دمر الإمبراطور تيطس الهيكل عام ٧٠ م وبعد أن دمر الإمبراطور هادريان مدينة أورشليم عام ١٣٥ م ، بقيت فكرة دولة إسرائيل حية فى كلمات هذا المزمور :

« على أنهار بابل هنـــاك جلسنا »

« بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون ... »(١)

من هذه الكلمات نبتت بذرة فكرة الصهيونية الوطنية ، على الرغم من الدعوة السمحة التى تشبعت بها نفوس أتباع « يهوه » **الذين يعتقدون « ان اية محاولة للقيام بجهود انسانى بغية محاولة العودة لن تكون اكثر من تجن واغتصاب يتجاوز حدود الدين ولا يقبل به الرب »** .

إن الدعوة الربانية السمحة التى كان يدعو بها أنبياؤهم حتى وهم منفيون تحت غضبة الله عليهم فى أرض بابل إنما تدل على الأصالة فى المعتقد الدينى فيخاطبهم نبيهم إرمياء بقوله :

« ابنوا بيوتا ، واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها . خذوا نساء ولدوا بنين وبنات ، وخذوا لبنيكم نساء وأعطوا بناتـكم لرجال فيلدن بنين وبنات ، واكثروا هناك ولا تقلوا ، واطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم إليها ، وصلوا لأجلها إلى الرب ، لأنه بسلامها يكون لـكم سلام »(٢) . هذه هى الدعوة الربانية السمحة التى بنيت عليها أسس المعتقد اليهودى .

ولم يوجه الأنبياء العبرانيون : عاموس ، وإرمياء ، وميخا ، وإشعياء ، وإيليا ، اهتمامهم أبدا لاستعادة السلطة الزمنية ، وإنما حصروا هذا الاهتمام فى دفع الظلم عن بنى قومهم ، وحثهم على عبادة الله إله الرحمة ، والتمسك بأهداب الحق والفضيلة .

(١) مزمور ١٣٧ : ١ — ٥ .　　(٢) إرميا ٢٩ : ٥ — ٧ .

إن اليهودية — كدين — كانت وما زالت غير مقيدة باعتبارات جغرافية بحتة ، أو جنس ، أو لغة ، ولهذا استطاعت أن تكافح من أجل بقائها .

فالدولة كيان زائل ، أما المعتقد الدينى فباق إلى الأبد .

إن الدولة عرضة لتقلبات الدهر ، أما المعتقد الدينى فعنده تنحسر كل التيارات المضادة ويبقى شامخاً .

إن اليهودية إيمان دينى شامل ، يمكن لأى مواطن أن يعتنقها ، على العكس من الصهيونية ، فهى حركة قومية عنصرية متطرفة غايتها جمع يهود العالم كافة فى وطن قومى مستقل . ولقد أعلن بن‌جوريون فى ١٤ مايو ١٩٤٨ :

« إن الصهيونية قد حققت هدفها فى ١٤ أيار « مايو » ١٩٤٨ ببناء دولة يهودية أكبر مما كان متفقا عليه ، وبفضل قوات الهجاناه . ليست هذه نهاية كفاحنا ، بل إننا اليوم قد بدأنا ، وعلينا أن نمضى لنحقق قيام الدولة التى جاهدنا فى سبيلها من النيل إلى الفرات » .

إن الصهيونية سرعان ما تجد لها آذانا صاغية لأنها تخاطب العاطفة ، وتستغل الطاقات الروحية فى الإنسان لتحقيق أهدافها ومآربها . وإذا كان هرتزل باعث القومية الصهيونية فى أواخر القرن التاسع عشر فإن نحميا فى القرن السادس قبل الميلاد فى عودته من سبى بابل إلى أرض كنعان خاطب بنى إسرائيل بقوله : «هلم فنبنى سور أورشليم ولا نكون بعد عارا»(١) . ووقف موقفا يناقض موقف إرمياء النبى فدعا إلى اعتزال الشعوب حواليهم : « لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم »(٢) ، كما دعا إلى مناهضة جيرانهم

---

(١) نحميا ٢ : ١٧ . (٢) نحميا ١٣ : ٢٥ .

من شعوب الأرض : « ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد »(١) .

ويعلل نحميا دعوته للعنصرية الاستعلائية بأن الامتزاج بالشعوب ومصاهرتهم يدفع إسرائيل إلى الخطأ : « أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمان ملك إسرائيل ولم يكن فى الأمم الكثيرة ملك مثله وكان محبوباً إلى إلهه فجعله الله ملكا على كل إسرائيل »(٢) .

وإننا كمسلمين نؤمن بعصمة الأنبياء ، وأنهم صفوة البشرية ، وأنهم مكرمون عند الله .

لكننى فى صدد علة المصاهرة بالشعوب كسبب للخطيئة أستطيع أن أقول إن كل إنسان ميسر لما خلق له ، وإن الخطيئة لا تولد من الخارج بل من داخل الإنسان من أعماق فكره وقلبه ، وفى هذا يقول بولس رسول المسيحية : « ولكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحاربه ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطيئة الكائن فى أعضائى »(٣) .

فلا عجب أن يخطىء إسرائيل ويبرىء نفسه من الخطيئة ويلقى بتبعتها على الآخرين ، وهذا شأنهم فى كل جيل من الأجيال ، ومن ثم فإن روح السلام والاندماج لا ترضى الصهيونية ، فظهرت طائفة « مزراحى » التى تناقض رأى أغودات إسرائيل وتعتبر أن الابتعاد عن اتخاذ أى عمل سياسى لإعادة اليهود إلى أرض الميعاد لا سند له فى المعتقد اليهودى نفسه .

وكانت مزراحى تقف ضد رأى أغودات إسرائيل المتحمس طوال ١٧٦٢ سنة من سنة ١٣٥ م إلى سنة ١٨٩٧م . وبهذا اعتنقت «مزراحى» الصهيونية مستندة فى ذلك إلى ما كان يمارسه اليهود بين سنة ٥٣٩ ق.م. وسنة ١٣٥م

---

(١) عزرا ٩ : ١٢ . (٢) نحميا ١٣ : ٢٦ .

(٣) انظر الرسالة الأولى إلى أهل رومية ٧: ٢٣ .

أى العصر الذى كان يثور فيه الثوار اليهود مراراً وتكراراً عندما يدعوهم إلى ذلك مواطنوهم المتعاقبون من جماعات « تيوداس » و « جوداس » بعد أن رحبوا بقدوم المحرر اللايهودى « كورش ». وكانت ثوراتهم تهدف إلى تحقيق أمل موعود هو إعادة بعث الحياة فى مملكة داود الخامدة عن طريق قوة السلاح اليهودى.

وفى عام ١٨٨٢ م على أثر الاضطهادات التى نزلت باليهود فى رومانيا وروسيا وبولندا أصدر « ليو بينسكر » أحد زعماء اليهود كتاباً اسمه « التحرر الذاتى » أكد فيه أن العالم يحتقر اليهود لأنهم ليسوا أمة ولأنهم أجانب فى كل بلد يعيشون فيه ، وليس من علاج لهذا الداء إلا بإيجاد قومية يهودية لشعب يعيش فى أرض الوطن . إن هذه الحركة المتطرفة وما رافقها من ملابسات لم تجد لها صدى مستحباً عند غالبية يهود أمريكا .

ورغم ذلك فما زال غلاة الصهيونيين فى إسرائيل وفى أمريكا يتحدثون باسم الشعب اليهودى ، لايفرقون بين اليهودى الصميم وبين الصهيونى المارق عن تعاليم اليهودية الصحيحة، حتى غدت لفظة يهودى تعبر عن « معتقد الشخص الدينى » كما تعنى جنسية معينة ، وهذا التشابك بين المعنيين ، الدينى والسياسى ، هو الذى خلق البلبلة والفوضى .

المطامع الصهيونية :

وليس ثمة سند واقعى يؤيد مطامع الصهيونية وادعاءاتها الملحة لتكوين دولة يهودية قوامها الرابط الدينى فحسب، فلقد ذكرت رويتر فى ١٩٦٧/٧/٢٠ أن أشكول طالب فى المؤتمر الصهيونى الأمريكى بزيادة الهجرة إلى إسرائيل للمساهمة فى بناء ما أسماه بالدولة اليهودية .

وكما قال بن جوريون : « لقد جاءت لحظة الامتحان الحاسم لكل يهودى

على وجه الأرض ، فمن لا يعود اليوم فليس صهيونيا ، ثم هو يهودى يعرض نفسه للذوبان فى مجتمعات أخري غـــير يهودية ، ويعرض اليهود أيضاً للانقراض » .

هذه أقوالهم ، أما الواقع فاليهود الأمريكيون مثلا يتمسكون بالقومية الأمريكية ولا يريدون بها بديلا ، وهم يكونون ثلث يهود العالم على الأقل ، ويقرب عددهم من خمسة ملايين نسمة .

وينطبق مثل هذا القول أيضاً على ثلاثة ملايين من اليهود يعيشون فى الاتحاد السوفيتى ، وعلى ملايين غيرهم من اليهود المقيمين فى دول أوربا الغربية ويدينون بقومية الدول التى يعيشون فيها .

«ومن العبث أن تقحم فى تلك الحقائق دوافع نفسية وعاطفية فيقال إن لـكل يهودى وطنين أحدهما فى فلسطين والآخر حيث مسقط رأسه .

« وإن اليهود الذين قبلوا الدعوة الصهيونية وأقاموا لأنفسهم وطنا قومياً فى فلسطين لايزيدون فى مجموعهم عن جزء صغير من مجموع يهود العالم فى أوطانهم المختلفة »[1] .

ويفترض ألفريد ليلينتال أن إسرائيل — وهذا محتمل وقوعه — انضمت إلى الـكتلة السوفياتية ، فليس من العسير أن نتصور عندئذ ماذا سيكون عليه يهود أمريكا من وضع حرج ! !

ومثل واضح على ذلك ماحدث أثناء توتر العلاقات السياسيـــة بين الـكرملين وإسرائيل ، فقد ظهر رد فعل هذا التوتر واضحا فى أمريكا ، حيث اعتبرت الأزمة الإسرائيلية أزمة الشعب اليهودى بأسره .

---

(١) International affairs Vol . XXI . pp 100 et seq .

والشىء الثابت، أنه إذا ظل الشعب اليهودى على اختلاف نزعاته يتحمل نتيجة أخطاء إسرائيل السياسية فإن ذلك سيودى به إلى الدمار ، لأن سياسة إسرائيل الارتجالية من شأنها أن تؤلب الأعداء عليها ، وتقودها إلى الهاوية عندما يأتى اليوم الذى تتخلى فيه أميركا عن مساعدتها .

ولقد تضرع ألبرت أينشتاين مؤيداً موقف الدكتور ماغنز قائلا :

« إننا نتوجه إلى اليهود فى أميركا وفلسطين بألا يتركوا أنفسهم تتردى فى يأس قاتل أو بطولة زائفة قد تودى بهم إلى مهاوى الدمار » . وحرى بالذكر أن الصهيونيين الذين استغلوا اسم أينشتاين وشهرته الواسعة من أجل الدعاية لقضيتهم ، تجاهلوا كلمته الحكيمة هذه .

العنصرية السامية :

جاء القرن التاسع عشر بالنهضة الأوروبية ، ومع هذا لم يكن لتطوير المجتمع الإنسانى أى أثر على العقيدة اليهودية أو تعاليمها ، بل على العكس كانت مبادىء العنصرية والاستغلال والعدوان وسفك الدماء تنمو فى نفوس اليهود، وتتقوى بتعاليم جديدة أكثر تطرفاً فى الانعزالية « الجيتو » وأشد قسوة فى الاستغلال والعدوان .

واتضح من مذكرات « وايزمن » كيف أن اليهود رفضوا الاندماج فى الديمقراطية التى عارضها « هرتزل » لأنه يسعى مسبقاً إلى التمييز الذاتى لليهود ، كما رفضوا أيضاً الاندماج فى الاشتراكية ، بل حذر « سلوبارون » أستاذ التاريخ اليهودى من منطق الذوبان والاندماج بقوله : «لن تبقى كنيسة عبرية واحدة فى العالم ، ولكن ستصبح هناك كنيسة عبرية كاثوليكية ، وكنيسة عبرية بروتستانتية ، وكنيسة عبرية إسلامية . باختصار إنها دولة « التوراة » يشارك فى تشييدها الاستعمار » .

وفى القرن التاسع عشر نشرت اليهودية العالمية « كتاب التلمود » (١)
وكانت قد أخفته أربعة عشر قرناً منذ وضعه حاخامات اليهود فى القرن الخامس
الميلادى ، خوفاً من ثورة العالم المسيحى ضد اليهود .

وقد حدث ما حقق هواجسهم هذه عندما أمرت الحكومة الملكية
الفرنسية بإحراق التلمود علنا سنة ١٢٤٢ م فى مدينة باريس .

والتلمود كتاب يؤكد المبادىء اليهودية فى الاستعلاء والانعزالية
والعدوان . وهو شريعة إسرائيل الكاملة الشفهية على اعتبار أن التوراة
شريعة إسرائيل الكاملة الموحى بها من الله لفظاً ومعنى (٢) .

والتلمود هو سجل تعاليم اليهودية وآدابها ، انتقل باليهود منذ نشره من
مرحلة اليهودية إلى مرحلة الصهيونية مع احتفاظهم بكافة الصفات المادية
والمبادىء الروحية اليهودية الموروثة .

وأحبار اليهود يأخذون من النص حرفيته دون الجوهر ، ومن هذا يجعلون
من موسى الذى شهدوا له بقولهم : « لم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل
موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه » (٣) الرائد الأول للصهيونية عندما
أوصى بنى إسرائيل بقوله : « احفظ ما أنا موصيك اليوم . ها أنا طارد من
قدامك الأموريين والكنعانيين ، والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين .
احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التى أنت آت إليها لئلا يصيروا
فخا فى وسطك ، بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم
فإنك لا تسجد لإله آخر ، لأن الرب اسمه غيور إله غيور هو . احترز من أن

---

(١) راجع كتاب « إسرائيل والتلمود » للمؤلف .

(٢) «فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا : خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم » تثنية ٣١ : ٢٤ — ٢٦ .

(٣) تثنية ٣٤ : ١٠ .

تقطع عهداً مع سكان الأرض ، فيزنون وراء آلهتهم ، ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم وتأخذ من بناتهم لبنيك ، فتزنى بناتهم وراء آلهتهن ، ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن »(١) .

على هذا النص بنوا السياسة الصهيونية ، سياسة الاستعلاء والانعزالية والعدوان .

فقد عرفت الصهيونية بأنها الامتداد الطبيعى والتطور التاريخى لليهودية .. ومنذ وقوع هذا التطور فى منتصف القرن التاسع عشر بدأت مشاكل اليهود فى العالم تتجسد كأخطبوط يريد أن يبتلع كل شيء ولا يبقى على شيء ، وبدأت معها مؤامراتهم على أرض فلسطين .

لقد كان من الممكن أن يندمج اليهود فى قوميات البلاد التى كانوا يعيشون فيها ، غير أن تطور اليهودية المعكوس وظهورها بمظهر جديد يحمل نزعات استعلائية . . انعزالية . . عدوانية . . عنصرية فى كل بلد يعيشون فيه أدت فى النهاية إلى مقاومتهم واضطهادهم للتخلص من شرورهم .

فمع تكون القوميات فى أوربا فى القرن التاسع عشر نشطت اليهودية على أنها « دين وقومية » وأخذت تبحث عن اليهود فى كل العالم تكتلهم وتنظمهم وتبعث فيهم روح إسرائيل ومجدها وملك سليمان وداود وسيادتهما .

وهكذا أخذت تتغنى بوعد الله لإبراهيم ، ناسية أن الوعد تحقق فى سيادة مملكة داود وسليمان ، وأنه تحقق أيضاً فى سيادة الإسلام على الأرض حسب وعد الله لإبراهيم : « وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك »(٢) .

---

(١) خروج ٣٤ : ١١ — ١٦ .
(٢) تكوين ٢١ : ٣١ .

ومازالو يتشدقون بحرفية النص : « دعوتك باسمك أنت لى »[١] . ومثل يعقوب عليه السلام كمثل أنبياء الله ورسله اجتباهم واصطفاهم وحملهم برسالة السماء ليبلغوها بنى قومهم . وإذا كان فى الألقاب من دليل على شىء فإن الله فى قدرته أن يجعل من عبده الذى يقترب إليه بالصلاة والاعتكاف بالطاعة والإذعان عبداً ربانياً ، ومن ثم كان لقب إسرائيل الذى خلعه الله على يعقوب إنما هو الدليل على أنه تحول إلى إنسان آخر ، وهذا ما أشارت إليه التوراة عندما مُسح شاول ملكا على إسرائيل : «فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر »[٢] .

لكن الصهيونية تأبى إلا أن تجعل من يعقوب مصارعاً صارع الله فانتصر عليه ، وأمام سياسة الواقع باركه الله بأن منحه لقب إسرائيل : «لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت»[٣] .

وإن سلمنا جدلا بهذا ونظرنا إلى الصهيونية العنصرية الاستعلائية العدوانية أدركنا على الفور أنها تتناقض مع إسرائيل الإنسان الربانى الوثيق الصلة بالله .

ويتعين على هذا أن تسميتهم إسرائيل بوضعهم الراهن تسمية باطلة هم غير جديرين بها على الإطلاق .

وقد قرر موسى حقيقة حالهم قائلا : « أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة . هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب ، فكم بالحرى بعد موتى »[٤]، وفى هذا دليل مابعده دليل على صلف بنى إسرائيل ولهذا كانت الوصايا العشر التى أوصاهم بها ، ولكنهم انصرفوا عنها وعن حقيقة الدعوة الموسوية

---

(١) انظر إشعياء ٤٣ : ١ — ٤ .
(٢) انظر ١صم ١٠ : ١ - ١١ .
(٣) تك ٣٢ : ٢٨ .
(٤) تث ٣١ : ٢٧ .

واتبعوا كل ما يتفق ونزغاتهم الشريرة ، فزعموا أن التوراة توصيهم بإبادة سكان الأرض «خشية أن يعملوا حسب جميع أرجاسهم التى عملوا لآلهتهم فيخطئون إلى الرب إلههم»[1]. هذه مزاعمهم ونسوا أن الله يأمرهم بالعدل والإحسان وينهاهم عن المنكر والفجور[2] .

إن الصهيونيين يتغنون بصهيون ونسوا أن صهيون رمز وليس جوهراً ، فقد جاءت امرأة سامرية تقول للمسيح : « آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه »[3] ، فقال المسيح : « يا امرأة صدقينى أنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون لله .. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا »[4] .

وإذا شاءوا أن يتغنوا فليتغنوا بجبل سيناء ، جبل الله حوريب حيث ظهر لموسى « ملاك الرب بلهيب نار وسط عليقة . . وناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى . . موسى . . اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة »[5] . وقد تنبأ إشعياء النبى بعصر المسيح الذى سيأتى ويقدم للإنسانية موعظته الخالدة على جبل صهيون فقال : « ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه كل الأمم . . . . لأنه من صهيون تخرج الشريعة ، ومن أورشليم كلمة الرب »[6] . وجاء المسيح عليه السلام واهتدى به من اهتدى من بنى إسرائيل ، وآمن به أعداد من الأمميين من دائرة الإمبراطورية

---

(١) انظر تث ٢٠ : ١٦ — ١٨ .
(٢) انظر تث ٢٣ : ٧ ؛ تث ١٠ : ١٩ — ٢٠ ؛ تث ٢٤ : ١٦ .
(٣) يوحنا ٤ : ٢٠ .
(٤) يوحنا ٤ : ٢٢ — ٢٤ .
(٥) خر ٣ : ٢ — ٦ .
(٦) إش ٢ : ٢ — ٣ .

الرومانية ، وامتد صيته من أورشليم إلى روما منذ ولادته حتى تآمر عليه الكهنة والفريسيون ليقتلوه ، لكن الله رفعه إليه ، وسيظل الصهيونيون بلا هدى ولا كتاب منير ... إن الله رفضهم وشتت شملهم فبأى حق يستندون إلى من هو براء منهم كل البراءة .

ونشر الصحفى النمساوى تيودور هرتزل كتابه عام ١٨٩٥ م عن « الدولة اليهودية » وأعلن فيه أن الحل لجميع مشاكل اليهود المضطهدين فى العالم هو قيام الدولة اليهودية على رقعة من الأرض متسعة تكفى أمة محترمة.

وفى المؤتمر الصهيونى العالمى الذى عقد عام ١٨٩٧ أجمعت الصهيونية العالمية على أن تكون فلسطين هى البقعة المحترمة ، وهى المكان المقرر لقيام دولة إسرائيل .

إنهم خططوا وأعدوا مخططاتهم بأسلوب علمى ، وبمستويات دولية ، وبدراسة جدية ، واتخذوا لهذا كل المبررات .

ويقف المسيحى المؤمن بإنجيله ويتساءل أين الله ؟ وأين إنذرات المسيح لليهود ؟ ويقف المسلم المؤمن بقرآنه ويتساءل : كيف سمح الله لإسرائيل بهذا ؟

خرافة العنصرية اليهودية :

نظرية الاستعلاء العنصرى

لا يسعنى فى هذا الباب إلا أن أسير فى البحث على نهج الكاتب اليهودى ألفريد ليلينتال مع التدليل الكتابى لتأييد الحقائق وتفنيد المزاعم الصهيونية .

عندما شرعت النازية فى وضع أسس العنصرية الآرية ، رجعت إلى أجيال

غابرة عديدة تنقب وتبحث عن الدم الجرمانى النقى، وكانت لا تعترف للمواطن الألمانى بعنصره الآرى ، إلا بعد هذا البحث وذاك التنقيب ، وهكذا كانت النازية واقعية عندما اعتمدت على التنقيب والبحث قبل تحديد عنصرها ونسلها ، ولم تكن كالصهيونية التى منحت حق الانتساب لليهودية إلى كل من كان يهوديا ، وشاء أن يبقى يهوديا ، بل نادى السفير الإسرائيلى فى لندن فى ١٢/٦/١٩٦٧ بأنه ينبغى على المجتمعات اليهودية العالمية أن ترسل إلى إسرائيل مليون مهاجر جديد .

فإذا تجاوزنا هذا واعتبرنا أن عزرا الكاهن والكاتب يعتبر من باكورة الدعاة للصهيونية فإنه سار على نهج هتلر فى التنقيب عن نقاوة النسل ، حتى أن « من بنى الكهنة بنوحبايا بنو هقوص .. هؤلاء فتشوا على كتابة أنسابهم فلم توجد فرذلوا من الكهنوت »[1] .

ومع ذلك فليس هناك عالم واحد من علماء « الجنس البشرى » يقر حقيقة العنصرية اليهودية أو الآرية .

ففى عام ١٩٣٧ ، وخلال المؤتمر السنوى لجمعية علماء « الجنس البشرى الأمريكية » ، وصفت العنصرية الآرية بأنها عنصرية لا وجود لها ، وتقرر أن الآرية كالسامية لا تعنيان إلا لفظين دون أن يكون لهما مدلول عنصرى محدد .

والعنصرية لها مميزات واضحة ، تنتقل إلى أبنائها بالوراثة ، وتظهر جلية فى لون الشعر ، والبشرة والعينين ، وشكل الرأس والأنف والقامة .

ولذلك كان من الطبيعى أن يلجأ وايزمن ، وغيره من مؤسسى العنصرية اليهودية ، إلى ابتداع الوسائل للتغرير بعقول السذج من اليهود حول

---

(١) عزرا ٢ : ٦١ — ٦٢ .

العنصرية ، مع اقتناع هؤلاء المؤسسين التام بأن ليس هناك من عنصرية يهودية أو سامية بالمعنى الصحيح ، والجدير بالذكر أن اللغات السامية الرئيسية هى العبرية والسريانية وموطنهما أرض الشام وشبه جزيرة العرب[١] ، والحبشية وموطنها إفريقيا ، كما أن شبه جزيرة العرب تتكلم اللغة العربية ، كما كان الأشوريون والبابليون المنقرضون يتكلمون لغة تمت إلى السامية بصلة وثيقة « وكانت الأرض كلها لسانا واحداً ولغة واحدة » [٢]، وجميع هذه الشعوب التى تتكلم السامية إنما تعود بأصلها إلى العنصر القوقازى .

وكلمة سامية فى حد ذاتها ، مشتقة من سام أحد أبناء نوح ، الذى انحدر منه العرب والعبرانيون ، وهما أبناء عمومة لأنهما من نسل إسماعيل وإسحق ، وكلاهما من صلب رجل واحد هو إبراهيم عليه السلام .

إلا أن العبرانيين اتخذوا العنصرية السامية للاستعلاء والمفاضلة على بقية شعوب الأرض ، وزعموا أن الله اصطفاهم دون سواهم ، وأنه جعل الناس عبيداً لهم[٣] ، وجعلوا من اللغة العبرية أساس تفاهمهم وتعارفهم ، مع أن معظم هؤلاء الأتباع لا يفهمون اللغة العبرية القديمة أو الحديثة . والواقع والتاريخ ينفيان صفاء السلالات العبرانية، فاختلاط الشعوب بعضها ببعض عن طريق التزاوج[٤]، واعتناق بعض شعوب الأرض للديانة الموسوية واعتناق اليهود منذ زمن المسيح عليه السلام إلى أيامنا هذه للديانة المسيحية ، ودخول اليهود والمسيحيين فى دين الله أفواجا منذ بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ كل هذه العوامل أفقدت اليهودية على مر الزمان طابعها الخاص ، وعنصريتها التى كانت تفاخر بها ، حتى أن العنصر الأنكلوساكسونى نفسه ـ على

---

(١) انظر تك ١٠ : ٣٠ . (٢) تك ١١ : ١ . (٣) انظر تكوين ٩ : ٢٥ — ٢٧ .
(٤) انظر نحميا ١٠ : ٢٨ — ٣٠ ؛ نحميا ١٣ : ٢٣ — ٢٧ ؛ عزرا ٩ : ١ ، ٢ ، ١٠ — ١٢ .

سبيل المثال ـ قد فقد خصائصه ، وقليلون من الإنكليز من يمكنهم الادعاء أن الدم الأنكلوساكسونى النقى ، مايزال يجرى فى عروقهم .

وهذه النظرية أثيرت منذ القدم فى عهد المسيح عليه السلام إذ جاءه رئيس من الفريسيين اسمه نيقوديموس[١] يستفسره عن ملكوت الله فيوجهه المسيح بأن ملكوت الله فى داخل قلب الإنسان ، وهو حالة الصفاء الروحى والذهنى والسلام الكامل رغم الأحداث التى يتمتع بها الإنسان الموصول الصلة بالله وليس من خارج الإنسان كاعتماد اليهود على عنصريتهم . وجاء بولس رسول المسيحية ينفى هذا الزعم ويؤكد أن البر[٢] بالإيمان لا بالانتساب إلى العنصرية .

وهذه القاعدة تنطبق على اليهود أكثر مما تنطبق على غيرهم ، فقد كانوا أكثر شعوب العالم اختلاطا بغيرهم بحكم انتشارهم فى جميع بقاع الأرض منذ القدم ، ولذا كان من الطبيعى أن يفقد اليهود الطابع الذى ورثوه عن أسلافهم الأقدمين من بنى إسرائيل . والدلائل الكتابية من توراتهم ركيزة إيمانهم ومعتقداتهم واضحة جلية فيما يلى :

١ — أن بنى إسرائيل سكنوا مصر حوالى ٤٣٠ سنة[٣] شملت عصر الأسرة الثانية عشرة وامتدت إلى الأسرة الثامنة عشرة ، وعاصروا حكم الأجنبى للبلاد « عصر الهكسوس » .

٢ — نفّذ الله فيهم قضاءه المبرم بشتات مملكة إسرائيل بسبب آثامها التى تجاوزت الحدود وذوبانهم فى شعوب الأرض سنة ٧٢٢ ق . م[٤] .

---

(١) انظر إنجيل يوحنا ٣ : ١ — ١٣ . (٢) انظر رسالة رومية ٤ : ١ — ٢٢ .
(٣) انظر خروج ١٢ : ٤٠ . (٤) ٢ مل ١٧ : ١ — ٢٤ .

٣ — ومع قضاء الله هذا بنفى مملكة إسرائيل لم تعتبر مملكة يهوذا فتستقيم مع الله، بل فسدت وازدادت آثاما جعلت الله يسلط عليهم نبوخذ نصر فيخرجهم من أرضهم ويدمر هيكلهم ويحرق مدينة أورشليم سنة ٥٨٦ ق . م [١] .

اذن من هم اسرائيل هؤلاء ؟

تقول التوراة إن بنى إسرائيل لما خالفوا أوامر شريعتهم ، وعبدوا آلهة غير الله ، مزق الله ملكهم ، وسلط عليهم من أذلهم ، ولم يبق تابعاً لبيت داود غير سبط يهوذا وحده [٢] ، بل إن هذا السبط تعرض للغزو وسبى من أرضه عام ٥٨٦ ق . م ؛ لأنه أخطأ إلى الله ، وظل هذا السبط فى أرض السبى من ٥٨٦ ق . م حتى ٥٣٨ ق . م ، حيث عاد بعضهم وليس جميعهم إلى أرض فلسطين عندما صرح كورش ملك فارس لهم بالعودة .

وفى فترة السبى هذه دعا أنبياء بنى إسرائيل شعبهم إلى الامتزاج والمصاهرة ليزدادوا عدداً [٣] ، كما شجعوهم على المسالمة وحسن المعاشرة حتى يعيشوا فى رفاهية وأمن [٤] .

وإذا تتبعنا يعقوب منذ رحيله إلى مصر فإننا نتبين أن ابنه يوسف قد تزوج بمصرية [٥] ، وأن يعقوب نفسه قد بارك هذا الامتزاج وارتضاه [٦] .

كذلك تزوج موسى بمدينية [٧] ، كما تزوج داود بحثية [٨] ، وكان نتاج هذا الزواج ولده سليمان عليه السلام الذى تولى الملك بعد أبيه [٩] ، وتحكى

---

(١) انظر ١ مل ١١ : ٣١ — ٣٩ ، ١ مل ١٢ : ٢٠ ، ٢ مل ٢٥ : ١ — ١٧ ، ٢ حب ٣٦ : ١ — ٢٠ . (٢) انظر الهامش السابق . (٣) إرمياء ٢٩ : ٤ — ٦ .
(٤) إرمياء ٢٩ : ٧ . (٥) تك ٤١ : ٤٥ ، ٥٠ — ٥٢ . (٦) تك ٤٨ : ١ — ١٦ .
(٧) خروج ٢ : ١٦ — ٢٢ ، خروج ١٨ : ١ — ٧ ، سورة القصص : ٢٣ — ٢٨ .
(٨) ٢ صم ١١ : ٢٦ ، ٢٧ . (٩) ١ مل ١ : ١٥ — ١٨ ، ٢٩ — ٣١ .

التوراة أنه قد تمت مصاهرة بين سليمان وفرعون مصر ، كما تزوج نساء أخريات غريبات إلى جانب بنت فرعون[١] .

وفى زمن القضاة تزوج شمشون بفلسطينية رغم اعتراض أبيه، ثم أحب بعد ذلك امرأة فى وادى سورق اسمها دليلة[٢] .

والناس على دين ملوكهم ، وتسجل التوراة هذه الأحداث من مصاهرة وامتزاج بالشعوب بأن بنى إسرائيل سكنوا «فى وسط الكنعانيين ... وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم »[٣]، وأنهم فى زمان سبيهم بأرض بابل امتزجوا بالبابليين حتى أن عزرا الكاهن مزق ثيابه ورداءه لما علم أن بنى إسرائيل اتخذوا من بنات البابليين لأنفسهم ولبنيهم ، وأن الزرع المقدس اختلط بشعوب الأرض [٤] .

ونحميا أيضاً رأى اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودى، ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى ، بل بلسان شعب وشعب[٥]. والتاريخ يعيد نفسه فإن هؤلاء الأشتات الذين تجمعوا من يهود الأرض من بلادهم الأصلية ليعيشوا تحت سماء أرض فلسطين إنما يتكلمون بلسان شعب وشعب ، وكأن أرض فلسطين أصبحت مسرحا لمختلف اللغات واللهجات أو كأنها أصبحت برج بابل [٦].

والثابت تاريخيا أن عشرة أسباط من اثنى عشر سبطا قد اندثروا نهائيا سنة ٧٢٢ ق.م[٧]، وأن سبطين منهما سبط يهوذا قد امتزجا بالشعوب ، وأن قسما كبيراً منهم استوطن منفاه فى بابل ولم يعد إلى أرض فلسطين .

(١) ١مل ٣ : ١ ، ١مل ١١ : ١ — ٩.
(٢) قضاة ١٤ : ١ — ٣ ، ١٦ : ٤ .
(٣) قضاة ٣ : ٥ ، ٦ .
(٤) عزرا ٩ : ١ — ٣ .
(٥) نحميا ١٣ : ٢٣ — ٢٦ .
(٦) تك ١١ : ١ — ٩ ؛ ٢مل ١٧ : ٢٤.
(٧) تك ١٤ : ١٣ — ١٤.

والآن كيف يمكن لأى يهودى الادعاء بأنه ينحدر مباشرة من أولئك اليهود الأقدمين ، الذين سكنوا يوما من الأيام الأرض المقدسة ؟

إن خرافة العنصرية اليهودية ترتكز على القاعدة القائلة : « إن كلمات : عبرى ، وإسرائيلى، ويهودى ، واليهودية ، والشعب اليهودى ، إنما استعملت لمدلول واحد » .

ولكن الواقع هو غير ذلك ، فهذه الكلمات إنما تعنى أجيالا مختلفة عاشت فى عصور مختلفة . فكلمة عبرانى أطلقت على الشعب الذى استوطن أرض كنعان « فأتى من نجا وأخبر أبرام العبرانى ...[1] » وهى مشتقة إما من كنية إبراهيم لجده عابر [2]، أو من عبور إبراهيم من أرض العراق إلى أرض كنعان لنهرى الفرات والأردن[3].

وكلمة إسرائيلى كنية لسلالة يعقوب عليه السلام [4] وهو اللقب الذى خلعه الملاك على يعقوب[5]، وباركه الله به[6]، حتى أن يعقوب دعا اسم ذلك المكان الذى باركه فيه الله « بيت إيل » .

وأما كلمة يهودى فهى التعبير الذى كنيت به البقية الباقية من بنى إسرائيل بعد اندثار عشرة أسباط منهم فى سبى أشور سنة ٧٢٢ ق . م ، ولم يبق إلا سبط يهوذا فحرف الاسم من يهوذا إلى يهود ، وأول إعلام لهؤلاء بهذه الكنية فى أرض بابل [7] كان فى عهد النبى إرمياء، أما لفظة اليهودية Judaism فلم يستعملها العبرانيون أو الإسرائيليون مطلقاً ، بل ظهرت لأول مرة إثر ظهور الديانة

(١) تكوين ١٤ : ١٣ ، ١٤ . (٢) انظر تك ١١ : ١٦ — ٢٦ .
(٣) تك ١١ : ٣١ ، ٣٢ ، تكوين ١٢ : ١ — ٩ .
(٤) تك ٣٢ : ٢٢ — ٢٩ . (٥) تك ٣٥ : ٩ — ١٥ .
(٦) تكوين ٤٢ : ٥ . (٧) استير ٢ : ٥ ، استير ٨ : ١٦ .

المسيحية :«وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل»[١] .

وعندما أصبحت كلمة اليهودية شائعة ، لم يكن هنـــــاك من دولة عبرانية أو إسرائيلية فى عالم الوجود ، إذ أن الشعب اليهودى كان منتشراً فى أنحاء العالم المعروف آنذاك ، وقد اختلط أفراده بسائر الشعوب .

وقد كانت الموجة الكبرى التى اعتنقت الديانة اليهودية فى القرن الثالث عشر أكبر هذه الموجات ، وقصة « مملكة الخازار »[٢] التى اعتنقت الديانة اليهودية مع حاكمها وقادتها ، مازالت عالقة بأذهان جميع اليهود المؤمنين .

فقد قامت هذه المملكة فى القسم الجنوبى من روسيا بين نهرى الفولجا والدون ، وامتدت حتى شواطىء البحر الأسود وبحر قزوين ، وعرفت بالمملكة الخازارية Kingdom of Khazaria وكان يحكمها ولاة حملوا لقب خاقان Khagan .

وفى عام ٤٤٨ غزا القائد المغولى أتيلا ، فى زحفه نحو الشرق ، هذه المملكة، ثم غزاها المسلمون بعد ذلك فى عام ٧٣٧ .

والرسائل المتبادلة بين حاكم المملكة والطبيب اليهودى حسدى بن شابروت أحد مستشارى الخليفة الأموى الأندلسى عبد الرحمن ، تلقى نوراً على أوضاع هذه المملكة التى اتخذت اليهودية دينا رسمياً لها .

واستنادا إلى هذه الحقائق التاريخية ، فإن وايزمن وسيلفر ينحدران بأصلهما من سلالة الخازاريين ، الذين كانوا وثنيين قبل أن يعتنقوا اليهودية .

---

(١) أعمال الرسل ٨ : ١ .

(٢) الخازار : شعب خليط من العنصر التركى الفلمنكى Turko — Finnish

ولا نغالى إذا قلنا إن عدداً كبيراً من المسيحيين يجرى فى عروقه الدم العبرانى الإسرائيلى القديم ، أكثر مما يجرى فى عروق فريق كبير من اليهود المفاخرين بعنصريتهم اليهودية .

والطريف فى الأمر أن العنصرية تلعب دوراً عجيباً فى مصائر البشرية ، فإن قادة الصهيونية يقولون إن الشعب اليهودى ينتمى إلى العنصر العبرانى السامى .

والجدير بالذكر ، أن أكثر الشعوب العربية فى الشرق الأوسط تنتمى إلى هذا العنصر نفسه ، ولكنها لا تعتنق الديانة اليهودية .

وهؤلاء العرب سكان الجزيرة العربية وسكان الشام هم ساميو الجنس ويعتبرون أشد أعداء الإسرائيليين الذين ادعوا باغتصابهم أرض فلسطين أنهم عادوا إلى «وطنهم العنصرى» وإن عداوة العرب للإسرائيليين هى رد فعل لتجنى الإسرائيليين على حقوق العرب :

فمنذ القدم ادعى الإسرائيليون لأنفسهم ماليس لهم فأورثوا أنفسهم ميراث جدهم الأعلى إبراهيم عليه السلام ، وحرموا منه إسماعيل جد العرب [١] ، وسارت المسيحية فى هذا الفلك فنادت بعنصرية أنهم ينتمون إلى سارة زوجة إبراهيم لا إلى الجارية هاجر أم إسماعيل [٢] .

هذا بالرغم من أن المسيح عليه السلام دحض هذا الافتراء وأعاد الحق إلى نصابه فتنبأ بانتزاع الملك والنبوة والكتاب من إسرائيل إلى أمة إسماعيل عليه السلام [٣] ، وفى هذا يقول الله تعالى : «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه

---

(١) تك ٢١ : ١٠ . (٢) غلاطية ٤ : ٣٠ . (٣) متى ٢١ : ٤٢ ، ٤٣ .

وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين »[١]، ويؤيد المسيح فى نبوءته يوحنا صاحب الإنجيل والرسائل وسفر الرؤيا المنسوبة إليه ، فيقول : « هأنذا أجعل الذين من مجمع الشيطان من القائلين إنهم يهود، بل يكذبون ، هأنذا أصيرهم يأتون ويسجدون أمام رجليك ويعرفون أنى أنا أحببتك »[٢] .

ومن هو حبيب الرب هذا ؟ ويجيب المسيح متنبئا عنه بقوله :« وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق .. »[٣] تأييداً لما سبق أن تنبأ به سلفه موسى عليه السلام بقوله : « أقيم لهم نبيا فى وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به »[٤] .

ومن ثم فإن العداوة بين العرب وإسرائيل تمتد إلى أصول بعيدة عبر التاريخ والأحداث ، وتجرى أحداثها على أرض فلسطين وحدها . واستناداً إلى دراسات علماء الجنس البشرى ، يمكننا أن نؤكد أن اليهود حيثما وجدوا فإنهم يشابهون الأشخاص الذين يعيشون وإياهم فى بيئة واحدة .

وإسرائيل بوضعها الراهن تجمع أشتاتاً من الشعوب ، ويمكن فى سهولة التمييز بين يهود « الاشكنازى » البولونيين ويهود شمالى إفريقيا وألمانيا ، لأن الاختلاف لا يقتصر على الجنس ولون البشرة فحسب ، بل يتعداه إلى الزى واللغة والعادات وأسلوب التفكير .

ويؤلف يهود العراق حوالى عشر سكان إسرائيل الآن ، ولا يفوقهم فى العدد إلا يهود بولونيا ورومانيا . ومنذ أن استقر بهم الحال هناك ، وهم

---

(١) آل عمران : ٦٨ .
(٢) رؤيا ٣ : ٩ .
(٣) إنجيل يوحنا ١٦ : ١٣ .
(٤) تثنية ١٨ : ١٨ .

يشكون ويتذمرون من التدابير الشاذة التى اتخذت بحقهم ، ومن تفضيل يهود أوروبا ويهود أمريكا عليهم .

وفى يوليو عام ١٩٥١ ، قام يهود العراق بمظاهرة كبيرة فى تل أبيب ، احتجاجاً على التدابير العنصرية فى إسرائيل التى تعتبر فريدة فى نوعها، وكذلك الحال مع يهود شمال أفريقيا واليمن .

وعلى الرغم من كل هذا التفاوت ، والتناقض الظاهر فى الأجناس والعناصر التى تتألف منها إسرائيل ، فما زالت تكافح فى سبيل بقائها ، مستندة بوحدتها إلى بدعة « السامية » وخرافة العنصرية اليهودية .

والواقع أن إسرائيل ليست إلا مستعمرة لخدمة الأغراض الأنجلو أميريكية[١]، ففى تكوينها ٣٧٪ من سكانها مولودون فى إسرائيل ، ٣٥ ٪ مهاجرون من بلاد صناعية فى أمريكا وأوربا وسلوكهم وتصرفاتهم تحمل طابع كل المستعمرات التى يعمرها المهاجرون حتى إزاء المهاجرين من المناطق النامية فى آسيا ١٦ ٪ ، وفى أفريقيا ١٢ ٪ ، وهكذا يتضح أن توزيع الشعب مخالف للمجتمع المتوازن .

وأهم عوامل عدم التوازن فى التجربة الإسرائيلية أن تمويل دولة إسرائيل هو من الخارج ، ويزيد مقدار العون الخارجى الذى تتلقاه إسرائيل عن مائة دولار للشخص الواحد فى العام .

وقد بلغ مجموع ماتلقته من العون خلال السنوات العشر الأخيرة ٧ بلايين دولار ، مصدرها الولايات المتحدة وتبرعات اليهود والتعويضات الألمانية .

---

(١) إسرائيل أداة الاستعمار فى أفريقيا ، للزعيم بن بركة .

نظرية الحق التاريخي

الميثاق وادواره :

« قال أبرام : ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما ؟ »[١] هذا سؤال من إبراهيم إلى ربه وليس له وريث الا ابن بيته اليعازر الدمشقي، ويحدد سؤاله إلى الله : « وقال أبرام أيضاً : إنك لم تعطني نسلا ، وهوذا ابن بيتي وارث لي »[٢] .

« في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » [٣] .

وتنجز سارة الوعد بأن تزوج إبراهيم من هاجر ويعطي إبراهيم نسلا من هاجر : « فولدت هاجر لأبرام ابنا ، ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل » [٤] .

ويزيد الله إبراهيم ببركة ثانية فيعطي له إسحق من سارة : « فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابنا في شيخوخته..وختن إبراهيم إسحق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله » [٥] .

العهد والعلامة :

وشاء الله أن يجعل إبراهيم أمة مؤمنة صادقة صابرة،وأن يجعل لهذه الأمة مميزا عن باقي شعوب الأرض فأقام عهداً وميزه بعلامة :

« هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم من بعدك . يختن منكم كل ذكر فتختتنون في لحم غرلتكم ، فيكون علامة عهد بيني وبينكم ، ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم » [٦] .

---

(١) تك ١٥ : ٢ .

(٢) تك ١٥ : ٣ .

(٣) تك ١٥ : ٢١ .

(٤) تك ١٦ : ١٥ .

(٥) تك ٢١ : ٢، ٤ .

(٦) تك ١٧ : ١٠، ١٢ .

وإنجازاً لهذا العهد « أخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته . كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرلتهم فى ذلك اليوم عينه كما كلمه الله . وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين خُتن فى لحم غرلته . وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين خُتن فى لحم غرلته . فى ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه » (١).

النوازع البشرية :

وتأبى سارة بعد أن تلد إسحق أن يشارك ابنها شريك فى الميراث فتدفع إبراهيم إلى أن يطرد هاجر وابنها إسماعيل فى الصحراء العربية بغية أن تفتك بهما وحوش الصحراء الكاسرة فتعلن إرادتها بقولها : « اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن الجارية لا يرث مع ابنى إسحق » (٢) .

فيأسف إبراهيم ، ولكن العناية الربانية لن تترك الأمور تجرى كما يخطط لها البشر ، فيؤكد الله لإبراهيم : « وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك » (٣). كما تحوط العناية الربانية هاجر زوجة إبراهيم ويعزيها الله سبحانه بوعده لها : « قومى احملى الغلام وشدى يدك به ، لأنى سأجعله أمة عظيمة » (٤) .

ويقول بولس رسول المسيحية : « فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم » (٥).

هذه هى القصة عبر التاريخ من أعماق الأجيال الموغلة فى القدم ، وتسرى هذه القصة وتتجدد ذكراها بعهد موسى عليه السلام يوم أن جمع شمل بنى إسرائيل ليخلق منهم أمة « دينا ودنيا » : « اذهب واجمع شيوخ إسرائيل وقل لهم : إله آبائكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ظهر لى قائلا : إنى قد

---

(١) تك ١٧ : ٢٣ — ٢٦ .
(٢) تك ٢١ : ١٠ .
(٣) تك ٢١ : ١٣ .
(٤) تك ٢١ : ١٨ .
(٥) رومية ٤ : ١٣ .

افتقدتكم وما صنع بكم فى مصر » (١)، ثم تتجدد الذكريات بعهد عيسى ابن مريم يوم أن أعلن ملكوت الله الروحى وأراد أن يجمع إسرائيل الروح إلى معرفة الله ، أراد أن يدعو إلى الملكوت الروحى لا الدنيوى لأن الكيان السياسى قد زال منذ أمد بعيد تحقيقاً للإنذارات الإلهية لبنى إسرائيل على أيدى أنبياء الله العديدين . وأعلن المسيح عن مجيئه بقوله : « لم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة »(٢) ، ونادى بالملكوت قائلا : « إن ملكوت الله يشبه خميرة أخذتها امرأة وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع » (٣) ، وهو تشبيه ـ اختيار الله لشعب إسرائيل كرسالة لله بين شعوب الأرض ، لكن إسرائيل فسدت وتمت فيهم نبوءة إشعياء : « ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلى الشر أولاد مفسدين . تركوا الرب . استهانوا بقدوس إسرائيل ، ارتدوا إلى الوراء » (٤). فكان لابد من أمة طاهرة صالحة تحمل لواء الربانية والصلاح ، فإن المسيح ندد بإسرائيل قائلا : « أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس؟ لماذا تطلبون أن تقتلونى »(٥).

يقول تقرير الأمم المتحدة لسنة ١٩٤٧ عن فلسطين فى الصفحة ١٤٦ : « أن تحتل فلسطين ، كأرض مقدسة ، وضعا فريداً فى العالم ، إنها مقدسة فى أنظار المسيحيين واليهود والمسلمين على السواء .. ».

والمصالح الروحية لمئات الملايين من معتنقى الأديان الموحدة العظمى ذات صلة وثقى بمسارحها وأحداثها التاريخية ، ولذا فإن أى حل للمشكلة الفلسطينية يجب أن يراعى هذه المصالح الدينية .

اولا : فى فلسطين أماكن لها القداسة فى أنظار اليهود ، ويشترك

---

(١) خروج ٣ : ١٦ .
(٢) متى ١٥ : ٢٤ .
(٣) لوقا ١٣ : ٢٠ .
(٤) إشعياء ١ : ٤ .
(٥) يوحنا ٧ : ١٩ .

المسلمون فى تقديسهم لها : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » [١] .

فبيت لحم هو المكان الذى ولد فيه داود .

وبلوطة ممرا هى المكان الذى احتفى فيه إبراهيم بالملائكة على حين غرة .

ونبع أريحا هو المكان الذى ارتوى منه الإسرائيليون ، ومدينة أريحا لها مكانتها وشهرتها نشيداً وقصة .

وجبل جلبوع هو المكان الذى لقى فيه شاول الملك وأبناؤه مصرعهم بانتصار الفلسطينيين على الإسرائيليين [٢] .

وفى فلسطين خرائب أبنية الهيكل ما تزال قائمة « بجدار المبكى » وخرائب سليمان ما تزال قائمة فى مجدو .

وفى شكيم انتقم الإسرائيليون لشرف أختهم دينة التى اغتصبها شكيم «وتكلم حمور معهم قائلا : شكيم ابنى قد تعلقت نفسه بابنتكم . أعطوه إياها زوجة ، وصاهرونا : تعطوننا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا، وتسكنون معنا ، وتكون الأرض قدامكم » [٣] .

وفى دوثان باع إخوة يوسف أخاهم يوسف [٤] .

وصخرة المريا تلك البقعة المقدسة التى عندها رأى داود عليه السلام الملاك منتضياً سيفه المضطرم .

وأرض فلسطين على أديمها مشت أقدام الأنبياء عبر الأجيال المتعاقبة وقد أرعدت أصواتهم بنى إسرائيل باتباع المعروف والنهى عن المنكر والضلال .

---

(١) البقرة : ٢٨٥ . (٢) ١ صم ٣١ : ١ ـ ٨ .

(٣) انظر تك ٣٤ : ١ ـ ٢٩ .

(٤) تك ٣٧ : ١٢ ـ ٣٥ ، انظر سورة يوسف : ٧ ـ ٢١ .

كل هذه الذكريات بما فيها من مآس وغدر وتجليات ربانية جعلت برنار يعبر عنها بقوله : «إن اليهودى يحمل فى صدره عاطفة دينية خطيرة الشأن وهى الإيمان « بيهوه »[١]،وهو على زعمهم إله الإسرائيليين شعب الله المختار دون الشعوب الأخرى ، ومن ثم نستطيع أن نفهم كنه العصبية اليهودية فإنها دينية فى المقام الأول » .

وقال سبينوزا اليهودى ـ وهو من أكبر فلاسفة التاريخ : «لم يكن حب اليهود لوطنهم حباً بسيطا ، بل كان أشبه شىء بالورع ، فهذا الورع — مع ما رافقه من الاحتقار للشعوب الأخرى استعلاء — كان ينمو يوما فيوما مع ممارسة اليهود لديانتهم حتى أصبح متأصلا فى نفوسهم » .

ثانيا : وهل نسينا أن هــــذه الأرض ذات البلاد المحببة إلى نفوس المسيحيين مقدسة أيضا فى أنظار العالم المسيحى ؟

فالتلال التى بشر فوقها المسيح ، والآبار التى توقف عندها وشرب [٢]، والجبل الذى اعتلاه ليذيع موعظته الخالدة [٣] ، والطرق التى قطعها [٤] وهو يلقى أمثولات الإحسان والوداعة ، والقرى التى آوى إليها[٥] وتقبل جميع الناس حتى السكيرين والخطاة إخوانا له يهديهم إلى الحق ، والبحر الذى جلس عند شاطئه يعظ الجموع[٦] .

وفى بيت لحم طفولته ، وفى الناصرة مسقط رأسه ، والطريق من بيت لحم إلى مصر هجرته[٧] .

إن هذه ذكريات للمسيحيين ذات مكانة قدسية فى نفوسهم .

---

(١) خروج ٣ : ١٥ .
(٢) يوحنا ٤ : ٦ ـ ٢٦ .
(٣) متى ٥ : ١ .
(٤) متى ١٢ : ١ ـ ٨ .
(٥) متى ١٥ : ٢١ .
(٦) متى ١٣ : ١ .
(٧) متى ٢ : ١٣ ـ ١٥ .

ثالثا : إن هذه الأرض مقدسة كذلك فى أعيننا ، فإبراهيم عليه السلام له فى أرض فلسطين مواقف عزيزة : « ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين »[١] ، وهو الجد الأعلى للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو مدفون فى حبرون ، والمسلمون يحرسون ذلك القبر بأكبر قدر من العناية والحيطة . وإلى فلسطين أُسرِىَ بالمصطفى صلى الله عليه وسلم : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »[٢] .

رابعا : وإن هناك أيضا لتاريخا عظيما ، كانت مجدو الساحة الشهيرة للمعركة المدعوة بـ « أرمجدون » . ومن مدينة صور ، حيث كان الشعب الصورى ذا شأن ، كان التجار يتاجرون مع عالم البحر الأبيض المتوسط . وإن خرائب عظيمة ما تزال ترى حيث كانت المدن الرومانية الساحلية ، وقد شهدت حطين هزيمة الصليبيين وفقدان الصليب الحقيقى .

مؤكد أنه لا ينبغى أن ننسى هذه المعانى الدينية والتاريخية . ففى فلسطين كل هذه الأماكن وغيرها مما لا يحصى من المواطن التى تكاد تضاهيها أهمية .

لننقذ إذن هذه الأرض المقدسة ، ولنعدها إلى أصحابها الشرعيين . إن فلسطين تبدو مليئة بالقوة كأنما اختزنت الطاقة منذ أن خلق العالم ، ولعلها امتصت ، كأنما على صفحة مُصوَّرة خالدة ، موكبا من أحداث عظيمة كانت

---

(١) البقرة : ٢٥٨ . (٢) الإسراء : ١ .

قد ظهرت هناك واندثرت ممالك وإمبراطوريات وأمم ، وسجلت كأسطوانة «فونوغرافية» جميع الأصوات والطقوس القديمة والبركات عبر العصور، فتختلج بها بصمت وتكاد تكون على أهبة الهمهمة بها . إن المرء ليدرك أن فلسطين تريد أن تتكلم وتتحدث بشيء تشعر بأن من واجبها أن تتحدث به .

أما إسرائيل فإنها من ناحية تعتبر ادعاءاتها قائمة على أساس أن الوعد لا نزاع ولا جدال فيه ، وتطالب بإسرائيل موسعة « تشمل النقب وأدوم ومؤاب وعمون وجلعاد » ، أي ما يعادل مملكة داود وسليمان التي تحقق بها الوعد : « وكان سليمان متسلطا على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر » (١) .

ولكن مملكة داود وسليمان لم تدم أكثر من ٧٣ سنة كما رأينا من قبل، مما يجعلها من الفئة القصيرة الأمد وينقض حجة إسرائيل .

إن أرض الميعاد الحقيقية لم تمتد إلا من دان إلى بئر سبع طولا ، ومن الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط عرضا . وعندما قاد موسى الإسرائيليين القدامى حتى قادش برنيع كان فى النقب ، وكان ما يزال خارج أرض الميعاد ، ذلك أنه بعث برجال عبر الحدود « لاستطلاع البلاد » ، وعندما استدار موسى بأتباعه حول الحدود الشرقية ووقف على الأعالى وراء الأردن كان ما يزال خارج أرض الميعاد التي منع موسى من الدخول إليها : « وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفسجة الذى قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان ... وقال له الرب : هذه هى الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب

---

(٣) ١ مل ٤ : ٢١ .

قائلا انسلك أعطيها . قد أريتك إياها بعينيك، ولكنك إلى هناك لا تعبر . فمات موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب ، ودفنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم »(١) .

وهكذا فليس من شك فى أن مؤاب وعمون وجلعاد والنقب لم تكن مشمولة بالوعد قط . وإذن فإذا كانت إسرائيل الصهيونية لاتتبدل ، فإن عليها أن تسلم النقب ومستعمراتها إلى الشرق من بحيرة الحولة والجليل ، وأن تنسحب إلى داخل حدود الأرض الموعودة .

ولكن ماشرعية الوعد بالنسبة إلى فلسطين الأصلية ، داخل حدودها المعترف بها من دان إلى بئر سبع ومن الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط ؟ وهى «مملكة يهوذا التى ظهرت سنة ٩٢٧ ق.م . وضاعت سنة ٥٨٦ ق.م».

لاشك فى أن الوعد ، فى تلك المنطقة ، قد أتاح أكثر الادعاءات شرعية ، ولكن الحقيقة الكبرى التى تتغاضى عنها إسرائيل الصهيونية هى أن **الوعد قد انجز** . لقد أنجز منذ زمن طويل ، وأكثر من ذلك ، لأن مملكة داود وسليمان — كما سبق أن رأينا — قد شملت من الأراضى أكثر مما اشتمل عليه الوعد .

والحقيقة الأخرى هى أنهم يستمسكون بالوعد ونسوا العهد ، ويقول الله تعالى : «إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين»(٢) .

وفى هذا يقول الله تعالى : « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيراً »(٣) .

عندما فتح البابليون القدامى يهوذا ، البقية الباقية من المملكة اليهودية ، زال وجودها السياسى كدولة إلى الأبد . وعودة اليهود إلى فلسطين ، وبقاؤهم

---

(١) تثنية ٣٤ : ١ — ٦ . (٢) سورة البقرة : ١٢٤ (٣) سورة الإسراء : ٤ .

لهيكلهم من جديد بقيادة عزرا ونحميا لم يتما على يدى شعب حر ، بل على يدى شعب كان خاضعاً للفرس ، ومن هنا تتضح الحقيقة وهى أن العودة كانت عودة روحية ، لا سياسية .

وتلك العودة الروحية التى فاز بها رجال ذوو استقامة وعدل والتى تمثلت فى إعادة بناء الهيكل ، قد تعرضت للخطر مراراً فى الأجيال التالية عن طريق الحروب الأهلية اليهودية ، وتقوضت أركانها نهائيا بانهدام الهيكل على يدى الإمبراطور تيطس سنة ٧٠ م ، وحصول التشتت فى سنة ١٣٥ م .

وهكذا فنحن نعرف أن الوعد قد أنجز فى الأزمنة الغابرة وأضيع ... وعلى هذا فإن أى ادعاء حديث قائم على أساس ذلك الوعد لاصحة له ، ذلك أنه كان عقداً أنجز وانتهى أجله منذ أمد طويل، وأنه كان مشروطا بالاستمساك بالعهد (١)، لكنهم نقضوا العهد (٢) .

وإذا طبقنا طريقة المقارنة التى اتبعناها فى القسم التاريخى ، فإن علينا أن نقر بأن الوضع الدينى للعرب هو الوضع الأفضل ، فهم قد التحموا بالكنعانيين الوطنيين ، وبطريقة ما أصبحوا ورثتهم الروحيين ، فقد كان الكنعانيون أول من أقاموا عبادة الإله الأسمى مما يعطيهم الأسبقية ، ولقد حرس المسلمون طيلة ألف وثلثمائة وسبعين سنة مدينة القدس المقدسة ، وهى مدة من الزمن تؤكد رقما قياسيا فى الاستمرار لم يفقه أى من أتباع الأمم الآخرين ، مما يعطى المسلمين الآن الملكية الراهنة .

---

(١) انظر تك ١٧ : ٩ — ١٤ ، خروج ٣٤ : ١١ — ١٦ ، تث ٧ : ١ — ١١ ، تث ٤ : ٢٥ — ٣١ . (٢) « ان بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف » . ١ مل ١٩ : ١٠ ، ٢ مل ٢١ : ١٢ — ١٥ .

والعرب يشعرون فى الأزمة الحاضرة بأن اليهودى ليس له قدم يقف عليها . فإذا كان الله قد اختاره .. فإنه قد تخلى عن الله واتبع آلهة أخرى ، وعن طريق الارتشاء والطمع فى الربح خسر اليهود الأرض المقدسة .

وبعد أن خسروها لأول مرة وعدهم الله وأعطاهم فرصة ثانية لإرجاع مركزهم الروحى : القدس ، ولكنهم أضاعوا هذا أيضا ، ومن ثم غاب اليهود وابتعدوا عن فلسطين طيلة ألف وثمانمائة سنة منذ شتاتهم فى سنة ١٣٥ م .

وعلى الرغم من هذا الغياب الطويل ، ومع أن الله لم يكن قد وعد برجوع ثان بعد أن شردهم الرومان ، فإن اليهود الصهيونيين غزوا فلسطين بطرق مختلفة وأنشأوا دولة إسرائيل ، وفى عدوانهم التوسعى على العرب سنة ١٩٦٧ استولوا على القدس نفسها كما استولوا على قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء .

وإننا نحن العرب نشعر بأن وضعنا من ناحية فلسطين لا تمكن مهاجمته من الناحيتين التاريخية والروحية .

فمن الناحية التاريخية كانت صلتنا بها عبر الأجيال من الكنعانيين فالأنباط فالعرب .

ومن الناحية الروحية يبدو ذلك خلال التوراة والأنبياء والإنجيل والقرآن الكريم مصدقا لما سلف من الكتب السماوية ومهيمنا عليها ، وخلال السلالة النبوية الممتدة فى أعماق التاريخ فى إبراهيم أن الوعد مشروط بالعهد ، وأن العهد صريح فى قوله تعالى : « لا ينال عهدى الظالمين »(١).

(١) سورة البقرة : ١٢٤ .

إذاً هذا هو التاريخ الزمنى والدينى لمدينة القدس .

إن مصير القدس المثالى ، والنتيجة الملائمة لتاريخها الدينى العظيم هى أن تكون مزارا عالميا لله ، مباحا لجميع المؤمنين بالله ، من يهود ومسيحيين ومسلمين .

والأمم المتحدة نفسها قد اعترفت بوضع القدس كمدينة مقدسة . إن الظروف والأوضاع يجب أن تتبدل ، فكيف يتسنى تحقيق ذلك ؟

على الدول الكبرى أن تبـــذل من تفكيرها ، وأن تبتعد عن الحلين المعروفين الآن وهما : الوصاية ، أو الاستقلال بعد معاهدة صلح بين الدولتين .

والحل الوحيد الذى يراه الساسة الدوليون هو إقامة حاجز أدبى من القوة بحيث يكون بمثابة سور ، مثل الحاجز الذى يصون الفاتيكان فى أيامنا هذه ، ولكن الحاجز الأدبى الذى يصون الفاتيكان لم توجده عوامل خارجية ، بل أوجدته صفة المؤسسة نفسها .

وإذن فإن حاجزاً أدبياً لفلسطين يمكن إيجاده لا بفعل أى شىء من الخارج ، بل بتبدل فى صفة فلسطين ذاتها ، فقط برفعها إلى حالة سامية جداً بحيث يعترف الرأى العام العالمى بطهرها وحرمتها ، ولا يسمح بأى عدوان على هذه الحرمة .

المطامع الصهيونية التوسعية :

يلعب العامل الدينى فى المشكلة الإسرائيلية دوراً خطيراً ، بل إنه لعب دوراً هاما فى إقرار التقسيم لدى الطائفة البروتستانتية التى تستمد تعاليمها من

التوراة ، وكان هذا العامل من جملة العوامل التى حملت إيرل بلفور والجنرال سمطس على تأييد إقامة وطن قومى يهودى فى الأراضى المقدسة .

فقد كان للعبارة التالية الواردة فى صك الانتداب البريطانى على فلسطين: «العلاقة التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين » أثرها الكبير فى معركة التقسيم ونجاحها . ففى الخطاب الذى ألقاه الحاخام سيلفر أمام اللجنة الخاصة شدد على هذه العبارة ، واستند إليها فى مطالبته بإنشاء الوطن القومى .

التوفيق بين التسلل الدينى والمخطط الصهيونى :

اتخذت إسرائيل قراراً بضم الأراضى العربية المحتلة إلى الأراضى المغتصبة من فلسطين ، وهذا القرار التوسعى يمثل خطوة جديدة فى تنفيذها ، قديمة فى أعماق مؤامرة قديمة يرجع تاريخها إلى سبعين سنة حاولت خلالها الصهيونية أن تنفذ هذه المؤامرة على مراحل كل عشر سنوات :

١ ــ فى عام ١٨٩٧ عقد أول مؤتمر صهيونى فى مدينة بال السويسرية ، ومنذ ذلك العام والدبلوماسية الصهيونية تحقق كل عشر سنوات جزءا من أطماعها التوسعية فى المنطقة .

٢ ــ فى العقد الأول (١٨٩٧ ــ ١٩٠٧) انصرفت المنظمة الصهيونية نحو خلق مؤسساتها الرئيسية : المالية ، والإدارية ، والدعائية .

٣ ــ فى العقد الثانى عام ١٩٠٧ تحقق الاندماج بين (الجناح السياسى) و (الجناح العلمى) فى الحركة الصهيونية ، فجاءت الخطة الجديدة التى دعاها وايزمن (بالصهيونية التوفيقية) والتى أقرها المؤتمر الصهيونى الثامن عام ١٩٠٧ وتدعو إلى استئناف التسلل البطىء وتنظيمه ورعايته ، وكانت مقدمة للحلقة التالية ..

٤ ـ ثم جاء العقد الثالث عام ١٩١٧ حاملا معه رخصة السياسة الرسمية باستيطان فلسطين بعد صدور وعد آرثر بلفور المعروف .

٥ ـ وفى عام ١٩٢٧ دخلت الحركة الصهيونية العقد الرابع من عمرها وقد حصلت من الحكومة المنتدبة على اعتراف رسمى بتنظيماتها المحلية فى فلسطين .

٦ ـ وفى عام ١٩٣٧ حاولت بريطانيا أن تحول « شبه الدولة » إلى دولة تامة ، فأوصت لجنة ملكية بريطانية بتأسيس « **دولة يهودية** » فى جزء من فلسطين .

٧ ـ وفى عام ١٩٤٧ انتهى العقد الخامس وأطل العقد السادس من عمر الحركة الصهيونية لتحقق أكبر انتصار لها .. فقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى خريف ذلك العـــام توصيتها الشهيرة بتقسيم فلسطين وإقامة « **دولة يهودية** » فى جزء من أجزائها ..

٨ ـ وفى عام ١٩٥٧ استقبلت الحركة الصهيونية عقدها السابع وهى تبذل جهد المستميت لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من حطام مطامها التوسعية ، وكان ذلك نتيجة للعدوان الثلاثى المعروف « إسرائيل ، فرنسا ، بريطانيا » .

٩ ـ وفى عام ١٩٦٧ وقع عدوان ٥ يونيو المعروف ، وتحاول الصهيونية أن تحتفظ بثمار هذا العدوان . .

وماذا تريد إسرائيل الآن من مكاسبها التوسعية ؟

صرح أبا إيبان فى جريدة هآرتس فى ١٩٦٧/٩/٢٨ أن إسرائيل تريد أن تبحث جميع المشكلات المتنازع عليها ضمن اتفاقية سلام بينها وبين الدول العربية .

وقرر إسرائيل جاليلى لصحيفة هايوم فى ٢٢/١٠/١٩٦٧ « أن إسرائيل لن تتزحزح قواتها عن الأراضى التى تحتلها قبل التوقيع على اتفاقية للسلام » .

إن نداءاتهم بالسلام إنما تنطوى على أبعاد جذرية وفق خطط عشرية (كل عشر سنوات) يكشفها تصريح مناحم بيجين فى خطابه ٧/٤/١٩٥٠ : « لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل ، حتى ولا للعرب ، مادمنا لم نحرر وطننا بأجمعه بعد .. ولو وقعنا معاهدة صلح ». ويؤكدها تصريح موشى ديان لصحيفة صنداى تايمز فى ١٠/٩/١٩٦٧ : « إن هناك مليون يهودى جاءوا محل العرب ، سواء اعتبر هذا العمل أخلاقيا أم لا ، فالحقيقة أنه لا يوجد مكان فى إسرائيل للعرب ».

ويقول ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل فى خطاب له أمام أعضاء جمعية « بناى بريث[1] » الأمريكيه الصهيونية فى مدينة القدس يوم ٢٨/١٠/١٩٦٧ حث فيه يهود العالم على القيام بهجرة جماعية من البلدان الغربية لزيادة عدد سكان ما أسماه « إسرائيل الكبرى » التى تشمل الأراضى العربية المحتلة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وفى ١١ نوفمبر « تشرين الثانى » سنة ١٩٦٧ نشرت جريدة ديلى ميل اللندنية أن زعماء إسرائيل يقومون بوضع مخطط سريع لاجتذاب مهاجرين جدد من الدول الغربية إلى إسرائيل يقدر عددهم بحوالى خمسمائة ألف مهاجر سنوياً معظمهم من الشباب الذين لديهم خبرات فنية وعلمية معينة . وتعتزم الحكومة الإسرائيلية إيفاد أربعين مبعوثاً لهذا الغرض إلى الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وألمانيا الغربية، وتنوى حكومة

---

(١) راجع كتابى : « إسرائيل والتلمود » .

إسرائيل إصدار قانون فى وقت قريب يعطى المهـــاجرين الجدد كافة التسهيلات الممـكنة .

إن إسرائيل لم تـكتف بما أعطتها إياه هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ بعد سلبه من العرب ، بل أخذت فى سلب المزيد وبطرق مختلفة أقلها الإرهاب للسكان العرب، وتحولت النسبة من ٥٥ ٪ من مساحة فلسطين البالغة ٢٦ ألف كيلومتر أيام حكومة الانتداب . . تحولت هذه النسبة بالسلب والاغتصاب إلى ٨٠ ٪ من هذه المساحة بعد تشريد مئات الآلاف من العرب وطردهم خارج فلسطين .

إن ماسلبوه منا وطن عربى يعيش أهله فيه آمنين ، ولم يكونوا فى يوم من الأيام فى حالة حرب مع إسرائيل على الإطلاق ، وكان المتسلط على فلسطين هو حكومة الانتداب البريطانية وهذه مع عصبة الأمم المتحدة تأخذان مالا تملـكان وتعطيان من لا يستحق بتدبير محكم وبتخطيط واع .

لقد عمدت العصابات اليهودية الإرهابية من أمثال الهجاناه وأشتيرن وأرجون زفاى لئومى إلى ترويع السكان بغية حملهم على مغادرة دورهم وبلادهم .

وقد كانوا يتخيرون القرى الصغيرة الآمنة غير المسلحة فيقتحمونها ويقتلون كل من فيها بعد أن يمثلوا بهم ، ثم ينسفون القرى ويحيلونها أنقاضا ، ويبقون على مشاهدى المأساة من سكان القرية ليذهبو اويتحدثوا بمـا رأوا ، كما كان الصهيونيون يطلقون أبواق دعايتهم بين القرويين البسطاء تؤازرهم فى ذلك إمكانيات الدولة المنتدبة لبث الرعب بين السكان وحثهم على مغادرة البلاد نجاة بأنفسهم وإنقاذاً لنسائهم وأطفالهم مما حقق لهم أهدافهم .

ويقدر عدد الفلسطينيين الذين اضطروا لمغادرة بلادهم بأكثر من مليون شخص .

واليوم وفى عام ١٩٦٨ تغير الحال ، وأصبحت فلسطين كلها تحت الحكم الصهيونى بعد أن أضيف إليها شبه جزيرة سيناء وأراض من الأردن ومن سوريا ما زالت تحتلها وتساوم عليها .

هل يفكر المسلمون والمسيحيون فى انقاذ انفسهم :

لا ريب أن اليهود فى عهد المسيح عليه السلام ناوأوه وطاردوه وارتكبوا من البشاعات الشىء الكثير ، وقام الحواريون من بعده بنشر دعوته ، واعتنقت المسيحية أمم كثيرة على الرغم من الاضطهاد الذى سببه اليهود(١) .

ثم أشرق الإسلام بنور الهدى ، يقيم عبادة الله الواحد الأحد ، ويمحو ويستأصل جميع العبادات الوثنية ويعيد أمجاد ملة إبراهيم(٢)، ويخلص الأديان السماوية السالفة من الشبهات والزيف ، كما حرم عبادة الأجرام السماوية التى كانت منتشرة انتشاراً واسعاً فى بعض أجزاء الشرق الأوسط: « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون »(٣) ، واعترف الإسلام بالأنبياء ورسل الله لا يفرق بين أحد منهم(٤) .

ووقف اليهود من الإسلام موقفهم من النصرانية : عداء مرير حتى نزل فيهم قوله تعالى :«لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنو اليهود والذين أشركوا»(٥)، مع أن القرآن ينعت النصارى بالتقوى والمودة : « ولتجدن أقربهم مودة

---

(١) أع ٨ : ١ — ٣ . (٢) سورة الأنعام : ١٦١ — ١٦٣ . (٣) سورة فصلت : ٣٧ .
(٤) سورة العنكبوت : ٤٦ ، سورة آل عمران : ٨٤ ، سورة البقرة : ٢٨٥ .
(٥) سورة المائدة : ٨٢ .

للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون »[1] .

وقام الغرب المسيحى بنهضته المعروفة ، تلك النهضة التى أثارت حفيظة اليهود فازدادوا للمسيحيين حسداً وحقداً ظهرت آثارهما فى سيطرتهم على اقتصاديات البلاد بممارستهم للتجارة ولأعمال الصيارف وللربا الذى حرمته الكنيسة ، فازدادوا ثراء ، بينما عانى الشعب شظف الحياة ، ولما أفاقت شعوب أوربا لهول ما هى فيه انقضت عليهم تشريداً وطرداً للتخلص منهم ومن مكائدهم .

وكان لمناوأة اليهود فى كل مكان ما وحد كلمتهم وصفوفهم بهدف حماية أنفسهم من الانقراض فشكلوا الجمعيات السرية الخطيرة على البلاد حتى يحطموا الدول الأوربية فرادى ثم يسهل عليهم بعد ذلك تحطيم قوى العالم والسيطرة على مقدراته جميعاً .

الماسونية اليهودية :

إن اعتقاد اليهود بسمو عنصرهم وسمو دينهم جعلهم يحتقرون شعوب الأرض قاطبة : فأنكروا المسيح عليه السلام ورسالته ، وتنكروا لمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الهدى والفرقان ، وشقوا عصا الطاعة على موسى ونبوته ، وحقدوا على المسيحيين زعما منهم أنهم كانوا سبب شتاتهم فى الأرض ، وناهضوا المسلمين وحاربوهم إيقاناً بأن الله انتزع منهم النبوة والكتاب والملك وخلعها على المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمته تلك الأمة التى قال عنها : « خير أمة أخرجت للناس » .

والواقع أن غضبة الله تعالى تلاحقهم أنى كانوا وعوض أن يطهروا أنفسهم ويتوبوا إلى الله يزدادون زيغا وتمرداً فانقلبوا إلى أعداء لأنفسهم وللإنسانية

---

(١) سورة المائدة : ٨٢ .

وصبوا طاقاتهم وغرائزهم الشريرة فى السيطرة على مقـــــدرات الشعوب واقتصاديات البلاد فاكتنزوا الذهب وكونوا الجمعيات الماسونية التى تتسلل خلال المجتمعات ، وتضمن أصدقاء لإسرائيل وعملاء لها . وقد نجحوا فى أغراضهم تحت ستار هـذه الجمعيات وأهدافها البراقة : الإخاء الإنسانى لا الدينى ولا الوطنى ، ويهدفون من ورائها إلى فناء واستئصال العقيدة الدينية ، وهدم الشعور الوطنى ولا يبقى إلا عبادة « يهوه القدير » .

فالماسونية تقضى على العقائد الدينية بادعائها أن الأديان سبب تأخر الأمم ، وقد وصلت بمساعيها إلى بذر بذور الإلحاد فى أوربا ، ووصلت بتشكيلاتها السرية إلى تقويض القيصرية الروسية وإلى ظهور كارل ماركس بمبادئه تحت عنوان « الدين أفيون الشعوب » ، واندلعت ثورة سنة ١٩١٧ وانتقم اليهود من الحكومة القيصرية أعنف انتقام .

والماسونية تسعى إلى هدم الشعور الوطنى وبالتالى إلى تفتيت القوميات ، ومتى تم لهؤلاء الوصول إلى غايتهم تمكنوا على حد تعبيرهم من ترويض المسيحيين والمسلمين على السواء على هذا المذهب — مذهب الإنسانية العالمية — كما يدعون بعيداً عن الدين والوطنية .

وقد بلغت الماسونية غايتها فى تزكية الكاردينال بيـا لمطالبتهم بتبرئتهم من دم المسيح ، مما يدل على مدى التغلغل الماسونى حتى فى الكنيسة .

تبرئتهم من دم المسيح :

إن الإحساس بالصهيونية كما يقول ألفريد ليلينتال فى كـتابه The Other side of The Coin لم يقتصر على اليهود فحسب ، فالصهيونية فى الولايات المتحدة — وقد شجعها ما صنعه حاييم وايزمن من مزج العناصر المسيحية باليهودية للفوز بوعد بلفور من الحكومة البريطانية سنة ١٩١٧ — اعتمدت على المسيحيين الأمريكيين فى خدمات لا غنى عنها .

ويمضى ليلينثال إلى القول بأن الحماس الدينى لدى «المسيحيين الصهيونيين» كان كثيراً ما يفوق التدين لدى اليهود الصهيونيين ، فهؤلاء المسيحيون كان يسيطر عليهم الإحساس القومى لا الدينى الصهيونى .

يضاف إلى ما سبق أن البروتستانتية قد دعت إلى الحرية الفردية فى العقيدة وبهذا أفسحت المجال أمام الاجتهاد الفردى وأمام الظهور الواضح للعديد من الطوائف البروتستانتية التى أخذت كل منها اتجاهاً خاصاً ، وفقدت بهذا عنصر التماسك الذى نلحظه فى الكنيسة الكاثوليكية ، وهذا الوضع أفسح المجال أمام الحركة الصهيونية للتعامل مع كل طائفة على حدة ، فضلا عن تعاملها مع الأفراد فى حرية كاملة .

كنيسة شهود يهوه[١] :

ولما كان تمويل هذه الطوائف البروتستانتية من تبرعات الأفراد فقد استطاعت الصهيونية بما لها من سيطرة المال أن تحتضن بعض هذه الطوائف احتضاناً مباشراً أو غير مباشر بطريق الإسهام معها فى أعمال النشر والدعاية ، ومن ثم ظهرت الجمعيات المشتركة التى لا حصر لها بين رجال الكنيسة فى الطوائف البروتستانتية المختلفة وبين ممثلى وأتباع الحركة الصهيونية وكلها تتبنى البرنامج الصهيونى .

ولا شك فى أن الحركة الصهيونية تغذى هذه الجمعيات بالأموال والرجال فضلا عن الجمعيات والمؤسسات المسيحية فى ظاهرها والصهيونية فى باطنها وفى برامجها وأنصارها ومنها كنيسة الأدفنتست التى تتسامح مع اليهود وتتركهم لآمالهم فى إيمانهم بمجىء المسيح عليه السلام الذى يحقق لهم سيادة على الأرض وملكوتا عريضاً مادامت القاعدة المسيحية القائلة بعودة المسيح مرة ثانية إلى الأرض .

---

(١) راجع كتابى « المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى الإسلامى » .

فالاتفاق إذن فى العودة والاختلاف فى القصد من العودة : إن إسرائيل تعتقد أن المسيح المبشر به سيأتى ، ولا تقيم وزناً للمسيح الذى جاء ؛ وإن الكنيسة تؤمن بعودة المسيح العودة الثانية وتكون بعدئذ القيامة .

أما كنيسة « شهود يهوه » فتقيم الأركان القديمة للتوراة ، وتحيي عقيدة بائدة بأن الله خص ذاته لشعبه ولقب نفسه « يهوه القدير » ، وهذه العقيده يضرمها ويؤججها الصهيونيون بأساليبهم وأموالهم . والكنيسة البروتستانتية تتمثل فى بريطانيا والولايات الأمريكية المتحدة وألمانيا .

الكنيسة الكاثوليكية :

هذا هو الحال مع الكنيسة البروتستانتية ، وهو غير الحال مع الكنيسة الكاثوليكية . فالكنيسة الكاثوليكية تمتد جذورها إلى أيام المسيح عليه السلام ، وتمول الكنيسة الكاثوليكية من أوقافها العريضة بل فى قدرتها تمويل دول وإعانتها . وهى تعتبر نفسها جسم المسيحية بمبادئها وتراثها الدينى وتقاليدها الكنسية وتعاليمها وطقوسها وعباداتها .

وكجزء من هذا التراث فإن الكنيسة الكاثوليكية لم تنس دور اليهود فى محاربة المسيحية فى أيامها الأولى [(١)] ، ولن تنسى محاربة اليهود للمسيح لدرجة التآمر على حياته وإدانته ، وتحريض السلطان عليه والاستهزاء به [(٢)] .

---

(١) انظر أع ٨ : ١ — ٣ ؛ ٩ : ١ ، ٢ .

(٢) متى ٢٧ : ١ ، ٢ ؛ مرقس ١٥ : ١ ؛ لوقا ٢٣ : ١ ، ٢ ؛ يوحنا ١٨ : ١٢ — ١٤ ؛ يوحنا ١١ : ٤٧ — ٥٣ .

أما وثيقة الاتهام التي زعموا أنها تدين المسيح إلى الموت فهي قولهم :

١ — إنه جعل نفسه ابن الله(١) .

٢ — وإنه فتنة للإمبَراطورية الرومانية(٢) .

وأما بيلاطس فعلم تآمرهم على المسيح وأنه بريء مما نسبوه إليه فأعلن براءته ، فازداد رؤساء الكهنة سخطا وغضبا ، وحاول أن يثنيهم عن إصرارهم لكنهم أبوا إلا أن يصلب ، فأبرأ نفسه من هذا الظلم وتحملوه هم قائلين : « دمه علينا وعلى أولادنا »(٣) .

ولن تنسى الكنيسة الكاثوليكية مطاردة اليهود لأتباع المسيح قبل أن تتحول الإمبراطورية الرومانية إلى المسيحية .

لقد تمتع اليهود في عصر الإمبراطور جوليانوس سنة ٣٦١م بمثل ماتمتعوا به في عصر الملك كورش ملك فارس سنة ٥٣٨ ق . م ، ومثلوا بالشعب المسيحي مثلما مثلوا من قبل بالشعب الفارسي : « ضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا » (٤) ، ولم ينج من مذبحة الفرس النساء والأطفال (٥) .

وفي ازدهار اليهود في عصر جوليانوس ـ كازدهارهم في عصر ليندون جونسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ـ أرادوا إعادة بناء هيكل سليمان في تحد لإرادة الله المعلنة لهم بخراب أورشليم(٦) ، وأذن لهم الإمبراطور

---

(١) يوحنا ٩ : ٧ . (٢) لوقا ٢٣ : ٤ .
(٣) انظر لوقا ٢٣ : ٤ ، ٥ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ؛ متى ٢٧ : ٢٤ ، ٢٥ .
(٤) استير ٩ : ٥ . (٥) استير ٨ : ١١ . (٦) متى ٢٣ : ٢٤ .

جوليانوس ببناء هيكل سليمان ، وأقبلوا على ذلك بهمة عديمة النظير ، وأخذ أكثر من ١٨ ألف عامل فى بنائه ، وما كاد الهيكل يأخذ صورته حتى « قامت زلازل قوية . . وانبعثت النيران من جوف الأرض وابتلعت كل شىء » ، وفرح المسيحيون بهذه الحادثة ، وازدادوا إيمانا بأن الله لن يخلف وعده وأنه يجزى الأشرار بشرهم .

قد يقال إن عداء اليهود للمسيح وللمسيحية كان معروفا لهذه الكنائس :

١ — إنكار اليهود للمسيح ، الذى لم يتغير ولم يتبدل حتى اليوم .

٢ — تحقير اليهود للمسيح فى موضوع ولادته أو رسالته وكفى بالتلمود شاهدا عليهم .

وتجمع كل الكنائس على هذا ، لكن الفرق بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية أن الكاثوليكية استمرار للماضى لا انقطاع فيه ، وأنها تسلمت الخلافة من المسيح مباشرة حينما أعلن المسيح لبطرس قائلا : « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابن كنيستى . وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات » (١) .

والكنيسة الكاثوليكية استمرار للعقيدة الأولى لا ثغرة فيه . فقد أبقت للبابا عصمته ، واستمرت وحدة الكنيسة الكاثوليكية الغربية ، واستمر البابا وحده المرجع الأول والأخير فى أمور الدين واللاهوت ، ومع هذا فإن

---

(١) متى ١٦ : ١٨ — ١٩ .

التعديل فى العقيدة قد يؤثر فى البنيان المتماسك للكنيسة الكاثوليكية .
ولا يملك أحد كائنا من كان أن يجرى تعديلا لشىء إلا بقرار بابوى ، فهو وحده الذى يملك لأنه — حسب المعتقد المسيحى — خليفة الله على الأرض .

بينما الكنيسة البروتستانتية مستحدثة نسبيا ، وقد شقّت عصا الطاعة على الكنيسة الأم ، وبدأت تستحدث لنفسها تراثا لاهوتيا ونظريات خاصة بها .

إن الكنيسة البروتستانتية فى نظر نفسها قد حررت نفسها من الماضى وبدأت حياتها على تعاليم الإنجيل ، ومن ثَمَّ شجعت باب الاجتهاد الفردى وفتحت الباب لجميع التيارات ، بما فيها التيارات اليهودية لتؤثر فى التفكير الدينى المسيحى .

وقد كان الأمل المسيحى أن يكون اليهود أسرع الناس استجابة لدعوة المسيح ، فتشمل الديانة المسيحية أعدادهم محل الديانة اليهودية ، ويصبح اليهود بالتالى مسيحيين .

ولا غرابة فى الأساليب الصهيونية التى وعت وأدركت كل هذه المعوقات وكل هذه الآمال وأيقنت أن الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية تجندان رجالهما وأموالهما فى نشر الدعوة المسيحية وتبذلان رعاية جدية للوافدين من الملل الأخرى على المسيحية .

من هذه الزاوية استطاع هرتزل أن يحتال على بابا روما كما جاء فى مذكراته[١] :
« منذ حوالى عامين أردت أن أجد حلا للمسألة اليهودية بمساعدة الكنيسة

---

(١) مذكرات هرتزل الجزء الأول — برلين ١٩٣٤ .

الـكاثوليكية على الأقل فى النمسا . أردت التوصل لمقابلة البابا ، بالطبع بعد التأكد من تأييد رؤساء الـكنيسة النمساويين ، ومخاطبته بما يلى : « ساعدونا ضد المعادين للسامية ، وأنا أقود حركة كبيرة لدخول اليهود الحر المستقيم فى المسيحية » .

لقد داعب الأمل قلب البابا ، وظن إمكانية دخول اليهود المسيحية على نمط مملـكة الخازار التى اعتنقت الديانة اليهودية مع حاكمها وقادتها وشعبها فى القرن الثالث عشر .

وهكذا ترتفع هذه البادرة إلى مستوى الصدق والأمانة ، ولـكنها فى الواقع تنطوى على تحفظات تعنيها عبارة « الحر المستقيم » ، وإن هذه المحاولة هى بمثابة القليل من الـكثير مما يفصح ويفضح أساليب الصهيونيـــة ويبرزها على حقيقتها .

ولا شك فى إمكانية إقناع البابا فإن المسيح قرر لبنى إسرائيل أنه ما جاء لينقض بل ليـكمل (١)، وأعلمهم بنبوءة إشعياء القائلة: « يقترب إلىّ هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً ، وباطلا يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس »(٢) .

فـكان لزاما على أحبار الـكنيسة أن يدعوهم إلى الديانة المسيحية التى تدعو إلى التوحيد المسيحى العام الشامل ومن ثم تتميز عن التوحيد اليهودى العنصرى الذى استأثر بالله وحـده لهم ، دعوه أو كما يزعمون أنه دعا نفسه « يهوه »(٣) .

---

(١) متى ٥ : ١٧ .

(٢) متى ١٥ : ٦ — ٩ .

(٣) خروج ٣ : ١٥

إن الأمل المسيحى فى اعتناق اليهود الديانة المسيحية كأمل إبليس فى الجنة، فاليهود هم كما نعتهم المسيح بقوله : « عميان قادة عميان » (١) .

وإن وقاحتهم وصلفهم قد بلغا المدى ، فلهم من المسيح مواقف يندى لها الجبين ، وفى أيامنا هذه تدأب دار «سيمون وشوستر» فى نيويورك على إعلان حرب خسيسة على المسيح فى كتاب بعنوان « التجربة الأخيرة للمسيح »(٢) جاء فى صفحة ٨٦ منه مانصه :

« كانت مريم المجدلية مستلقية على ظهرها فى الفراش عارية تماماً . . . مبللة بالعرق ، وشعرها الأسود الفاحم منشور على وسادتها ويداها متشابكتان تحت رأسها . لقد كانت تضاجع الرجال منذ الفجر ، فكانت منهوكة القوى وكان شعرها وكل جزء من جسدها تفوح منه رائحة جميع الأمم . . وخفض ابن مريم نظره ووقف وسط الغرفة غير قادر على الحركة » .

وجاء فى صفحة ٤٥٠ ما نصه :

« أمسك بها يسوع وطبع على فمها قبلة ملتهبة ، وامتقع لونهما ، واصطكت ركبهما ، فتساقطا تحت شجرة ليمون مزهرة وبدآ يتدحرجان على الأرض . . طلعت الشمس ووقفت فوقهما وهب نسيم عليل أسقط أزهار الليمون على جسديهما العاريين ، وضمت المجدلية يسوع إليها وألصقت جسده بجسدها الملتهب » .

---

(١) متى ١٥ : ١٤ .

(٢) نقلا عن كتاب « خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية » لمؤلفه عبد الله التل ص ٣٤ ، ٣٥ .

هكذا يقف اليهود أمام دعوة المسيح : يحاربونها مستخدمين فى ذلك شتى الأساليب دون رعاية لقدسية الأنبياء ولا لمكانة مريم العذراء من المسيحيين والمسلمين على السواء . . إذ اتهموها فى عفتها وعصمتها .

وهذا الموقف اليهودى لا مبرر له سوى العنصرية التى تأبى على الناس من غير اليهود أن يدخلوا فى دين الله ، وتؤثر أن يظلوا كما كان الرومان المعاصرون لليهود فى فلسطين عبدة للأوثان والأصنام لا يؤمنون بإله واحد ، ولا يجمعهم هذا الإيمان فى تعبد واحد يتوجهون به جميعاً إلى إله واحد . وهذا الموقف الدينى لم يتغير حتى اليوم ، وهذا يرجع إلى زعمهم أنهم الطبقة الممتازة حتى أنه جاء فى التلمود أن الإسرائيلى يعتبر عند الله أفضل من الملائكة فإذا ضرب أممى إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية . .

والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقى الشعوب .

ويعتبر التلمود أيضا الأجانب كالكلاب ، لأنه مذكور فى سفر الخروج أن الأعياد المقدسة لم تجعل للأجانب ولا للكلاب .

لماذا يطالب اليهود بتبرئتهم من دم المسيح ؟

كان من بين المسائل التى أثيرت فى المجمع المسكونى فى دورته الثانية موضوع المركزية ، وجرت المطالبة بتوسيع اختصاصات كبار رجال الكنيسة فى أماكن وجودهم ، أى اتباع اللامركزية . وهذه هى الخطوة الأولى فى منح سلطة تقديرية لممارسة بعض اختصاصات البابا فى الشئون الدينية والكنسية والنتائج لوضع كهذا ليست خافية .

وقد استجاب البابا بولس السادس لهذه الدعوة ، فأعلن فى خطابه الذى ألقاه فى المجمع فى ٢١ سبتمبر « أيلول » ١٩٦٣ أنه لا يعارض فى إشراك ممثلين عن الكنيسة معه فى ممارسة السلطة العليا .

وتنفيذاً لذلك فقد أعلن قداسة البابا فى الدورة الرابعة والأخيرة للمجمع المسكونى فى ١٤ سبتمبر « أيلول » ١٩٦٥ أنه استجاب لرغبة المجمع ، وأنه قرر إنشاء مجلس من البطاركة يساعد قداسته فى شئون الكنيسة ويستشيره فيما يرى قداسته من أمور .

وحتما سيكون من بين هؤلاء أمريكيون ، وسيكون الأمريكيون كما هم دائماً دعاة مخلصين للأهداف الصهيونية .

وتحت وطأة الاسترحام والعطف ، وبأسلوب الصهيونيين للوصول إلى أهدافهم استطاعوا أن ينالوا ما يبتغون ، فقد قرر المجمع المسكونى الفاتيكانى تبرئة اليهود من دم المسيح ، وتناسى المجمع البابوى فى قراره هذا حكم السيد المسيح على اليهـــود إذ أنزل عليهم الويل فى أربع عشرة آية وردت فى الأناجيل ، ثم دمغهم بغضبته بقوله : « هوذا بيتكم يترك لكم خراباً »(١) .

النصوص باتهام اليهود من الأناجيل :

١ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس . (مت ٢٣ : ١٣)

٢ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل . (مت ٢٣ : ١٤)

---

(١) متى ٢٣ : ٨ .

٣ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا . (مت ٢٣ : ١٥)

٤ — ويل لكم أيها القادة العميان القائلون : من حلف بالهيكل فليس بشيء ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم . (مت ٢٣ : ١٦)

٥ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تعشرون النعنع . . وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة . (مت ٢٣ : ٢٣)

٦ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوءان اختطافا ودعارة . (مت ٢٣ : ٢٥)

٧ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة . (مت ٢٣ : ٢٧)

٨ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تبنون قبور الأنبياء ... وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء . (مت ٢٣ : ٢٩ ، ٣٠)

٩ — ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول فى المجامع والتحيات فى الأسواق . (لوقا ١١ : ٤٣)

١٠ — ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تعشرون النعنع ... وتتجاوزون عن الحق والرحمة . (لوقا ١١ : ٤٢)

١١ — ويل لكم أنتم أيها الناموسيون لأنكم تحملون الناس أحمالا عسرة الحمل وأنتم لاتمسون الأحمال بإحدى أصابعكم . (لوقا ١١ : ٤٦)

١٢ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون . (لوقا ١١ : ٤٤)

١٣ — ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم .
(لوقا ١١ : ٤٧)

١٤ — ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة . ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم . (لوقا ١١ : ٥٢)

النصوص بتآمر اليهود على المسيح :

١ — فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكى يهلكوه فعلم يسوع وانصرف من هناك . (مت ١٢ : ١٤)

٢ — ابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ، ويسلمونه إلى الأمم لكى يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه .
(مت ٢٠ : ١٨ ، ١٩)

٣ — حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة فأرسلوا إليه تلاميذهم من الهيرودسيين قائلين : يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن ؟ أيجوز أن نعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع خبثهم وقال : لماذا تجربوننى يامراءون ؟ أرونى معاملة الجـــزية . فقدموا له دينارا .

فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له : لقيصر ، فقال : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا .

(مت ٢٢ : ١٥ — ٢٢)

(لوقا ٢٠ : ٢٠ — ٢٦)

٤ — حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا ، وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه .

(مت ٢٦ : ٣ ، ٤)

٥ — ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه . فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس .

(مت ٢٧ : ١ ، ٢)

٦ — قال لهم بيلاطس : فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب . فقال الوالى : وأى شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين : ليصلب . فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا ، بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا : إنى برىء من دم هذا البار . أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا . (مت ٢٧ : ٢٢ — ٢٥)

٧ — وللوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس . (مرقس ١٥ : ١)

٨ — فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة .

(لوقا ٢٢ : ٥٤)

٩ — وابتدأوا يشتكون عليه قائلين : إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا : إنه هو مسيح ملك . (لوقا ٢٣ : ٢)

١٠ — فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع : إنى لا أجد علة فى هذا الإنسان .
(لوقا ٢٣ : ٤)

١١ — فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب : وقال لهم قد قدمتم إلىّ هذا الإنسان كمن يفسد الشعب وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه. ولا هيرودس أيضاً لأنى أرسلتكم إليه ، وها لا شىء يستحق الموت صنع منه ... فصرخوا قائلين : اصلبه اصلبه .
(لوقا ٢٣ : ١٣ ـ ١٥ ، ٢١)

١٢ — فخرج بيلاطس أيضاً خارجا وقال لهم : ها أنا أخرجه إليكم لتعلموا أنى لست أجد فيه علة واحدة.. فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين : اصلبه اصلبه . قال لهم بيلاطس: خذوه أنتم واصلبوه لأنى لست أجد فيه علة . أجابه اليهود : لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله .. كان بيلاطس يطلب أن يطلقه ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين: إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر ، كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر .
(يوحنا ١٩ : ٤ ـ ٧ ، ١٢)

ويقول برنار لازار ـ وهو من أوثق الباحثين تعليقاً على نزعة المناوأة لليهود التى تسمى عند الغربيين Antisemitesm أى معاداة الساميين فى حين أنها موجهة إلى اليهود دون غيرهم من الشعوب السامية :

« يتراءى لى أن شعوراً عاماً كالمناوأة لليهود ظهر فى كل مكان وكل زمان — قبل المسيح وبعده — فى الإسكندرية ، ورومية ، وأنطاكية ، وبلاد

العرب وفارس ، وفى أوربا فى مختلف العصور ، ولا سيما فى القرون الوسطى ، وفى كل قطر قطنه اليهود . يتراءى لى أن شعوراً هذا انتشاره لا يمكن أن يكون طارئاً عرضياً أو نزوعاً وقتياً ، بل يجب أن يرجع إلى أسباب جدية وأصول بعيدة » .

أما الأصول البعيدة فأشير إليها فيما يلى :

١ — وقف استفانوس يواجه رئيس الكهنة عن تاريخ إسرائيل من إبراهيم إلى المسيح . (أع ٧)

٢ — جاء فى سفر التثنية عن دواعى اختيار الله لإسرائيل .

(تثنية ١٠ : ١٢ — ٢٢)

٣ — وجاء « » عن أسباب رفض الله لإسرائيل .

(تثنية ٢٩ : ٢٤ — ٢٩)

٤ — وجاء « » عن حيثيات الاختيار والرفض .

(تثنية ٣٠ : ١٥ — ٢٠)

٥ — موسى يكشف عن طبيعة إسرائيل . (تثنية ٣١ : ٢٧ — ٣٠)

(تثنية ٣٣ : ١ — ٣)

٦ — قضاء الله على إسرائيل بالنفى .

(أخبار الأيام الثانى ٣٣ : ١ — ١١)

(سفر الملوك الثانى ٢١ : ١ — ١٦)

٧ — وجاء المسيح وكان لهم بمثابة الفرصة الأخيرة للاستقامة وميراث ملكوت الله لكنهم رفضوا ورفضوا . (متى ٢٣ : ٣٣ — ٣٨)

(لوقا ١٩ : ٤١ — ٤٨)

ثم تنبأ عن وارث الميثاق (متى ٢١ : ٤٢ — ٤٣)

وقال الله تعالى فى محكم آياته وفى مواضع متعددة عن أعمال إسرائيل الرديئة التى انتهت بقضائه عليهم : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »[١] .

الفرق اليهودية

قبل الحديث عن الفرق اليهودية ينبغى مناقشة كتابين لكاتبين صهيونيين.
أولهما : This is my God; by Herman Wouk « هـــذا إلهى »
لمؤلفه هيرمان ووك أعيدت طباعته عام ١٩٦٠ ، ١٩٦١ ثم ١٩٦٥ .

وثانيهما : The Teaching of Contempt ; by Jules Isaac
« تعليم الاحتقار » للكاتب الفرنسى جول إسحق .

أما الكتاب الأول فإنه يبحث فى النواحى المتعددة للعقيدة اليهودية ، وقد أفرد المؤلف فصلا خاصاً للحديث عن إسرائيل استهله بالعبارات التالية : « القمة المعاصرة » :

« لقد ذكرنا أن إسرائيل بلد دينى ، بالمعنى المقبول ، ومع ذلك فإن قيام إسرائيل يجب أن يكون القمة المعاصرة فى عرض الديانة اليهودية ، وإذا تجرأ المرء على التخمين حول طرق الله وسبله ، فإنه يستطيع القول بأن النهضة قد حدثت بكل ما أثارته وكل ماسببته من مآس لتتمكن إسرائيل من الظهور.

---

(١) آل عمران : ١١٢ .

«وذلك لأن النهضة هى التى أوجدت إسرائيل ، إسرائيل التى هى الانتصار الحديث للروح العبرية ، التى نمت سنة فسنة فى قوتها وفى تقدير العالم لها ، إسرائيل التى هى الحلم الذى تحقق لستين جيلا من المنفيين ، إسرائيل أرض اليهود .

« إن القرون المتعاقبة لم تستطع أن تسحق هذا الحلم الغريب بجزء من أمة مشردة بحيث أنها تعود فى يوم من الأيام للأرض التى حددها الله لها ، « فى القدس فى السنة التالية » كان الشعار الذى أبقى على الشعب المشرد آماله .

« والآن وقد حدثت المعجزة فإنها تبدو حدثا عاديا ، ما لم يقف المرء ليتأمل . . . » .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن الحركة الصهيونية التى عملت على قيام إسرائيل فيقول : « وهكذا فإن أرض إسرائيل ، التحقق الجديد لأقدم حلم دينى فى الأرض ، قد وضعها مؤسس لا دينى (يعنى : هرتزل) وأوجدها رجال هم فى غالبيتهم لا يراعون أحكام العقيدة . ومع ذلك فإن الصهيونية فى ازدهارها الحالى فى إسرائيل ، تقع بسهولة ضمن مجال النظر البعيد للديانة اليهودية ، ذلك أنه لم تقم فى إسرائيل القديمة دولة دينية بالكامل ، فقد كان فيها ملوك أتقياء ساروا مع القانون اليهودى واحترموه ، وكان فيها كذلك ملوك كالصهيونيين لم يسيروا مع القانون اليهودى ولم يطبقوه ، ومع ذلك فقد كانوا جميعا ملوكا لإسرائيل » .

ويقول : « إننا نعتقد أن إسرائيل ، هى المكان الذى سيشع فيه نور الإله فى يوم من الأيام لا ليملأ البلاد الصغيرة فقط وإنما الأرض كلها . . . إن الصهيونية

الحديثة فى إطار القانون العبرى ، هى عمل طويل مطرد من إنقاذ الأرواح ، واختطاف مجموعات كبيرة من الناس من طريق الفناء المؤكد » .

ويختتم المؤلف « هيرمان ووك » Herman Wouk فصله بمناشدة يهود أمريكا بأن يكونوا لإسرائيل ، كما كان يهود بابل ليهود فلسطين ، بعد العودة من المنفى .. إنهم سيظلون أكثر عدداً من يهود إسرائيل . وبإجراء هذه المقارنة فإن الكاتب يعيد إلى الأذهان النداءات التى وردت فى العهد القديم تحث يهود بابل على مساعدة اليهود الذين ظلوا فى فلسطين أو عادوا إليها .

إذن فقيام إسرائيل ركن من أركان العقيدة اليهودية ، ولكن يجب أن تعترف المسيحية على أساس دينى بالديانة اليهودية التى لم تذب فى المسيحية ، ويجب أن تعترف الكنيسة بأن الوعود قد قطعت لهذا الشعب ، ولهذا ركزت الحركة الصهيونية على الكنيسة الكاثوليكية لتفوز بصمتها إن لم تفز بتأييدها ، وهى بطبيعة الحال تطمع فى التأييد لا فى الصمت .

ومن هنا تأتى الأهمية الخاصة لمداولات المجمع المسكونى وللبيان الذى صدر عنه ، لما لهذا كله من آثار بعيدة على القضية الفلسطينية وعلى مصير الشعب الفلسطينى .

« ثم لا ننسى النوازع الشخصية للكنيسة الكاثوليكية التى أضرمت الحروب الصليبية ضد العرب فى أرض فلسطين بنيران الفتنة الدينية ، ولما اندحرت بانتصار صلاح الدين الأيوبى عليها حفظوا ذلك فى أنفسهم للثأر »[١] .

أما الكتاب الثانى فإن جول إسحق Jules Isaac كان يحث به صديقه البابا

---

(١) لعل هذا من أسباب جنوح الكنيسة الكاثوليكية عن الحق ميلا مع أهداف الصهيونية .

يوحنا الثالث والعشرين فى سنة ١٩٦٠ ليعبر عن معارضة الكنيسة الكاثوليكية . . . للاسامية .

وتحققت هذه الأمنية بموافقة البابا يوحنا الثالث والعشرين على طرح وثيقة التبرئة الأصلية على المجمع المسكونى .

وفى هذا الكتاب يتعرض المؤلف — حسب زعمه — لأخطاء رئيسية عن اليهودية وصلت — حسب قوله — إلى التفكير المسيحى دون أن يستند أى منها إلى الحقيقة .

ففيما يتعلق بـ « قتل الرب » يقول إنه ليس من المنطق أن يلام شعب بأكمله لجريمة أقلية ، لا سيما أن أغلبية هذا الشعب لم تسمع مطلقا بالمسيح !

ثم يقرر أن الأناجيل اتجهت إلى خلع اللوم على الصلب من الرومانيين إلى اليهود ، نظرا لأن هذه الأناجيل قد كتبت فى وقت كانت فيه المسيحية تهجر أصولها الدينية اليهودية لتحول الأمميين إلى الدين الجديد .

وهكذا أصبحت الأناجيل وما ورد فيها موضع شك وجدل ، ولا يصح التعويل عليها والأخذ بالحقائق الواردة فيها . ترى هل يجوز بعد هذا اعتبارها كتابا مقدساً .

ويتصدى لهذا الافتراء المريع ، الأستاذ أنيس القاسم فى كتابه عن الفاتيكان وإسرائيل ، إذ جاء فى صفحة ٣٦ منه قوله : إن الصهيونيين يريدون كل شىء ولن يسلموا بشىء .

ويبدو أنهم سيحصلون على ما يريدون ولو على حساب العقيدة المسيحية .

ويقول : لقد امتنعنا حتى الآن قدر جهدنا ، عن الخوض فى التفسيرات

الدينية التى طاب للبعض أن يطلقها ، وأباحوا لأنفسهم أن يتعرضوا لنصوص الإنجيل وهم الذين لا يعترفون بقدسيته ، وأرى أننى فى حل من مناقشة بعض ما جاءوا به من آراء خصوصا آراء « جـــول إسحق » وما تنطوى عليه من مغالطات .

والأستاذ أنيس القاسم تأخذه الغيرة الدينية المسيحية فيقول :« ونحن أولى منهم بإبداء الرأى ، والإنجيل كتاب مقدس عندنا ، والسيد المسيح نبى من أنبيائنا» .

ويناقش قول جول إسحق عن « أنه ليس من المنطق أن يلزم شعب بكامله بجريمة ارتـكبتها أقلية ، لا سيما أن أغلبية هذا الشعب لم تسمع مطلقا بالمسيح » .

وتواطأ مع اتجاهات « جول إسحق » الـكاردينال بيّـا الذى قال : « إن المشكلة اليهودية لها جذورها فى الـكتاب المقدس ، فالمسيح قد جاء من حيث الجسد من الشعب اليهودى ، وكذلك فإن أسس الـكنيسة كانت فى الشعب اليهودى» .

وقال : « إن الواقع هو أن الـكنيسة نوعا ما هى استمرار لإسرائيل ، هى إسرائيل الجديدة » .

ومضى الـكاردينال بيا إلى القول:«لعل بالإمـكان على الرغم من كل هذا الاعتراض بأن السيد المسيح قد أدانه الشعب اليهودى والزعماء اليهود ، وأن المسيح كان قاسيا فى ويلاته عليهم الواردة فى إنجيلى متى ولوقا [1] . . .

(١) متى ٢٣ ، لوقا ١١ .

هذا صحيح ، ولكن المسيح قد طلب أيضا الغفران[١] لهم ، وقد استجيبت صلواته ولم يطرد الشعب اليهودى»[٢] .

وقال الكاردينال بيا: «إن الغرض من النص هو جعل هذه الحقائق الواردة فى الكتاب المقدس تنزل إلى أعماق روح المسيحيين وتتحكم فى تصرفاتهم العملية» . أما من جهة منطق جول إسحق Jules Isaac من أن أغلبية الشعب اليهودى لم تسمع مطلقا بالمسيح فقول مردود لا ينهض عليه أى دليل ، فإن أخبار معجزات المسيح قد طبقت الآفاق والدليل قائم فى رحلات المسيح فى بلدان فلسطين ، كما جاء فى إنجيل لوقا فى الإصحاحات من السابع إلى التاسع .

أما اتجاهات الكاردينال بيا فتدحضها رسالة المسيح بين اليهود والأمم . فالسيد المسيح لم يهاجم روما ولا حكم بيلاطس ، وإنما صب غضبة الله كلها على انحرافات الكهنة والفريسيين ، وانحرافهم عن دين التوحيد وتعاليم الشريعة السمحة ، وانشغالهم بالدنيا عن الدين ، وليس فى هذا أدنى امتهان لروما أو بيلاطس ، فما كانت روما يهودية ولا كان بيلاطس يهوديا . فدعوة السيد المسيح كانت تحديا صريحا لا لروما ولا لبيلاطس وإنما لأحبار اليهود ، والنظام الذى أخضعوا الشعب اليهودى له باسم الدين : « فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم »[٣] . كان المسيح ثورة على الاستغلال والإرهاب

(١) إن المسيح طلب الغفران حسب ما جاء فى إنجيل لوقا ٢٣ : ٣٤ « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » لا للزعماء بل للشعب الذى سيق كالنعاج لتحقيق أغراض الكهنة ولجند الرومان . أما زعماء اليهود « الكهنة وشيوخ إسرائيل » فقد ثبت بالدليل القاطع سبق الإصرار مع التعمد والتربص: « فصرخوا قائلين : اصلبه اصلبه » لوقا ٢٣ : ٢١ بل أقروا واعترفوا قائلين: « دمه علينا وعلى أولادنا » متى ٢٧ : ٢٥ ويقول الله : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما » النساء : ٤٨ .

(٢) على أثر ثورة دامية طرد الإمبراطور هادريان سنة ١٣٥ م اليهود وشتتهم فى كل أرجاء الإمبراطورية .

(٣) متى ١٥ : ٦ .

الذى كانوا يمارسونه : « بيتى بيت الصلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص »[1] .

ويذكر إنجيل يوحنا أن كثيرين من شيوخ اليهود كانوا يؤمنون بالمسيح، لكنهم لم يعلنوا عن ذلك خشية نقمة الأحبار والكهنة عليهم ومن هؤلاء نيقوديموس : « كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود هذا جاء إلى يسوع ليلا ، وقال له : يامعلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلما لأنه ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل إن لم يكن الله معه »[2] . وقد يكون الخوف من بأس الكهنة وسطوتهم هو ما جعل بطرس أحد الحواريين ينكر المسيح : « وأما بطرس فتبعه من بعيد »[3] ، « وأما بطرس فكان جالسا خارجا فى الدار . فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلى . فأنكر قدام الجميع قائلا : لست أدرى ما تقولين »[4] ، بينما كان لهذا التلميذ مواقف ظاهرها الشجاعة والإقدام إذ « استل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه ، فقال له يسوع : رد سيفك إلى مكانه . لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون »[5] . إذن فقد كان الكهنة والفريسيون وزعماء اليهود يخشون على مراكزهم وعلى نفوذهم : « فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا وقالوا : ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة ؟ إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا . . . فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه »[6] . ومن هذا يتضح أن عداوتهم للمسيح إنما كانت حرصا على مراكزهم ونفوذهم .

ومع هذا فقد أجمعت الكنائس المسيحية بناء على دراستها للتوراة والإنجيل على أنها تلتقى جميعها فى الاختلاف مع اليهودية فى النقاط الأربع الأساسية التالية :

---

(١) لوقا ١٩ : ٤٦ .
(٢) يوحنا ٣ : ١ ، ٢ .
(٣) متى ٢٦ : ٥٨ .
(٤) متى ٢٦ : ٦٩ — ٧٠ .
(٥) متى ٢٦ : ٥١ — ٥٢ .
(٦) يوحنا ١١ : ٤٧ — ٥٣ .

١ — أن المسيح الذى تنبأ به العهد القديم هو عيسى الناصرى الذى صلب فى عهد بيلاطس البنطى الوالى الرومانى على ولاية فلسطين(١) .

٢ — عندما رفض اليهود المسيح عيسى بن مريم وتم صلبه ، فإن صفة الشعب المختار قد انتقلت إلى الكنيسة المسيحية ، وأصبحت الكنيسة تسمى « إسرائيل الحقيقية » .

٣ — أن العقاب الذى نجم عن صلب عيسى « عليه السلام » هو تدمير الهيكل فى القدس تعبيرا عن رفض الله لشعب إسرائيل الذى يعانى تيها وذلا فى الأرض نتيجة غلظة قلوبهم وسيظلون كذلك آية لنقمة الله حتى يعود المسيح فى مجيئه الثانى .

٤ — بناء على شهادة القديس بولس فإن القانون اليهودى قد نسخ بالشريعة المسيحية .

وقد قاوم اليهود فى جميع العصور هذه النتائج الأربع المستنبطة من دراسات قانونية مقاومة عنيفة وما زالوا يقاومونها .

وإن شاءوا الوصول إلى الحق فعليهم أن يعلموا أن إذلالهم إنما بقضاء الله عدلا وحقا وأن يتدارسوا هذه النصوص حتى يفيقوا من غلوائهم واستعلائهم :

الله يشهد على إسرائيل الملأ أنه منتقم جبار (٢) .

والله يؤكد أن ميراث إسرائيل لا لبر فيهم ولكن منحة من الله تثبت بصلاحهم وتنزع بعصيانهم(٣) .

---

(١) هذه وجهة نظر الكنيسة ويمكن تفنيدها لتتسق النظرية مع ما أنبأنا به القرآن الكريم فى الآية الكريمة : « وماقتلوه وما صلبوه » .

(٢) تثنية ٨ : ١٨ — ٢٠ .

(٣) تثنية ٩ : ٤ — ٦ .

وفى هذا يقرر الله عز وجل : « إنى جاعلك للناس إماما قال : ومن ذريتى، قال : لا ينال عهدى الظالمين » (١) .

الفرق اليهودية وعلاقتها بالفلسفة الشرقية :

يعتمد مبتدعو الفرق الدينية فى العقيدة اليهودية فى أسس فرقهم على دعامتين : أولاهما التوراة ، وهى الكتب الخمسة (٢) التى كتبها موسى ، وهى أسفار « التكوين ، والخروج ، واللاويون ، والعدد ، والتثنية » فقط .

أما الدعامة الثانية فهى التلمود . ويقول وول ديورانت فى كتابه قصة الحضارة (٣) جزء ٤ فصل ١٥ تحت عنوان عصر الإيمان : « أخذ الربيون والحاخامات يفسرون التوراة حسب أهوائهم وبالشكل الذى يرضى غرائزهم الشريرة ونزوعهم إلى استعلائهم على بقية أجناس البشر . وأول من جمع تلك التفسيرات فى كتاب أسماه «المشنا» هو الحاخام «يوخاس» حوالى عام١٣٥م».

و«مشنا» معناها الشريعة المكررة . وقد زيد فى القرون التالية على الكتاب « المشنا الأصلى » شروح أخرى صار وضعها فى فلسطين وبابل ، ثم علق علماء اليهود على المشنا حواشى كثيرة وشروحاً مسهبة دعوها « جاماره » ، فالمشنا المشروحة على هذه الصورة مع التعليقات « الجاماره » كونت التلمود ومعناه : كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم .

وهذه الشروح مأخوذة من مصدرين أساسيين أصليين أحدهما المسمى

---

(١) البقرة : ١٢٤ .

(٢) تثنية ٣٠ : ٢٤ — ٢٦ .

(٣) The Story of Civilization by Will Durant " The Age of faith".

بتلمود أورشليم ، وقد كان موجوداً فى فلسطين سنة ٢٣٠ م ، وثانيهما تلمود بابل وكان موجوداً فيها سنة ٥٠٠ م[١] .

الفرق اليهودية :

انقسم اليهود إلى فرق كثيرة تدعى كل فرقة منها أنها أمثل طريقة وأشد تمسكا بأصول الدين اليهودى وبأسفاره من الفرق الأخرى . وقد بقى من هذه الفرق فى العصور الأخيرة التى عاصرت المسيح عليه السلام أربع فرق :

١ — فرقة الفريسيين . ٢ — فرقة الصدوقيين .

٣ — فرقة الناموسيين . ٤ — فرقة الأسينيين .

اولا — فرقة الفريسيين :

إن فرقتى الفريسيين والصدوقيين فرقتان قديمتان والخلاف بينهما يسير يتعلق بتفاصيل ليست ذات بال كخلافهما فى البعث .

فالفريسيون يؤمنون بالقيامة وبالروح وبالملائكة ، على نقيض الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة ولا بالروح ولا بالملائكة[٢] .

ومن صفاتهم الاستعلاء[٣]، ومن غاياتهم إحياء مملكة داود الخامدة[٤].

ثانيا — فرقة الصدوقيين :

وهم ينكرون القيامة ويعتقدون أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما يحصلان فى حياتهم ، وكانت بينهم محاجة فأفحمهم المسيح إثباتاً للبعث بقوله :

---

(١) الكنز المرصود فى قواعد التلمود للدكتور روهلنج ، ترجمه إلى العربية الدكتور يوسف نصر الله — مطبعة المعارف ١٨٩٩ .

(٢) انظر أع ٢٣ : ٦ — ٨ . (٣) لوقا ١٦ : ١٤ ، ١٥ .

(٤) لوقا ١٧ : ٢٠ ، ٢١ .

« الرب إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء »[١] .

ثالثا — فرقة الناموسيين :

وهم رجال القانون والفقه والشريعة ولقد تكالبوا على الدنيا فأنذرهم المسيح بالويلات [٢] ، ومن هؤلاء فريق يعرف بالكتبة ، وكانوا هم والفريسيون فى انسجام تام حتى أن المسيح هددهم بالويلات لأنهم يتمسكون بحرفية الشريعة لا بجوهرها وروحها [٣] .

ووصل بالناموسيين الاستهانة والاستهتار بالشريعة أنهم يعلمونها ولا يعملون بها ، وقد أدانهم المسيح بهذا الاستهتار بالمثل المشهور عن السامرى الصالح[٤] .

رابعا — فرقة الأسينيين :

وهذه الفرقة منسوبة إلى بركة « بيت حسدا » ذات الشهرة الفائقة فيما يجرى بها من معجزات الشفاء [٥] ، ويدعون أيضاً بالحسديين من كلمة « حسديم » العبرية بمعنى المشفقين .

وقد ظهرت هذه الفرقة حوالى القرن الثانى قبل الميلاد ، وهى تختلف عن بقية فرق اليهود اختلافا جوهريا : فى عقائدها وعبادتها ونظمها وتقاليدها .

---

(١) لوقا ٢٠ : ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) لوقا ١١ : ٥٢ .

(٣) متى ٢٣ : ٢٣ .

(٤) لوقا ١٠ : ٢٥ — ٣٧ .

(٥) يوحنا ٥ : ١ — ٩ .

١ — فمن أهم ما تمتاز به عن بقية فرق اليهود فيما يتعلق بالعبادات : أنها تحرم الأضحية والقرابين ، وتؤمن بأن ما يرضى الله إنما هو الحق والرحمة [١] ، مع أن الأضحية والقرابين كانت تعتبر عند الفرق الأخرى من أهم وسائل العبادة ، وقد خصص لها قسم كبير فى سفر من أسفار التوراة وهو سفر اللاويين . لكن مع الأيام انحرف الكهنة وأصبحت الأضحية موردا رئيسيا من موارد الثراء فالفساد .

٢ — كما تمتاز فيما يتعلق بالشرائع والنظم الإنسانية العامة ، فى أنها تنكر التفرقة العنصرية وتقرر مبادىء المساواة بين الناس فى القيمة الإنسانية المشتركة ، وتحرص على التعايش السلمى بين جميع الشعوب ، وهذا ما نادى به إرمياء فى القديم [٢] وما تنبأ به إشعياء [٣] من استتباب السلام والتعايش السلمى ، وما دعا إليه بولس رسول المسيحية بتكوين المجتمع الاشتراكى [٤] .

٣ — ومن مبادئها العمل على مجانبة الإضرار بالخلق وعدم الإيذاء ، إيذاء أى إنسان حتى ولو كان ذلك لتربيته وتقويمه ، ومراعاة الصدق والأمانة والوفاء بالعهد حيال جميع الناس سواء فى ذلك الإسرائيليون منهم وغير الإسرائيليين ، وقد ظهرت هذه المبادىء فى أسرة المكابيين [٥] الذين حكموا أمتهم فى عهد السلوقيين فالبطالمة .

---

(١) إشعياء ١ : ١٠ — ٢٠ .	(٢) إرميا ٢٩ : ٧ .

(٣) إشعياء ٩ : ٦ ، ٧ ؛ إشعياء ٢ : ٢ — ٤ .	(٤) أع ٤ : ٣٢ .

(٥) جاء ذكرهم فى أسفار الابوكريفا وهى ضمن الكتاب المقدس طبعة الكاثوليك اليسوعيين .

٤ — ومن مبادئها تحريم طرائق الكسب غير المشروع ، وابتزاز أموال الناس واستغلال عوزهم وحاجتهم سواء في التعامل مع اليهودى أو غير اليهودى، وهم بهذا على طرف نقيض مما جاء بالتوراة من أن الله حرض موسى وشعبه على سلب المصريين قبل خروجهم من مصر(١) .

٥ — ومن مبادئها تحريم الرق وممارسة الحرية الشخصية ، وتحظر أن يملك الإنسان أخاه الإنسان ، كما تحظر أن يحرم أى فرد من حريته . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت تقوم على الرق .

وقد خصص للرق وأحكامه حيز كبير في أسفارهم ، وجاء في سفر اللاويين ما يؤيد امتلاك الإسرائيلى للعبيد والإماء من الشعوب حواليهم (٢) ، وميزت الشريعة امتلاك الإسرائيلى لأخيه الإسرائيلى بعدم التسلط عليه (٣) ، بل إن التوراة تقرر أن شعب كنعان (٤) كتب عليه فى الأزل أن يكون عبدا رقيقا لبنى إسرائيل، وأنه لا ينبغى أن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة ما فى الحياة غير هذه الوظيفة فإن تمردوا عليها أو طمحوا إلى الحرية وجب على بنى إسرائيل أن يردوهم إليها بحد السيف .

٦ — ومن مبادئها فيما يتعلق بنظام الملكية أنها تحرم الملكية الفردية وتوجب أن تكون جميع الملكيات ملكيات جماعية . وقد طبقت مبادئها هذه على أفرادها الذين اعتزلوا المجتمع الإسرائيلى وعاشوا جماعات حول شواطىء البحر الميت، فقد ألغوا فيما بينهم نظام الملكية الفردية وجعلوا ما تحت

---

(١) خروج ٣ : ٢١ ، ٢٢ ، تك ١٥ : ١٣ ؛ ١٤ .

(٢) لاويين ٢٥ : ٤٤ — ٤٦ . (٣) لاويين ٢٥ : ٤٣ ، ٤٦ .

(٤) تكوين ٩ : ٢٥ ، ٢٦ .

أيديهم من أرض ومنقول وملابس وأطعمة ومتاع ملكا جماعيا شائعا يحفظ ما يزيد منه عن الحاجة العاجلة فى مخازن عامة ، ويشرف على شئون إدارته وتوزيعه حراس يختارون من بينهم بطريق الانتخاب العام المباشر ، ويتفرغون كل التفرغ لأعمال وظيفتهم هذه ، وهذا النظام أخذت به الكنيسة الأولى ، وحتى المنازل نفسها اعتبروها ملكا جماعيا ، وتركوها فى كل قرية من قراهم مفتحة الأبواب لكل رفيق من جماعتهم سواء أكان من أهل القرية أم قادما من خارجها .

وعلى نفس النمط سارت الكنيسة الأولى[1] .

ويحفزهم على ذلك عاملان : العامل الأول أن عبوديتهم لله تأبى عليهم عبودية لغير الله[2] ، والعامل الثانى الأمل فى ميراث لا يفنى[3] . وهذه المبادىء هى على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت تجيز الملكية الفردية وتحيطها بسياج من الحماية ، وقد خصص لأحكام الملكية الفردية وطرق انتقالها وحقوقها وواجباتها حيز كبير فى أسفارهم .

٧ — ومن مبادىء هذه الفرقة ما تمتاز به فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادى من أنها تحرم الاشتغال بالتجارة ، لما تبعثه فى النفس من جشع وحرص على جمع المال وجنوح إلى ابتزاز الناس .

كما تحرم صناعة الأسلحة والذخيرة وسائر آلات الحرب[4]، لتنافر الغاية التى تقصد من هذه الصناعات مع أهم مبدأ من مبادئهم وهو التعايش السلمى

---

(١) أع ٤ : ١ — ٢٧ ، ٦ : ١ — ٨ .
(٢) متى ٦ : ٢٤ .
(٣) متى ١٩ : ٢٩ .
(٤) إشعياء ٢ : ٤ .

واستتباب السلام الدائم ، وفى هذا يقول المسيح : « طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون »[١] .

٨ — ومن مبادئها تحريم استخدام الذهب والفضة وتحريم التعامل بهما ، لما يبعثان فى النفوس من زهو ، وما يحملان عليه من جشع وشح ، ولذلك اقتصرت أعمالهم على الزراعة والصيد ، وما يحتاجان إليه ويتصل بهما من صناعات ، وفى ذلك تختلف اختلافا جوهريا عن سائر فرق اليهود ، فقد كان من أهم مظاهر الفرق الأخرى النشاط الاقتصادى فى شئون التجارة ، وصناعة السلاح والتعامل بالذهب والفضة ، بل لقد كانت هذه الفرق تنظر إلى هذين المعدنين نظرة تقرب من التقديس [٢] ، وبالإضافة إلى هذا فإنهم يزعمون أن الشريعة تحفزهم على التعامل بالربا مع غير الإسرائيلى [٣] .

٩ — ومن مبادئها فيما يتعلق بنظام الأسرة أنها تحرم الزواج وتوجب التبتل والبعد عن النساء ، وهذا ما نادى به بولس رسول المسيحية [٤] . وهو أيضا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت ترى أن الزواج واجب دينى لكل قادر عليه ، وأن من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه لا يقل جرمه عن جرم القاتل ؛ لأن كليهما على حد تعبيرهم « يطفىء نور الله وينتقص ظله فى أرضه ، ويبعد رحمته عن إسرائيل » ، بل لقد رأى فقهاؤهم أن من يبلغ العشرين وهو أعزب يجوز للقضاء أن يرغمه على الزواج .

١٠ — ومن مبادئها فيما يتعلق بالحياة الفردية أنها تحارب الترف والنعيم وتدعو إلى الزهد والتقشف والبعد عن جميع متع الجسم وتنظر إلى هذه المتع على أنها شرور [٥] .

---

(١) متى ٥ : ٩ .
(٢) خروج ٣٢ : ١ — ٦ .
(٣) تثنية ٢٣ : ١٩ ، ٢٠ .
(٤) ١ كو ٧ : ٣٢ .
(٥) متى ١٦ : ٢٤ — ٢٦ ؛ متى ١٠ : ٣٧ — ٣٩ .

ومن هذا يظهر أن هذه الفرقة تخالف فى معظم ما تذهب إليه تعاليم العهد القديم والتلمود ، على الرغم من أنها تعتبر نفسها ويعتبرها المؤرخون من فرق اليهود ، والحقيقة أنه لا تربطها ببقية فرق اليهود إلا رابطة الجنس لأن أفرادها كانوا من بنى إسرائيل . وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن يوحنا المعمدان والمسيح بن مريم كانا من هذه الفرقة ، ومن دراسة تحليلية لتعاليمها يتضح الاتفاق التام بين مبادئها ودعوة يوحنا ودعوة المسيح .

ومن دراسات للدين البرهمى كما جاء فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى يتبين الاتفاق التام بين مبادىء هذه الفرقة والدعائم الأخلاقية المعروفة بالوصايا العشر للدين البرهمى ، وتتلخص فى مبادىء بوذا الذى يهتف بالإيثار كى يجد الناس النرفانا ، والنرفانا هى حالة السمو والصفاء التى يجدها ويبلغها الذين يعادون أنفسهم سعيا وراء الحكمة والحق وفى هذا المعنى يقول العزيز «ويؤثرون على أنفسهم » (١) .

ولم تعمر هذه الفرقة طويلا ، فقد انقرضت فى أواخر القرن الأول الميلادى . هذا وقد ظهرت حوالى القرن الثامن بعد الميلاد فرقة جديدة من اليهود سمت نفسها بفرقة « اليهود القرائين » ، وامتازت عن غيرها من الطرق بتمسكها بما جاء فى التوراة وحدها ، وعدم اعترافها بأحكام التلمود وتعاليم الحاخامات، وعدم اعتبارها هذه الأحكام وهذه التعاليم من أصول الشريعة ، وقد أسس هذه الفرقة داود بن عنان وهو من علماء يهود العراق . ومن الفرق الدينية أيضا فرقتان سبق ذكرهما تحت باب أحزاب إسرائيل وهما : حزب أغودات إسرائيل وحزب مزراحى .

---

(١) سورة الحشر : ٩ .

الباب الثالث

الوجهة الدينية والأخلاقية

فكرة الألوهية بين إسرائيل والفراعنة

متى وأين تم إدراك الله أولا بوضوح ووعى كافيين بحيث تم تخصيص رجال للخدمة الدينية عرفوا بالكهنة، واستحثوا على إقامة شعائر دينية منظمة؟

إن التاريخ الفرعونى يسجل لنا فى آثاره أن الكهنة فى قديم الزمان كانوا يحرصون على الحفاظ على شعائر الدين قبل ظهور الرسالات السماوية المشهورة .

وكذلك يؤكد لنا تاريخ الشعوب الآسيوية المتاخمة للبحر الأبيض المتوسط أن عبادة الله الواحد الأحد عرفت طريقها بين اليبوسيين وهم من سلالة كنعان من نسل حام ، وقد كانت بلدة « يبوس » مركزاً للعبادة الربانية التى انبثقت من سيدنا نوح عليه السلام الجد الأعلى للكاهن ملكى صادق الذى عاصر سيدنا إبراهيم عليه السلام وباركه بعد انتصاره على كدر لعومر والملوك الذين معه (١). ومدينة يبوس هى هى مدينة أورشليم وهى هى مدينة القدس .

وفى أرض مدين بشبه جزيرة سيناء كان يثرون كاهن (٢) مدين معاصراً لسيدنا موسى عليه السلام ، وهو الذى نصح موسى (٣) بالتنظيم الاجتماعى والسياسى لبنى إسرائيل حتى يتفرغ لتلقى الشريعة من الله رب العالمين .

إن علماء أصول الدين وعلماء اللاهوت ،مازالوا يمعنون فى التأمل والتفكير : هل عرف إبراهيم « الله » فى أور (٤) الكلدانيين « العراق » أو أنه رآه يوم أن افتدى الله ابنه بذبيح فى أرض المريا (٥) حيث دعا إبراهيم اسم ذلك الموضع «يهوه يرأه» ؟

---

(١) انظر تك ١٤ : ١٧ — ٢٤ .
(٢) انظر خر ٣ : ١ .
(٣) انظر خر ١٨ : ١٣ — ٢٧ .
(٤) انظر تك ١٢ : ١ — ٩ .
(٥) هذا بحسب رأى التوراة من أن الذبيح هو إسحق . انظر تك ٢٢ : ١ — ١٩ .

أو أن موسى عليه السلام عرفه فى سيناء ساعة أن تقدم إلى النار التى تشتعل فى العليقة ، والعليقة لا تحترق ، ليقف على أسرارها فإذا به يسمع صوت العلى يناديه بأنه «بالواد المقدس طوى » (١) ، وأن عليه أن يقول لبنى إسرائيل : « يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم . هذ إسمى الى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور » (٢) ؟

وهذه الأماكن أمست لهـا قدسيتها ، فيبوس التى هى الآن القدس :

١ ـ كانت مدينة لليبوسيين ، وشهدت عبادة الله الواحد الأحد ، وعلى صخرة المريا التى شهدت إقامة الدين الحنيف من إبراهيم إلى داود فسليمان فالمسيح توصلت هذه المدينة لاستكمال أسباب السلام حتى سميت فى عهد داود وسليمان بمدينة « أورشليم » .

٢ ـ وفى الأرض المقدسة عند جبل سيناء حيث تراءى الله لموسى عليه السلام، وحيث تلقى موسى الشريعة من الله ، أمره الله عند خروجه ببنى إسرائيل من مصر : «يعبدون الله على هذا الجبل، فقال موسى لله هأنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم : إله آبائكم أرسلنى إليكم ، فإذا قالوا : ما اسمه ؟ فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى : أهيه الذى أهيه . وقال : هكذا تقول لبنى إسرائيل : أهيه أرسلنى إليكم »(٣).

ويرى Weigall (٤) أن مذهب التوحيد الذى نادى به إخناتون قد بشر به من لدن أمة جاءت إلى بلاط أبيه من أحد الأقطار الآسيوية .

وقد عكف إخناتون على عبادة رب يدعى « أدوناى» تارة ، و« آتوم »

---

(١) طه : ٩ — ١٤ ؛ خروج ٣ : ٢ — ٥ . (٢) خر ٣ : ١٥ .
(٣) خروج ٣ : ١١ — ١٤ .
(٤) Weigall, The Life and Time of Akhenaton .

تارة أخرى ، و « آتون » طوراً ثالثاً ، يعنى على مختلف اللهجات المعروفة بين شعوب الأقاليم المختلفة فى ذلك العهد .

وليست كلمة « آتون » أو « آتوم » غير تحريف للفظة العبرية «أدوناى» بمعنى السيد .

وللعالم اليهودى سيجموند فرويد Frued نظرات فى مذهب إخناتون تدل على محاولة ظاهرة فى المقابلة بين عقيدة إخناتون وعقيدة العبرانيين فى التوحيد ، فقد مهد فى كتابه (١) الذى ترجمته من الألمانية Katherine Jones سنة ١٩٤٠ بفروض تدل على البراعة وغزارة العلم لمسألة المقابلة بين المذهبين .

وانتهى من ذلك إلى أن « موسى » قد ولد فى مصر (٢) وتربى فيها ، ونشأ فى كنف الوحدانية ، التى أعلن أمرها فى زمان « إخناتون » ، وعلى أثر النضال بين أصحاب مذهب « آمون » وأصحاب مذهب « آتون » = الشمس ، وإلى أن ذلك النبى العبرانى مهد لنبوته ومذهبه الدينى فى تلك البيئة الموحدة عند آل فرعون .

ثم بات يبشر قومه بالوحدانية ، ويلقنهم أصولها ومبادئها ، ويعلمهم قواعدها ، ويثبت لهم أنه يدين بدين الحق ، دين الله الواحد الأحد ، ثم يعلمهم كيف يوحدونه ويعظمونه ويفهمون صفاته وذاته ، وهو فى هذا يحاول أن

---

(١) Sigmund Frued, Moses & Montheisim. 2nd edition .

(٢) «وذهب رجل من بيت لاوى وأخذ بنت لاوى ، فحبلت المرأة وولدت ابنا ... ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابنا . ودعت اسمه موسى وقالت : إنى انتشلته من الماء» خروج ٢ : ١ ، ١٠ .

يأخذ من حركة « إخناتون » جسراً إلى حركة « موسى » فى إعلان مذهب التوحيد . . .

وذهب فرويد إلى أبعد من ذلك فى فروضه بزعمه أن موسى كان مصرياً ولم يكن من اللاويين كما جاء فى التوراة(١) .

وفرويد يجعل من موسى بطلا غير وجه التاريخ ، ويزعم فرويد أن موسى قد تأثر بمذهب الوحدانية التى ظهرت بين يدى إخناتون .

ويقر الدكتور أحمد بدوى فى كتابه « فى موكب الشمس » أن المصريين قد عرفوا الوحدانية وآمنوا بها ، ودانوا دينها ، بل عرفوا أن الله واحد لا شريك له ، ولكنهم لم يعلنوا أمر ذلك دفعة واحدة ، لأنهم كانوا أوفياء للقديم .

فهم يعرفون كيف نشأت عقائدهم الأولى متفرقة فيما سكنوا من أقاليم هذا الوادى ، وكيف كان أهل كل إقليم يتعصبون لمعبودهم ويدخرون له كثيراً من الوفاء مهما تقادم العهد عليه ، ويفعلون الأعاجيب فى ربطه بالإله الأعظم الذى يدين له كافة الناس .

وكان من المنطق أن إبراهيم الذى هجر أرضه وعشيرته احتسابا لله وحده لا يرضى إلا بأرض تعرف الله الواحد الأحد . ومصر التى تدين بدين التوحيد استهوت فى مختلف العصور أولئك الآباء والأنبياء والرسل الذين هاجروا إليها ، إما طلبا للزاد ، كما هاجر إليها إبراهيم(٢) ويعقوب(٣) والأسباط(٤) ،

---

(١) خروج ٢ : ٢ « فحبلت المرأة وولدت ابنا » .

(٢) تك ١٢ : ١٠ — ٢٠ ، ١٣ : ١ — ٤ .

(٣) تك ٤٦ : ١ — ٧ .

(٤) تك ٣٩ : ١ .

وإما للالتجاء والاحتماء بها من عدوان غادر كما التجأت إليها مريم وابنها المسيح(١) .

والقرآن الكريم ينبئنا بأن معرفة الله الواحد كانت ظاهرة حتى أن امرأة فرعون قالت : « رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين »(٢) ، ومن ثم فإن الله أكرم شعب مصر : «مبارك شعبى مصر »(٣) .

ومن الظواهر العامة فى حياة الإنسانية أن العقائد قد مرت فى حياتها بأطوار ثلاثة :

طور التعدد . . . وطور الترجيح . . . وأخيراً طور الوحدانية .

فكان الناس فى الطور الأول يتخذون لأنفسهم أرباباً مختلفة(٤) ، فلكل قبيلة رب ، ولكل أسرة رب أحيانا ، وتلك نزعة تلائم حياة الناس ومنطقهم ، إذ لم يكن الناس قد ألفوا بعضهم بعضا ، ولم تكن النظم الاجتماعية التى تقرب بين القبائل والجماعات قد نشأت(٥) .

أما الطور الثانى ، وهو طور التغليب والترجيح ، فقد عكف الناس فيه على عبادة أربابهم ، وغلبوا عليها واحدا منها فأبرزوه ، ورفعوه إلى عرش الزعامة لأسباب قد يكون مرجعها سياسياً كأن تبلغ قبيلة المعبود مكان الصدارة والزعامة بين القبائل : « عندما تسمعون صوت الناى . . . أن تخروا

---

(١) متى ٢ : ١٤ — ٢١ .
(٢) سورة التحريم : ١١ .
(٣) إشعياء ١٩ : ٢٥ .
(٤) تك ٣١ : ٣٠ .
(٥) داجون إله الفلسطينيين ١ صم ٥ : ٢؛ « عشتورث إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ... وكموش رجس الموآبيين » ١ مل ١١ : ٥ — ٧ .

وتسجدوا لتمثال الذهب الذى نصبه نبوخذ نصر الملك ، ومن لا يخر ويسجد ففى تلك الساعة يلقى فى وسط أتون نار متقدة»(١). وقد يكون مصدرها فكريا حيويا كأن يؤمن الناس بقدرة المعبود على تحقيق مطالبهم التى تتصل بالرزق والعيش وبأسباب الحياة(٢) .

أما الطور الثالث فهو طور النضج فى حياة الشعوب ، وفيه يكمل تفكيرها السياسى والاجتماعى ، فتنزع الأمة إلى توحيد الفكر والجهد ثم تجتمع على عبادة واحدة ، وتتجه إلى إله واحد لا شريك له ، وتحاول غالبا أن تفرض عبادتها على من يجاورها من أمم الأرض كما تفرض السياسة تماما .

تلك أمور معروفة أقرها التاريخ بعد أن حققها علماء المقابلة بين الأديان أو البحث فى أصولها وتطويرها .

تعريف الله « أدوناى » :

كان المصريون يعبدون الشمس ويسمونها بأسماء مختلفة أشهرها وأظهرها «آتوم» ومعناها «الكامل» . وكان «آتوم» يشبه عند أصحاب أديان السماء « آدونيس أو آدون » الذى يمثل البعث فى الطبيعة عند أهل الشرق ويرمز له بالربيع .

وزعم الإغريق أن « أدونيس » Adonis من أبناء الملوك وكان فتى جميلا افتتنت به « أفروديت » وشغفها حبا حتى حسده « آرس » Aris وامتلأ قلبه كرها له وحقدا عليه .

وأدونيس معبود أهل الشرق أقرب إلى أوزيريس منه إلى آتون لاتفاق الأسطورة بينهما رواية وفلسفة .

---

(١) دانيال ٣ : ١ — ٦ .

(٢) خروج ١٤ : ١٥ ، ١٦ ، ٢٦ ، ٢٧ ؛ خروج ١٦ : ٤ ؛ خروج ١٧ : ٥ ، ٦ ، ١١ .

وقد كان الإسرائيليون عملا بالوصية الثانية : « لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا »[١]، يتحاشون التردى فى الباطل بعدم ذكر لفظ الجـــلالة « الله » بإبداله بلفظة « أدوناى » ومعناها الرب .

حول فكرة الخلود :

طمحت النفس البشرية إلى الخلود منذ وجدت فى هذا السكون ، ولقد كان الخلود فى نظر النفس المصرية فى الاسم والذكر ، ومن ثمّ أقام المصريون القبور على الروابى العالية ، وأنهضوا الأهرامات من قلب الأرض تطاول السماء ، وحفروا الرسوم بمختلف الألوان على جدران المعابد والقبور ، وكلها تحمل اسم الميت وصوره ومختلف أعماله لتذكره الأجيال على مر السنين وتقرأ من حوله أعماله ومفاخره ، ولعلها قدرت مؤملة أن يكون فى حفظ الجسد بعد الموت مايسهل على الروح الاهتداء إليه فى عالم القبور ، ولقد نهج بنو إسرائيل هذا النهج [٢] .

وتزعم التوراة أن آدم عليه السلام أراد الخلود لنفسه بعد أن أكل من الشجرة المنهى عنها ، فطرده الله من الجنة خشية أن يأكل من شجرة[٣] الحياة فيحيا إلى الأبد . ويذكر القرآن الكريم أن الخلود كان أحد المغريات التى أغرى بها إبليس آدم ليأكل من الشجرة[٤] .

وتتأجج الرغبة فى الخلود فتحكى لنا التوراة أن الأرض كلها كانت لسانا واحداً ولغة واحدة ، واتفق الناس على بناء مدينة وبرج رأسه فى السماء لئلا

---

(١) خر ٢٠ : ٧ .
(٢) تكوين ٥٠ : ١ – ١٣ .
(٣) تك ٣ : ١ – ٧، ٢٢ – ٢٤ .
(٤) طه ٢٠ : ١٢٠ – ١٢٣ .

يتبددوا على وجه كل الأرض : « فقال الرب : هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض ، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض» (١) .

التصديق بالأنبياء :

دعا الله موسى وحمله رسالة الهدى : « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى » ، لكن موسى يقف من الله متسائلا : وكيف يصدقوننى ؟ فيقول الله لموسى : «وما تلك بيمينك ياموسى؟ قال: هى عصاى»، وفى هذه العصا يكمن السر الإلهى لتأييد موسى فى عمله حتى يؤمن به بنو إسرائيل وغيرهم ، وتروى التوراة ماصنعه موسى بعصاه ذات السر العجيب ، فهذا موسى يقود شعب إسرائيل هاربا من وجه فرعون فإذا بالعدو خلفه والبحر أمامه ، فيضرب البحر بعصاه فينشق ويهرب بنى إسرائيل وينغلق البحر على جند فرعون (٢) . وبالعصا ضرب موسى الصخر فانشقت المياه وارتوى بنو إسرائيل (٣) ، وبالعصا رفع موسى يده فانتصر إسرائيل على العمالقة (٤) ، مع أن المعركة كانت غير متكافئة .

وجاء يشوع خليفة موسى عليه السلام وعضده الله بالآيات والمعجزات، فتدوم الشمس ويقف القمر حتى ينتقم الشعب من أعدائه (٥) ، بل جعل الله ليشوع « تابوت الرب » عوضا عن عصا موسى فصنع به معجزة بانفلاق مياه الأردن وعبور بنى إسرائيل فى اليابسة (٦) .

وهذه المعجزات إنما كانت لتثبيت بنى إسرائيل على الإيمان بالله الواحد

---

(١) تك ١١ : ١ — ٩ .
(٢) خروج ١٤ : ١٥، ١٦، ٢٦، ٢٧ .
(٣) خروج ١٧ : ٥، ٦ .
(٤) خروج ١٧ : ١١ .
(٥) يشوع ١٠ : ١٢ — ١٤ .
(٦) يشوع ٣ : ٩ — ١٧ .

الأحد والنهج فى طريق الحق والحياة والسلام ، حتى أن المسيح نفسه لما صنع بقدرة الله معجزة إشباع الجموع (١) إنما فعل ذلك ليقود الناس لا إلى الخبز الذى أكلوه ، بل إلى خالق السموات والأرض العاطى كما وهب من قبل المن والسلوى لبنى إسرائيل فى البرية (٢) .

ومع هذه الآيات التى يجريها الله على أيدى أنبيائه إلا أن بنى إسرائيل سرعان مايتحولون ويشركون بالله فيصنعون لأنفسهم عجلا يتعبدون له ،(٣) ويأسى موسى لهذا الشعب فينعتهم بالتمرد ومقاومة الله (٤) .

وتزعم التوراة أن الله قال لموسى : « رأيت هذا الشعب ، وإذا هو شعب صلب الرقبة ، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم فأصيرك شعبا عظيما » (٥) .

الوثنية فى ركاب الأيمان :

انقضت على إسرائيل فترة من الزمان منذ عهد إبراهيم إلى عهد المسيح بلغ مداها عشرون قرنا من الزمان فى هذه الرحلة الطويلة قبل الميلاد ، وتتابعت الأنبياء وتجاوز عددهم المئات ممن نعرفهم ومن لا نعرفهم حتى انتهى المطاف بهم إلى المسيح عيسى بن مريم الذى رأى الكهنة ورؤساء الشعب يتاجرون باسم الدين وباسم الله فنطق بقوله : « بيتى بيت الصلاة يدعى لجميع الأمم وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » (٦) . ثم يذكر انحرافهم منذ عهد موسى عليه السلام بقوله : « يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم ، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامى ؟ » (٧) .

---

(١) لوقا ٩ : ١٠ — ١٧ .
(٢) خروج ١٦ : ٤ .
(٣) خر ٣٢ : ١ — ٨ .
(٤) تثنية ٣٠ : ٢٧ .
(٥) خر ٣٢ : ٩ ، ١٠ ؛ ٣٣ : ٥ .
(٦) مرقس ١١ : ١٧ .
(٧) يوحنا ٥ : ٤٥ — ٤٧ .

إن بنى إسرائيل قد دانوا بعبادة الأسلاف ثم غمرتهم الوثنية زمانا ، فنظروا فى كواكب السماء ، وظواهر الطبيعة ، ثم فى الحيوان والحجر والشجر ، وظلوا غارقين فى الوثنية لم يخرجهم منها دعوة أبيهم إبراهيم ، ولا ظهور الأنبياء من أبنائه ، فعبدوا العجل[1] بعد أن توارثوا هذه العبادة من تقديس المصريين للحيوانات وهى إحدى خصائص الديانة الفرعونية منذ أقدم العصور . ولم تكن العبادة إلا لفرد واحد من النوع الذى يختارونه طبقا لمواصفات تحددها التقاليد وشعائر الدين ، ولعل ما جاء بسورة البقرة من تحديد وصف البقرة يؤكد مدى دقة انتخاب نوع الحيوان واختياره مطابقا لجميع المواصفات .

فلسفة عبادة الحيوانات المقدسة عند الفراعنة :

يذكر إيليانوس أن « مينا » هو الذى شرع عبادة العجل حب «أبيس» الذى يتجسم فيه إله الشمس فى أون « عين شمس » ، ويؤكد « حجر بالرمو » أن أول عبادة للعجل « أبيس » تقع فى أواخر الأسرة الأولى . وعند الكلام على العجل حب « أبيس » فى منف وعن كهانة هذا الثور المصورة فى نقش على جدار خارجى للمعبد ، يثبت النص المرافق لصورة هذه الكهانة أن الحيوان المقدس فى فقه الكهنة فى عهدى البطالمة والرومان ليس إلا علامة بها يعلن الإله مشيئته من علياء سمائه .

ولم تجد فى الشعب دعوة موسى إياهم إلى التوحيد ، فسرعان ما تمردوا ولقوا جزاءهم الفورى ، فأرسل الرب عليهم الحيات ، فلما تشفع فيهم موسى استجاب له الله فأمره أن يصنع حية نحاسية ويعلقها على الراية وأن يقول لبنى إسرائيل : كل من لدغ ونظر إليها يحيا[2] . ومع الأيام وفى عهد ملوك مملكة

---

(١) خروج ٣٢ : ١ — ٤ ، سورة طه : ٨٥ — ٩٢ .
(٢) عدد ٢١ : ٤ - ٩ .

إسرائيل ومملكة يهوذا أقاموا مذابح للبعل ووضعوا تمثال السارية فى البيت وفى أورشليم التى قدسها الله بأن وضع اسمه عليها[١]، وبنوا مذابح لكل جند السماء ، حتى أن الله يغضب على يهوذا وعلى إسرائيل ويقول : « وأرفض بقية ميراثى وأدفعهم إلى أيدى أعدائهم فيكونون غنيمة ونهبا لجميع الأعداء »[٢] .

وحتى فى زمن داود الذى أحبه الله كانت زوجة داود تحتفظ بتماثيل على صورة البشر وترمز بها إلى الله [٣] ، فلما جاء شاول الملك ليقتل داود عليه السلام وجد الترافيم ولم يجد داود الذى أوعزت إليه زوجه ميكال بنت شاول بالهرب من وجه أبيها .

ولقد أحسن إشعياء التعبير عن هذه الأمة بقوله : « هذا الشعب قد اقترب إلىّ بفمه وأكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فأبعده عنى ، وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمة ، لذلك هأنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجبا وعجيبا . فتبيد حكمة حكمائه ويختفى فهم فهمائه .

« ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم فى الظلمة ويقولون: من يبصرنا ومن يعرفنا ؟ يا لتحريفكم ! هل يحسب الجابل كالطين حتى يقول المصنوع عن صانعه : لم يصنعنى ؟ أو تقول الجبلة عن جابلها : لم يفهم ؟ ! »[٤].

فلسفة عبادة الحية النحاسية :

امتدت عبادة الحية النحاسية عبر الأجيال حتى فلسفها رجال اللاهوت

---

(١) ٢ مل ٢١ : ١ — ٩ .
(٢) ٢ مل ٢١ : ١٤ .
(٣) ١ صم ١٩ : ١٣ — ١٧ .
(٤) إشعياء ٢٩ : ١٣ — ١٦.

بأنها رمز للفداء العظيم عن الجنس البشرى ، بحجة أنه كما بآدم صارت الخطيئة فإنه بالمسيح يصير الخلاص : « وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان لكيلا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (١) .

السلطة الدينية عبء على الشعب :

فمن أعماق تاريخ الفراعنة نجد أن الكهنة العظام قد أدوا دوراً كبيرا فى النزاع العائلى الذى تشابكت فيه الملكة حتشبسوت مع التحامسة .

فلم يكن الكاهن الأعظم « حبو سنب » رئيسا لكهنة آمون وجميع كهنة آلهة مصر فحسب بل كان وزيرا أيضا ، وبذلك جمع فى يديه السلطان السياسى والسلطان الدينى .

وظل بنو إسرائيل يتمتعون بنظام الحكم الثيوقراطى من موسى إلى صموئيل، حتى طلب الشعب تتويج ملك عليهم(٢) ، فساء الأمر فى عينى صموئيل ، ومع هذا فإن طريقة اختيار الملك تسير على النمط نفسه الذى يتبعه الكاهن الأعظم فى التسلط بدوره على الملك عن طريق الوحى الذى يعلنه تمثال الإله ، فتقدم إسرائيل بجميع أسباطه إلى صموئيل فأخذ شاول(٣) .

مهزلة الوحى الذى يعلنه تمثال الآله :

تنبئنا السجلات التاريخية بأن كاهن آمون الأكبر يعينه الإله بنفسه من حيث المبدأ ، ويعينه الملك من حيث الواقع ، وتجرى حفلة التنصيب على هذا النحو ، فإن الملك يتلفظ بأسماء المرشحين من الكهنة بحضرة تمثال الإله . وعندما يذكر اسم المرشح الذى عينه الملك يقر التمثال بحركة ليس من السهل

---

(١) إنجيل يوحنا ٣ : ١٤ ، ١٥ .
(٢) ١ صم ٨ : ١ — ٧ .
(٣) ١ صم ١٠ : ١٧ — ٢٤ .

تحديدها ، بل يبدو أن تمثال الإله كان يعلن مشيئته بالتقـــدم أو التقهقر طبقا للأحوال .

وعلى أى حال فإن مهزلة الوحى هذه كانت تسمح بتأكيد أن الإله ذاته هو الذى اختار حبره الجديد ، ثم يسلمه الملك السلطة التامة فورا وهو ينطق بهذه العبارات : « أنت كاهن آمون الأعظم ، كنوزه ومحاريبه وضعوا تحت خاتمك ، أنت رئيس معبده » .

وتتوافق هذه الظروف والنمط الذى جرى عليه إسرائيل فى عهد موسى لاختيار كاهنه ، إذ جمع اثنتى عشرة عصا بعدد أسباط إسرائيل ووضعت فى خيمة الشهادة ، فأفرخت عصا هارون لبيت لاوى[1] ، ومن ثمّ أصبح هارون كاهنا لبنى إسرائيل .

حقوق الكاهن وممتلكاته :

تعطى التوراة حقوقا مادية واسعة للكاهن : « قد أعطيتك حراسة رفائعي مع جميع أقداس بنى إسرائيل لك أعطيتها حق المسحة ولبنيك فريضة دهرية »[2]، وحقوقا أدبية : «لاتسب الله ولا تلعن رئيسا فى شعبك ...»[3].

وازدادت ثروة اللاويين ازديادا كبيرا عن طريق الحق المقدس فى ممتلكات الأحد عشر سبطا الآخرين : « قد أمر الرب على يد موسى أن نعطى مدنا للسكن مع مسارحها لبهائمنا ، فأعطى بنو إسرائيل اللاويين من نصيبهم حسب قول الرب هذه المدن مع مسارحها »[4] .

وعلى النمط نفسه كانت ثروة كهنة آمون عبارة عن النصيب الذى يقرره الملك للإله من الإتاوات السنوية التى تجبى من البلاد الأجنبية والمستعمرات وترسل إلى مصر . أما الأراضى الزراعية فإن مساحتها كانت تزداد من عهد

---

(١) عدد ١٧ : ١ — ١١ .　　(٢) عدد ١٨ : ٨ .

(٣) خروج ٢٢ : ٢٨ — ٣٠ .　　(٤) يشوع ٢١ : ١ — ٣ ؛ عدد ٣٥ : ١ ، ٤ .

إلى آخر بفضل المشتريات وهبات الملك . وكان الإشراف على هذه الثروة يتطلب عدداً كبيراً من الموظفين العلمانيين ، لكن فى عهد الكاهن الأعظم « حبوسنب » لم تعد ممتلكات آمون يديرها علمانى يستطيع الملك أن يراقبه بعض المراقبة ، بل كان يديرها الكاهن الأعظم مباشرة ، فاستطاع بذلك أن يتصرف بحرية فى ثروة هائلة . ومن هنا جمع الكاهن الأعظم بين سلطتين خطيرتين: السلطة الروحية الممنوحة له بالحق الإلهى المقدس، والسلطة الزمنية فيما يسيطر عليه من ممتلكات واسعة ، ومن هنا تنشأ خطورة الطبقة الكهنوتية على الشعب ، ومن هنا كانت حيثيات الويلات التى أنزلها المسيح على الكهنة والفريسيين . . على الكتبة والناموسيين(١) .

السحر الدينى وأثره فى تردى إسرائيل فى العصيان

إنه لمن الصعب فى الحضارة المصرية وهى مشبعة بالإيمان بما وراء الطبيعة ، أن نميز بين السحر وبين ممارسة الدين من ناحية دينية ، وبين السحر وبين العلم من ناحية علمية .

فالحق يقال إننا لا نجد الشواهد على السحر فى المعابد أو فى تصاويرها بل حتى فى شعائر عبادتها ، فقد كانت العبادة الرسمية تذكر السحر عند الاقتضاء لعلم مشروع يعلمه الآلهة ويزاولونه ، لكنه لم يكن أساسا لها إذ كان غرضها العبادة ووسيلتها الصلاة .

ومن هنا نستطيع أن نتبين المنافسة الشديدة بين موسى وآيات الله معه ، والكهنة والسحر الذى مارسوه حتى أقروا واعترفوا بأن تفوق موسى عليهم إنما لأن تلك الآيات فيها « أصبع الله » (٢) .

---

(١) إنجيل متى ٢٣ : ١ — ٣٦ .　　(٢) خروج ٨ : ١٨، ١٩ .

السحر الدينى والطقوس الجنائزية :

إن الطقوس الجنائزية تتميز بمجموعة من الصيغ والأفاعيل السحرية ألفها كهنة عين شمس وترمى إلى تعديل النظام القائم فى العالم الآخر بتعاويذ لا تقاوم بل وبالوعيد .

وتذكرنا التوراة بأن حزقيا مرض مرض الموت ، وجاءه إشعياء النبى قائلا له : «أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش» ، فتضرع حزقيا إلى الله وأجابه الله بإشعياء قائلا : « هأنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة .. هأنذا أرجع ظل الدرجات الذى نزل فى درجات آحاز بالشمس عشر درجات إلى الوراء ، فرجعت الشمس عشر درجات فى الدرجات التى نزلتها »(١) .

وهكذا تقدر الصلاة فى زعمهم على تغيير ناموس الطبيعة .

وكان انتظام القرابين ضروريا للحياة الثانية بقدر ما كانت المحافظة على الجدث ، وإعداد القبر(٢)، وأصبحت هذه القرابين مورد رزق للكهنة ، حتى أن المسيح عليه السلام ندد بهم بقوله : « انكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون صلواتكم ؛ لذلك تأخذون دينونة أعظم» (٣) .

وهذه الطقوس الجنائزية بقيت مع الزمن وتطورت بعد أن تسربت روحها إلى عادات وتقاليد لم تكن فى الأصل سحرية بالمعنى الحقيقى كعادات التحنيط والقرابين الجنازية .

---

(١) إشعياء ٣٨ : ١ — ٨ .

(٢) لعل عادة خروج النساء إلى المدافن ومعها الرحمات موروثة من هــذه العقيدة الفرعونية القديمة .

(٣) متى ٢٣ : ١٤ .

السحر فى ركاب الأرواح :

كان للسحر دائما مكانة عالية فى كل طبقات المجتمع ، ويفسر ذيوعه فى وادى النيل الشهرة التى تمتع بها السحر المصرى ، عند الإغريق وعند الرومان وعند إسرائيل .

وقد جاء السحر فى سياق حياة شاول الملك ، إذ تقول التوراة إن الله قد تخلى عنه ، وإن الله اختار داود ملكا عوضاً عنه ، وان روحا رديئة باغتته ، وبينما داود يزداد روعة وانتصارا يتناقص شاول ويسير من سيء إلى أسوأ حتى زاحمته الأفكار وداهمته المصائب وغزاه الفلسطينيون ، فاستخار الله لكن الله حجب وجهه عنه فلم يجبه لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء ، فلم يجد شاول بدا من أن يبحث عن ساحرة لتصعد روح صموئيل نبى الله (١) ، ولم تفده الساحرة بشيء لأن قضاء الله بانكسار شاول واقع لامفر (٢) .

ويتخذ السحر للوقاية من الأرواح الشريرة والحيوانات الضارة والأمراض والعين ، ويؤدى هذا السحر فعله بتلاوة العزائم (٣) وحمل التمائم (٤) التى تمثل الآلهة أو بحمل رموز للآلهة أو بالعلامات الهيروغليفية التى تكتب بها أسماء الطيبات التى يراد الحصول على خيرها .

التقويم المصرى وأثره فى المواسم الدينية

إن الكهنوت الإسرائيلى أو الكهنوت المسيحى يعتمد اعتمادا كبيرا على التقويم الزمنى ، ولعل المدة الطويلة التى جاوزت أربعة قرون (٥) وقضاها

---

(١) ١صم ٢٨ : ٣ — ٢٠ . (٢) ١صم ٣١ : ١ — ١٢ .

(٣) شهدت التوراة بالحسد بين هابيل وقابيل (تك ٤ : ٣ — ٥) ، وبين يوسف وإخوته (تك ٣٧ : ٩ — ١١) ، وشهدت الآثار الفرعونية بالحسد مابين أوزيريس وأخيه ست . ونزلت الآيات القرآنية فى المعوذتين للاستعاذة من الحسد .

(٤) مازال بعض النساء المتعبدات يزين صدورهن بمايشبه التمائم كالأيقونة أو الصليب بينما النساء المسلمات يحملن رمزاً للقرآن الكريم .

(٥) أقام بنوإسرائيل فىمصرمن عهد الأسرة الثانية عشرة إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

بنو إسرائيل فى مصر طبعتهم بالطابع المصرى فى نهجهم الاجتماعى والدينى . وتذكر التوراة أن خروج بنى إسرائيل فى « شهر أبيب » (١) يتفق ونزول الوصايا العشر على بنى إسرائيل ومنها وصية تلزمهم بتقديس يوم من أيام الأسبوع وهو يوم السبت (٢)، وأحاطت الشريعة يوم السبت بقدسية معينة حيث يقام الحد على من يدنسه (٣)، وتروى التوراة أنه أقيم الحد فى عهد موسى على رجل كان يحتطب فى يوم السبت (٤)، وتؤكد الوصية تقديس يوم السبت فإن مدنسيه مثل تابعى الجان يلزم إقامة الحد عليهم (٥) .

وقد ورد فى سفر اللاويين فى الإصحاح الثالث والعشرين بيان مواسم الرب من المحافل المقدسة إلى عيد المظال ، وفى الإصحاح السادس عشر (٦) من السفر عينه بيان مواسم الاعتكاف ، وفى سفر التثنية عن موسم الفصح : «احفظ شهر أبيب واعمل فصحاً للرب.. » (٧). ومن ثم كان لهذه المواسم توقيت اعتمدوا فيه على التقويم المصرى .

والواقع أنه ما من شعب من الشعوب القديمة غير مصر الفرعونية استعمل تقويما ليست السنة فيه مجموعة شهور قمرية بل أساسها جريان الشمس وعودة الفصول فى أوقاتها . وهذا التقويم الذى فرضه يوليوس قيصر على العالم الرومانى بعد تعديل طفيف ، وأصلحه البابا جريجورى الثالث عشر فى القرن الرابع عشر الميلادى وأصبح تقويما عالميا ليس فى حقيقة أمره إلا التقويم الفرعونى القديم .

ففى المشاهدات الفلكية عند قدماء المصريين أن يوم ابتداء الفيضان الذى يقع دائما فى تاريخ ثابت، يصادف الطلوع الشمسى لنجم الشعرى اليمانية،

---

(١) خروج ٣٤ : ١٧ .

(٢) خروج ٢٠ : ٨ .

(٣) خروج ٣١ : ١٤ .

(٤) عدد ١٥ : ٣٢ — ٣٦ .

(٥) لاويون ١٩ : ٣٠ — ٣١ .

(٦) لا ١٦ : ٢٩ — ٣٤ .

(٧) تثنية : الاصحاح السادس عشر .

أى اليوم الذى فى صباحه يطلع هذا النجم فوق الأفق فى وقت واحد مع الشمس وهو اليوم التاسع عشر من شهر يوليو ، حسب التقويم اليوليانى ، والسنة عندهم ٣٦٥ يوما وهى المدة التى تفصل بين شروقين شمسيين لنجم الشعرى اليمانية . وقسموها تحكما ، قياسا بلا شك على حساب قمرى إلى اثنى عشر شهراً ، فى كل منها ثلاثون يوما ، وأضافوا عليها خمسة أيام تكميلية هى أيام النسىء ، وقسموا الشهر إلى ثلاث مدد كل منها عشرة أيام ، وجمعوا الشهور كل أربعة فى وحدة أو فصل وهى : الفيضان ، والإنبات ، والقيظ . ويظهر من بيانات حجر بالرمو أن السنة كانت تسمى بمجرد انتهائها باسم أهم حادث وقع فيها .

ومن هذا نجد البيانات الواردة فى التوراة : « فى السنة التاسعة للملك فى الشهر العاشر فى عاشر الشهر جاء نبوخذ ناصر ملك بابل هو وكل جيشه على أورشليم » (١). « وفى الشهر الخامس فى سابع الشهر وهى السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذ ناصر ملك بابل جاء نبوز رادان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم » (٢) .

والحق أن هذه السنة المصرية كانت أقصر من الواقع بربع يوم ، ففى كل أربع سنوات تتأخر يوما عن السنة الشمسية المحصورة بين مطلعين شمسيين لنجم الشعرى . وهذا الفرق لم يكن محسوساً من الناحية العلمية إلا قليلا فى مدى جيل ، ولكنه برز واضحا على مر القرون وأصبحت فصول التقويم غير مطابقة للأعياد الدينية التى كانت قائمة على الظواهر الطبيعية .

هذا وفى نهاية ١٤٦٠ سنة عندما يبلغ التأخير عاماً كاملا تعود الأمور إلى الانتظام من تلقاء نفسها وتنطبق أقسام التقويم الرسمى تماما ولمدة أربعة أعوام على ما يقابلها فى التقويم الطبيعى .

---

(١) ٢ مل ٢٥ : ١.   (٢) ٢ مل ٢٥ : ٨.

والدورة اللازمة لعودة هــذا الاستقرار تسمى الفــترة الشعرية Periode Sothiaque.

ويعود وضع التقويم الفرعونى إلى فلــكيي مدينة منف وهى مدينة تأسست فى أوائل الحقبة التاريخية ، ومدينة عين شمس ، وكلتاهما تقع على خط عرض ٣٠° ، وقد ذكرت عين شمس فى أقدم النصوص كمركز دينى لعب دورا كبيرا فى الأزمنة الأسطورية . فإلى فلــكيي هذه المدينة يمــكن أن يعزى وضع التقويم المصرى .

يوليانى	فرعونى	سريانى	السنة القمرية
السنة الشمسية			
يناير	طوبة	كانون ثان	محــــرم
فبراير	أمشير	شباط	صفـــــر
مارس	برمهات	آذار	ربيع الأول
إبريل	برمودة	نيسان	ربيع الآخر
مايو	بشنس	أيار	جمادى الأولى
يونيو	بؤونة	حزيران	جمادى الآخرة
يوليو	أبيب	تموز	رجب
أغسطس	مسرى	آب	شعبان
سبتمبر	توت	أيلول	رمضان
أكتوبر	بابة	تشرين أول	شوال
نوفمبر	هاتور	تشرين ثان	ذو القعدة
ديسمبر	كيهك	كانون أول	ذو الحجة

التقويم وأثره فى الأعياد المسيحية :

أقر مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ م جعل عيد القيامة فى الأحد الذى يلى فصح اليهود بعد الاعتدال الربيعى . « وكلم الرب موسى وهارون فى أرض مصر قائلا : هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور ، هو لكم أول شهور السنة . . . ويكون لكم فى اليوم الأول محفل مقدس وفى اليوم السابع محفل مقدس لا يعمل فيهما عمل ما إلا ما تأكله كل نفس فذلك وحده يعمل منكم . . ويكون حين يقول لكم أولادكم : ما هذه الخدمة لكم ؟ أنكم تقولون : هى ذبيحة فصح للرب الذى عبر عن بيوت بنى إسرائيل فى مصر لما ضرب المصريين وخلص بيوتنا . نخرّ الشعب وسجدوا » (١).

وهكذا فإن عيد الصفح يربطهم أبد الدهر بمصر التى استضافتهم ٤٣٠ سنة. وأصدر الإمبراطور قنسطنطين منشوراً إلى كل كنائس المسكونة بضرورة الاحتفال بالفصح فى وقت واحد . وقد عهد آباء مجمع نيقية إلى بطريرك الكرازة المرقسية بالإسكندرية ، وهى التى كان بها أكبر مرصد فلكى فى عصره ، أن يحسب موعد العيد مقدما ويبلغه إلى سائر كنائس المسكونة ، فقام بمهمته خير قيام .

الأنبياء فى أسفار التوراة

عرضت أسفار التوراة لتاريخ العالم من يوم نشأته إلى قبيل بعثة المسيح ، فتكلمت بإجمال عن خلق السموات والأرض وخلق آدم وحواء وتاريخهما

---

(١) خروج ١٢ : ١ — ٢٧ .

فى الجنة وبعد هبوطهما منها ، وما حدث لنسلهما بعد ذلك ، وقصة نوح والطوفان ، وقصة أولاده الثلاثة : سام وحام ويافث ، وعرضت بشىء من التفصيل لتاريخ نسل سام ، وهو الذى ينتمون إليه ، وخاصة تاريخ إبراهيم وإسحق ويعقوب أو إسرائيل .

ثم تناولت بتفصيل كبير تاريخ بنى إسرائيل فى مختلف المراحل من حياتهم فى مصر وسيناء وبعد استقرارهم فى الأرض المقدسة ، وتاريخ من تولى شئونهم الدينية والسياسية من قضاة وملوك ولاويين وأحبار وربانيين ، ومن بعث فيهم من رسل وأنبياء ، وعلاقاتهم بالشعوب الأخرى ، وما جرى بينهم وبين هذه الشعوب من اشتباكات وحروب أو مودة ووفاق ، وقد استغرق هذا القصص أكبر قسم من أسفار العهد القديم وقسما غير يسير من التلمود .

وقد لخص موسى تاريخ إسرائيل من إبراهيم عليه السلام حتى قيادة يشوع بن نون لشعب إسرائيل ليدخل بهم أرض كنعان فى الإصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التثنية ، كما استجدى ذكريات الماضى ومدى رحمة الله التى لم يقدرها بنو إسرائيل بسبب عصيانهم بمزموره الثامن والسبعين من سفر المزامير . كما واجه استفانوس (أحد أتباع المسيح) رؤساء الكهنة وحدثهم عن تسلسل الأنبياء من موسى إلى المسيح فى سفر الأعمال(١) .

ومن هذه النصوص يستطيع المرء أن يلم بأمور جذرية تتعلق بالكيان الإسرائيلى لكن الأمر الذى يسترعى انتباهنا هو موقف إسرائيل من الأنبياء ،

(١) أ ع ٧ : ١ — ٣٥

فقد افتروا عليهم بأعمـال قبيحة تتنافى مع وضعهم الدينى والاجتماعى ، بل تتعارض مع الخلق الـكريم فى ذاته ، ولا يتصور صدورها إلا من سفلة القوم .

إنها مسائل خطيرة فى عالم الأخلاق ، لا ينبغى لرجال التاريخ أن يمروا بها دون نظر طويل ، وإمعان فى التفـكير ، وحذر فى الا ستنتاج وتصويب الرأى ، وتحفظ فى الحـكم ، فليست هى من المسائل العادية ، وليس أمر تحقيقها والحـكم فيها بالشىء اليسير ، بل إنها تمس حياة الأمة المؤمنة ، فهى ليست قضية خاصة بإسرائيل ، وإنما هى قضية سلالة من أكرم السلالات . . سلالة نبوية أخذت على نفسها أن تنهض بالشعوب وتخرجها من الظلمات إلى النور ، وتفتح لها سبيل الرقى والتقدم .

أمة نبوية لا تريد الـكرامة لنفسها فحسب ، وإنما تريدها لمن جاورها من شعوب الأرض فتخلق فيهم ومنهم فى حوض البحر الأبيض المتوسط كتلة متماسكة الأطراف مجتمعة الصفوف ، قوية البناء عالية الرأس ، تتحدى أكبر قوات العالم بحيث لا ينازعها فى سياستها واستقامتها وهدايتها فى الشرق كله منـازع . ثم إنها ليست قضية واحدة ، فلقد وصل صلف إسرائيل ووقاحتهم أن ذكروا لوطا (١) عليه السلام بأنه تورط بالإثم مع ابنتيه اللتين أخرجهما الله من مائه ووضع نواتهما الأولى فى صلبه ، ويذكرون عن أخ تورط مع أخته التى خرجت معه إلى هذه الدنيا من صلب واحد ثم تـكون بناؤه مع بنائها فى رحم واحد ورضعت معه غذاء الحياة الأولى من ثدى واحد ، إنه إمنون بن داود :

---

(١) تـكوين ١٩ : ٣٠ — ٣٨ .

«فقالت له : لا ياأخى لا تذلنى ، لأنه لا يُفعل هكذا فى إسرائيل. لاتعمل هذه القباحة . . فلم يشأ أن يسمع لصوتها ، بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها » (١) .

ويذكرون أن يهوذا(٢) زنا بزوجة ابنه :« ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له : قد زنت ثامار كنتك وها هى حبلى من الزنا ، فقال يهوذا : أخرجوها فتحرق . أما هى فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة : من الرجل الذى هذه له أنا حبلى . وقالت : حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه . فتحققها يهوذا وقال : هى أبر منى » (٣) . وتذكر التوراة تورط الابن مع زوجة أبيه : «فماتت راحيل ودفنت فى طريق أفراتة التى هى بيت لحم. فنصب يعقوب عموداً على قبرها . وهو عمود قبر راحيل إلى اليوم . ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدر . وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا فى تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل » (٤) ، كما نسبوا إلى داود أنه زنا ببثشبع زوجة أحد قواد جنده(٥). ونسبوا إلى سليمان أنه أحب نساء كثيرات أجنبيات كن السبب الأساسى فى تردى سليمان فى الخطيئة(٦) . مع أن الكتاب يذكر عن داود : « وجدت داود بن يسى رجلا حسب قلبى الذى سيصنع كل مشيئتى » (٧) .

---

(١) ٢ صم ١٣ : ١٢ – ١٤ . (٢) تكوين ٣٨ : ١٣ — ٣٠ .

(٣) تكوين ٣٨ : ٢٤ — ٢٦ . (٤) تكوين ٣٥ : ١٩ – ٢٢ .

(٥) ٢ صم ١١ : ٢ – ٢٧ « هذه بثشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثى فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها . ثم رجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى » وكانت الخطيئة مزدوجة : زنا ونفس بريئة .

(٦) ١ مل ١١ : ١ — ٩ . (٧) أعمال الرسل ١٣ : ٢٢ .

هذا الانحراف فى شعب إسرائيل وسوء تقديره للأنبياء جعله ينظر إلى الحياة نظرة تحرره من الارتباط بالقيم الأخلاقية وبالمثل الإنسانية العليا ، فاتخذ من التلمود ركيزة لانحرافه ، إذ جاء فى التلمود :

١ — اليهودى لا يخطىء إذا اعتدى على عرض الأجنبية .

٢ — لليهود الحق فى اغتصاب النساء غير المؤمنات ، أى غير اليهوديات.

ثم ينظر إلى تعامله مع الشعوب نظرة نفعية قد يهب عرضه قربانا لها ، كما يقرر التلمود :

٣ — يجب أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء ، وأن ندخل أبناءنا فى الديانات المختلفة ، وأن تكون لنا الكلمة العليا فى الدول وأعمالها ، فنفتنهم ونوقع بينهم وندخل عليهم الخوف ليحارب بعضهم بعضا ، وفى ذلك كله نجنى الفائدة .

وهذه الوقائع إنما تدل على خسة فى نفوسهم وعلى ما جبلوا عليه من جبن وخوف .

ومن هنا كان الخوف وازع الإنسانية الأول ، ومعلمها ، فهو الذى يدفعها إلى الشر ، وهو الذى يسوقها إلى ركاب الخير . والناس فى سبيل الحياة لا يسعون — مدركين — إلا إلى خير أنفسهم ، يفعلون ذلك من أجل متاعهم ونجاتهم من الشر ، وفى سبيل ذلك يهون على النفس البشرية كل صعب ، وتذلل أمامها العقبات ، وتنفك عنها القيود ، بل إن النفس لتنكر الحقائق وتكذب الواقع وتتجاهل طبيعة الأشياء أحيانا ، فتطلب من التاريخ ما ليس فيه ، وتحمل الأشياء ما ليس فى مقدورها ، وتكلف الأيام ضد طباعها ، وتفعل الأعاجيب فى سبيل إرضاء عواطفها .

ومن هنا انبثقت الصهيونية لاتقوم على أسس دينية ، بل على مبادىء تناقض العدل والحق والرحمة والأخلاق والفضيلة، مبادىء: الغاية تبرر الواسطة . فأين هم من شريعة الله التى تقرر « لا يدخل ابن زنا فى جماعة الرب »(١)، « لا تكن زانية من بنات إسرائيل »(٢)، « لا يدخل عمونى ولا موآبى فى جماعة الرب »(٣) ؟!

ومن دراستنا للأنسال حسب كتابة متى فى إنجيله فى الإصحاح الأول نجد أن:

١ — يهوذا ولد فارص من ثامار ، وقد سجلت التوراة حادث الزنا فى سفر التكوين(٤) .

٢ — سلمون ولد بوعز من راحاب ، وقد سجلت التوراة حادث الزنا فى سفر يشوع(٥) .

٣ — داود ولد سليمان من بتشبع التى كانت زوجة لأوريا ، وقد سجلت التوراة حادث الزنا فى سفر صموئيل(٦) .

أما نص سلسلة الأنسال فهى « كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم . إبراهيم ولد إسحق، وإسحق ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته ، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار ، وفارص ولد حصرون ، وحصرون ولد أرام ، وأرام ولد عميناداب ، وعميناداب ولد نحشون ، ونحشون ولد سلمون ، وسلمون ولد بوعز من راحاب ، وبوعز ولد عوبيد من راعوث ، وعوبيد ولد يسى ، ويسى ولد داود الملك ، وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا »(٧) . « فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا ، ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلا ، ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا »(٨) .

---

(١) تث ٢٣ : ٢ .
(٢) تث ٢٣ : ١٧ .
(٣) تث ٢٣ : ٣ .
(٤) تك ٣٨ : ١٣ — ٣٠ ؛
(٥) « ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب » يشوع ٢ : ١ .
(٦) ٢ صم ١١ : ٢ — ٢٧ .
(٧) متى ١ : ١ — ٦ .
(٨) متى ١ : ١٧ .

ومع أن التوراة حرمت المصاهرة بالعمونيات والموآبيات، إلا أننا نجد أن بوعز تزوج براعوث، وأن شيوخ إسرائيل باركوا هذا الزواج: «فأخذ بوعز راعوث امرأة ..ودخل عليها فأعطاها الرب حبلا فولدت ابنا وسمته الجارات عوبيد هو أبو يسى أبي داود»[1]. «فقال جميع الشعب الذين فى الباب والشيوخ :نحن شهود فليجعل الرب المرأة الداخلة إلى بيتك كراحيل وكليئة اللتين بنتا بيت إسرائيل، وليكن بيتك كبيت فارص الذى ولدته ثامار ليهوذا من النسل الذى يعطيك الرب من هذه الفتاة»[2]. وهنا يبدو الخلاف الكبير الجوهرى بين نصوص الشريعة وممارستها ،وبين نور الحق فيما جاءت به الوصايا وظلمات الباطل والزيف والتحريف فيما جاء بقصصهم ، وهذا مصداق لقوله تعالى : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به»[3]. وشاء الله أن يرد للأنبياء كرامتهم وعصمتهم فأنزل كلماته قائلا : «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين»[4] ،وقوله تعالى: «لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ،ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »[5].

الكيان السياسى والروحى

تحقيق تاريخى لعهد القضاة :

إن عهد القضاة يتميز بالنظام القبلى حسبما رسم يثرون لموسى ، إذ أوصاه أن يقيم عليهم «رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء خماسين ورؤساء عشرات»

---

(١) راعوث ٤ : ١٣ ، ١٧ .
(٢) راعوث ٤ : ١١ ، ١٢ .
(٣) المائدة : ١٣ .
(٤) هود : ١٢٠ .
(٥) يوسف : ١١١ .

يقضون للشعب كل حين ، ويكون أن كل الدعاوى الكبيرة يجيئون بها إليك ، وكل الدعاوى الصغيرة يقضون هم فيها ، وخفف عن نفسك فهم يحملون معك» (١) .

ومارس موسى هذا النظام حتى أنه حين صعد إلى الرب «صعد ومعه هارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل . فرأوا الله وأكلوا وشربوا » (٢) .

ولا غرابة فى عقيدتهم برؤية الله فإنهم يتصورون الله بصور عجيبة حتى أن تلمودهم يقول : « إن الله ليس معصوما من الطيش ، لأنه حين يغضب يستولى عليه الطيش ، كما حدث أن غضب من بنى إسرائيل فى الصحراء وحلف أن يحرمهم من الحياة الأبدية ، ولكنه ندم على ذلك بعد إفاقته ولم ينفذ ذلك القسم ، لأنه عرف أنه يخالف العدالة » . ومن هذه العقيدة تزداد مشكلة إدانة إسرائيل تعقيدا .

ولقد تتابع حكام على إسرائيل بعد موسى يعرفون بالقضاة انتهوا بعهد شمشون ثم أمسوا و « لم يكن ملك فى إسرائيل ، كل واحد عمل ما حسن فى عينيه »(٣) حتى مجىء عالى الكاهن فصموئيل الكاهن والنبى . وأهم هؤلاء القضاة هم الآتية أسماؤهم بعد ، وبينهم حكام كنعانيون وفلسطينيون من ١١٥٤ — ١٠٠٠ ق . م :

---

(١) خر ١٨ : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) خر ٢٤ : ٩ — ١١ .

(٣) قضاة ٢١ : ٢٥ .

الاسم	الأحداث	السند	نوع الحكم	السند	مدة الحكم
يشوع بن نون	تقسيم الأرض	يش ١٤:١، ٧	حرب مقدسة	يش ٢٤:٢٩	٣٠
عثنئيل بن قيناز	فناء الأمة اليهودية	قض ٢:١١ـ١٤	حرب ضد آرام	قض ٣:٩، ١١	٤٠
أهود بن جيرا	« « «	قض ٣:١٢	حرب ضد عمون وموآب	قض ٣ : ٣٠	٨٠
دبورة النبية	« « «	قض ٤:١	حرب ضد كنعان	قض ٤:٢٤	٤٠
جدعون	« « «	قض ٦:١	حرب ضد مديان	قض ٧:٢٥	٤٠
أبيمالك	« « «	قض ٧:٣٣، ٣٤	حرب ضد شكيم	قض ٩ : ٤٠	٣
يفتاح	« « «	قض ١٠:٦	حرب ضد عمون وموآب	قض ١١:٣٣	٦
شمشون	« « «	قض ١٣:١	حرب ضد الفلسطينيين	قض ١٦:٣٠	٢٠

ومن أبرز معالم هذا العهد أن إسرائيل سرعان ما ترددوا فى الخطيئة : « وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم والعشتاروث وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه »[١] .

ثم يصرخون إلى الرب وتنبئنا التوراة : « فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب قائلين : أخطأنا إليك لأننا تركنا إلهنا وعبدنا البعليم ، فقال الرب لبنى إسرائيل : أليس من المصريين والأموريين وبنى عمون والفلسطينيين خلصتكم؟!

(١) قض ١٠ : ٦ ، ٧ .

والصيدونيون والعمالقة والمعونيون قد ضايقوكم فصرختم إلىّ فخلصتكم من أيديهم. وأنتم قد تركتمونى وعبدتم آلهة أخرى، لذلك لا أعود أخلصكم»(١).

ونرى هنا شعباً يندم وإلها يتوعد، لكنهم يزدادون ندامة فيتألم لهم: «امضوا واصرخوا إلى الآلهة التى اخترتموها لتخلصكم هى فى زمان ضيقكم، فقال بنو إسرائيل للرب: أخطأنا فافعل بنا كل ما يحسن فى عينيك. إنما أنقذنا هذا اليوم، وأزالوا الآلهة الغريبة من وسطهم وعبدوا الرب، فضاقت نفسه بسبب مشقة إسرائيل»(٢)، فأرسل لهم «يفتاح الجلعادى جبار بأس وهو ابن امرأة زانية ... ثم عبر يفتاح إلى بنى عمون لمحاربتهم فدفعهم الرب ليده»(٣).

ومن عجب أن الوصية كانت تحذرهم من الامتزاج والاختلاط: «احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض، فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم وتأخذ من بناتهم لبنيك فتزنى بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن»(٤). لكن التوراة تؤكد أن بنى إسرائيل عاشوا بين شعوب الأرض من الكنعانيين وغيرهم ولم يقووا على استئصالهم، وكأن هذه الشعوب قد أراد الله أن تظل فى أوطانها لتطهير بنى إسرائيل وامتحانهم.

فترة الانتقال:

ظل بنو إسرائيل بلا ملك حتى إقامة شاول ملكا عليهم. وفى هذه الفترة قضى لإسرائيل كاهنان هما عالى، وصموئيل، وكانا يقضيان لإسرائيل

---

(١) قض ١٠ : ١٠ — ١٣.
(٢) قض ١٠ : ١٤ — ١٦.
(٣) قض ١١ : ١ ، ٣٢.
(٤) خر ٣٤ : ١٥ ، ١٦.

تحت إلهامات ربانية ، وكانا يسيران فى طريق الرب تماما ، وفى عهدهما تألب على بنى إسرائيل سكان الأرض .

وقد وصل الفساد بالأمة الإسرائيلية زمان عالى الكاهن حتى أنهم فى حروبهم مع الفلسطينيين قد استعانوا بتابوت عهد الرب . لكن الله قد تخلى عنهم وانكسروا : « فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل . وهربوا كل واحد إلى خيمته ، وكانت الضربة عظيمة جدا وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف راجل ، وأخذ تابوت الله ومات ابنا عالى حفنى وفينحاس »[١] ، وشتان بين معركتين : معركة ينتصر فيها إسرائيل مستعينين بتابوت الله : « فبكر يشوع فى الغد وحمل الكهنة تابوت الرب . . . ان يشوع قال للشعب : اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة فتكون المدينة وكل ما فيها محرما للرب . راحاب الزانية فقط تحيا هى وكل من معها فى البيت ، لأنها قد خبأت المرسلين اللذين أرسلناهما »[٢] ، ومعركة ينهزم فيها إسرائيل وهم قد استعانوا بتابوت الله حتى أنهم قالوا : « قد زال المجد من إسرائيل لأن تابوت الله قد أخذ »[٣] .

ثم يطلب الشعب ملكا ليملك عليهم فيقيم لهم صموئيل — شاول ملكا عليهم ، ويحارب شاول الفلسطينيين وينكسر أمامهم : « واشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماة رجال القسى فانجرح شاول جدا . . فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله فى ذلك اليوم معا . ولما رأى رجال إسرائيل الذين فى عبر الوادى والذين فى عبر الأردن أن رجال إسرائيل قد هربوا وأن شاول وبنيه قد ماتوا تركوا المدن وهربوا ، فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها »[٤] .

---

(١) ١ صم ٤ : ١٠ ، ١١ .
(٢) يشوع ٦ : ١٢ ، ١٦ ، ١٧ .
(٣) ١ صم ٤ : ٢١ .
(٤) ١ صم ٣١ : ٣ ، ٦ ، ٧ .

وظلت أرض كنعان موضع شد وجذب من قبل الفريقين اللذين أغارا عليها من خارج — الفلسطينيين والإسرائيليين — حتى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد على وجه التقريب ، وهذا هو التاريخ الذى يعينونه لاستيلاء الملك الإسرائيلى داود على بيت المقدس . لقد هزم الفلسطينيين ، وفتح أرض كنعان ، وتقدم بالتالى للاستيلاء على الدويلات الصغيرة المجاورة الواقعة إلى الشرق من فلسطين : « آدوم ، ومؤاب ، وعمون ، وجلعاد » .

وبلغ حكم داود كله أربعين سنة : « وكان الزمان الذى ملك فيه داود على إسرائيل أربعين سنة . فى حبرون ملك سبع سنوات ، وفى أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة ، وجلس سليمان على كرسى داود أبيه وتثبت ملكه جدا » (١). وحكم ابنه سليمان أربعين سنة : « وكانت الأيام التى ملك فيها سليمان فى أورشليم على كل إسرائيل أربعين سنة »(٢). وفى عهد سليمان تم بناء الهيكل ، وكان عصره العصر الذهبى لإسرائيل ، إذ كان الهيكل القبلة المقدسة لكل يهودى أنى كان . وفى الهيكل رفع سليمان دعاءه إلى الله قائلا : « إذا خرج شعبك لمحاربة عدوه فى الطريق الذى ترسلهم فيه وصلوا إلى الرب نحو المدينة التى اخترتها والبيت الذى بنيته لاسمك فاسمع من السماء صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم »(٣). وكان بالهيكل هذا تابوت عهد الرب : «وكان فى تابوت عهد الرب لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر» (٤) . وكان اللوحان مكتوبين بأصبع الله :«واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين »(٥) . لكن موسى فى غضبته بسبب عصيان بنى إسرائيل كسرهما

(١) ١ مل ١ : ١١ ، ١٢ .
(٢) ١ مل ١١ : ٤٢ .
(٣) ١ مل ٨ : ٤٤ ، ٤٥ .
(٤) ١ مل ٨ : ٩ .
(٥) خر ٣٢ : ١٦ .

فأمره الله : « قال الرب لموسى : انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين . فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما . . وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع . . . فخافوا أن يقتربوا إليه »(١) . ونحن لا نختلف معهم فى مقـــام الهيكل فإنه فى بقعة لها أقدس الذكريات... ذكريات صخرة المريا التى اشتراها داود من اليبوسيين وفعل كما أمره الله فبنى مذبحا حيث كان جده الأعلى إبراهيم قد بنى مذبحا قبل قرون عديدة . ومن ثَمَّ بنى سليمان بن داود هيكلا جميلا فى البقعة نفسها ، والمعتقد أن مذبح سليمان أمام الهيكل قد وضع فوق الصخرة .

عن قتادة رضى الله عنه قال : « كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة ، وبعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام » رواه الطبرى . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَهَلَّ بِحَجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مِنَ الأَقْصَى إِلَى الْمَسْجِدِ الحَرَامِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » رواه أبو داود وابن حبّان فى صحيحه . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تُشَدُّ الرحالُ إلاَّ إلى ثلاثةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِدِ الحرامِ وَمَسْجِدِ الأقصَى ومسجدِى » رواه البخارى .

وكانت وصية الله لسليمان صريحة بقوله : « إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائى ولا تحفظون وصاياى فرائضى التى جعلتها أمامكم ، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها ، فإنى أقطع إسرائيل عن وجه الأرض

---

(١) خر ٣٤ : ١ ، ٢٩ — ٣٠ .

التى أعطيتهم إياها ، والبيت الذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى ويكون إسرائيل مثلا وهزأة فى جميع الشعوب ، وهذا البيت يكون عبرة كل من يمر عليه يتعجب ويصفر ويقولون : لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت ؟ فيقولون : من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذى أخرج آباءهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها ؛ لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر »(١) .

كان حكم داود وسليمان معا (فى أورشليم) حوالى ثلاث وسبعين سنة ، ثم زالت المملكة من الوجود ، وتنسب التوراة إلى سليمان أنه أخطأ ، ولهذا قال الرب لسليمان : « من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك » (٢) .

وقد أعطى يربعام عشرة أسباط قائلا : « هأنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط ، ويكون له سبط واحد من أجل عبدى داود ومن أجل أورشليم المدينة التى اخترتها من كل أسباط إسرائيل ، لأنهم تركونى وسجدوا لعشتورث إلهة الصيدونيين ولكموش إله الموآبيين ولملكوم إله بنى عمون ولم يسلكوا فى طرقى ليعملوا المستقيم فى عينى وفرائضى وأحكامى كداود أبيه » (٣) . وعلم سليمان بقضاء الله فازداد مقتا وحقدا : « وطلب سليمان قتل يربعام ، فقام يربعام وهرب إلى مصر ، إلى شيشق ملك مصر ، وكان فى مصر إلى وفاة سليمان » (٤) .

---

(١) ١ مل ٩ : ٦ — ٩ .
(٢) ١ مل ١١ : ١١ .
(٣) ١ مل ١١ : ٣١ — ٣٣ .
(٤) ١ مل ١١ : ٤٠ .

وبعد وفاة سليمان حوالى عام ٩٢٧ ق . م . تفسخت المملكة وانقسمت على نفسها إلى بلدين متعاديين : « وكانت حرب بين رحبعام ويربعام كل الأيام »(١). وفى أيام رحبعام ملك يهوذا « صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شىء وأخذ جميع أتراس الذهب التى عملها سليمان »(٢) .

لقد شكلت قبائل يهوذا مملكة يهوذا فى الجنوب : « فعصى إسرائيل على بيت داود إلى هذا اليوم . ولما سمع جميع إسرائيل بأن يربعام قد رجع أرسلوا فدعوه إلى الجماعة وملّكوه على جميع إسرائيل . لم يتبع بيت داود إلا سبط يهوذا وحده»(٣). أما القبائل العشر الباقية فشكلت مملكة إسرائيل فى الشمال . وبدأت مملكة يهوذا من ٩٢٧ — ٥٨٦ ق . م . حتى السبى إلى بابل فى عهد نبوخذ نصر،وبدأت مملكة إسرائيل من ٩٢٧—٧٢٢ق.م. حتى استئصالهم فى زمن شلمناصر ملك أشور ، وكان بين المملكتين عداء مستحكم أقض مضجعهم ، وظهر بعنف بين آسا ملك يهوذا وبعشا ملك إسرائيل ، وبين امصيا ملك يهوذا ويوآش ملك إسرائيل ، واستولى ملك إسرائيل على كنوز الهيكل .

وفى عهد مملكة يهوذا استولى حزائيل ملك آرام على كنوز أورشليم ، ودفع آحاز ملك يهوذا الجزية إلى تغلث فلاسّر ملك أشور ، وفى زمن يوشيا تم العثور على سفر الشريعة وبدأت النهضة الدينية العظمى فى تاريخ إسرائيل،

---

(١) ١ مل ١٤ : ٣٠ .

(٢) ١ مل ١٤ : ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) ١ مل ١٢ : ١٩ ، ٢٠ .

لكنها سرعان ما انتكست ، وصعد نبوخذ نصر فى عهد صدقيا ملك يهوذا واستولى على أورشليم ودمر الهيكل بعد نهب كنوزه وأحرق مدينة أورشليم كلها .

وفى عهد مملكة إسرائيل صنع يربعام للأسباط العشرة عجلين من ذهب ليتعبد لهما إسرائيل ويصرفهما عن أورشليم . ومملكة إسرائيل تتميز بالشر بأبشع صوره .

وتيقظت إسرائيل فى عهد ياهو بن نمشى ، وبدأت نهضة دينية عظمى ولكنها سرعان ما انتكست واستمرأ الشعب العصيان . وظهر أنبياء عظام فى السامرة منهم : إيليا الذى تحدى أنبياء البعل ، واليشع الذى دفع عن إسرائيل خطر مداهمة ملك آرام لها بأن صنع دواء شفى قائد جيش آرام وملك آرام نفسه ، وتتعرض إسرائيل لمداهمة فول ملك أشور فى عهد منحيم ملك إسرائيل . ثم تعرضت البلاد لغزو تغلث فلا سر فى عهد فقح بن رمليا ملك إسرائيل ، ثم تستأصل شأفتها فى عصر الملك هوشع بن أيلة إذ يصعد عليه شلمنأصر ملك أشور وينفى إسرائيل من السامرة ويستبدل بهم أقواماً آخرين .

ويتميز عهد مملكة إسرائيل ببناء السامرة إذ بناها عمرى ملك إسرائيل .

تحقيق تاريخي لملوك يهوذا

من سنة ٩٢٧ ق م . إلى سنة ٥٨٦ ق . م .

مسلسل	اسم الملك	توليته ومدة حكمه	السند الكتابي	أهم الأحداث	السند الكتابي
١	رحبعام	بعد وفاة سليمان أبيه	١ مل ١٢ :١	حرب بينه وبين يربعام ملك إسرائيل	١ مل١٢ :٢١—٢٤
		حكم ١٧ سنة	١ مل ١٤ :٢١	بنوا مرتفعات وأنصابا وسوارى	١ مل١٤ :٢٢—٤٢
٢	آسا	فى السنة العشرين ليربعام	١ مل١٥ :٩	حرب بينه وبين بعشا ملك إسرائيل	١ مل١٥ :١٦—١٧
		حكم ٤١ سنة	١ مل ١٥ :١٠	معاهدة مع بنهدد ملك آرام ضد بعشا	١ مل١٥ :١٩
٣	يهوشافاط	فى السنة الرابعة لأخآب	١ مل ٢٢ :٤١	صالح أخآب ملك إسرائيل	١ مل٢٢ :٤
		حكم ٢٥ سنة	١ مل ٢٢ :٤٢		
٤	يوآش	فى السنة السابعة لياهو	٢ مل ١٢ :١	حزائيل ملك آرام يستولى على كنوز الهيكل	٢ مل١٢ :١٨
		حكم ٤٠ سنة	٢ مل ١٢ :١		
٥	أمصيا	فى السنة الثانية ليوآش	٢ مل ١٤ :١	مصالحة يهوآش ملك إسرائيل	٢ مل ١٤ : ٨
		حكم ٢٩ سنة	٢ مل ١٤ :٢	غزو يهوآش لملك يهوذا واستيلائه على كنوز الهيكل وسبى أمصيا إلى السامرة	٢ مل١٤ :١١—١٤
٦	عزريا	فى السنة السابعة والعشرين ليربعام	٢ مل ١٥ :١	ولم ينزع المرتفعات	٢ مل١٥ :٤
		حكم ٥٢ سنة	٢ مل ١٥ :٢	ضربه الرب بالبرص	٢ مل١٥ :٥
٧	يوثام	فى السنة الثانية لفقح بن رمليا	٢ مل ١٥ :٣٢	ولم ينزع المرتفعات	٢ مل٥ :٣٥
		حكم ١٦ سنة	٢ مل ١٥ :٣٣		

٨	آحاز	فى السنة السابعة لفقح بن رمليا	٢ مل ١٦: ١	سار فى طريق يربعام بن نباط	٢ مل ١٦: ٣، ٤
		حكم ١٦ سنة	٢ مل ١٦: ٢	معاهدة مع تغلث فلاسر ملك أشور ضد	
				ملك آرام وملك إسرائيل	٢ مل ١٦: ٧
٩	حزقيا	فى السنة الثالثة لهوشع بن أيلة	٢ مل ١٨: ١	صعد سنحاريب ملك أشور وأخذ جزية.	٢ مل ١٨: ١٣
		حكم ٢٩ سنة	٢ مل ١٨: ٢	حزقيا يكشف لبرودخ بلادان بن بلادان	
				ملك بابل عن كنوز الهيكل وكنوز المملكة	٢ مل ٢٠: ١٢
				اشعياء يتنبأ بخراب الهكل وسبى يهوذا .	٢ مل ٢٠: ١٦
١٠	منسى	حكم ٢٥ سنة	٢ مل ٢١: ١	صنع شرور يربعام بن نباط .	٢ مل ٢١: ٢ — ٩
				الانذار بخراب اورشليم ورفض يهوذا .	٢ مل ٢١: ١٣ — ١٥
١١	يوشيا	حكم ٣١ سنة	٢ مل ٢٢: ١	العثور على سفر الشريعة .	٢ مل ٢٢: ٨
				يقظة دينية لكن لم تغن عن وقوع قضاء الله	٢ مل ٢٢: ٤ — ٢٤ ٢ مل ٢٢: ١٧ — ٢٠
				مصرع يوشيا وقهر نخو ملك مصر له .	٢ مل ٢٣: ٢٩
١٢	يهوياقيم	حكم ١١ سنة	٢ مل ٢٣: ٣٦	صعد نبوخذ نصر واستعبده	٢ مل ٢٤: ١، ٢
١٣	صدقيا	حكم ١١ سنة	٢ مل ٢٤: ١٨	عمل الشر فى عينى الرب	٢ مل ٢٤: ١٩
				صعد نبوخذ نصر واستولى على أورشليم	٢ مل ٢٥: ١، ٨

وبهذا تقوضت مملكة يهوذا سياسيا ولم يعد لها كيان على الإطلاق منذ سنة ٥٨٦ ق. م . وتنبأ عنهم إرمياء نبيهم وكان معاصراً للملك يهوياقيم والملك صدقيا بزوال دولة يهوذا « إرميا إصحاح ٢١ » .

تحقيق تاريخى لملوك اسرائيل

من سنة ٩٢٧ ق . م . إلى سنة ٧٢٢ ق . م .

مسلسل	اسم الملك	توليته ومدة حكمه	السند الكتابى	أهم الأحداث	السند الكتابى
١	يربعام بن نباط	بايعه إسرائيل ملكا	١ مل ١٢: ٢	عمل عجل ذهب ليحول دون ذهابهم إلى أورشليم	١ مل ١٢: ٢٥ ـ ٢٨
		حكم ٢٢ سنة	١ مل ١٤: ٢٠	نبوءة رجل الله بمولد يوشيا ملكا ليهوذا	
				يعمل على تطهير البلاد من الأرجاس	١ مل ١٣: ٢ ــ ٥
٢	بعشا	فى السنة الثالثة لآسا	١ مل ١٥: ٣٣	انتزاع بيت بعشا قصاصا للرجس الذى	
		حكم ٢٤ سنة	١ مل ١٥: ٣٣	تفشى فى إسرائيل بسببه	١ مل ١٦: ٣
٣	عمرى	فى السنة ٣١ لآسا	١ مل ١٦: ٢٣	اشترى جبل السامرة وبنى مدينة السامرة	١ مل ١٦: ٢٤
		حكم ١٢ سنة	١ مل ١٦: ٢٣	سار فى طريق يربعام بن نباط	١ مل ١٦: ٢٥
٤	أخآب	فى السنة ٣٨ لآسا	١ مل ١٦: ٢٩	فاق يربعام فى الرجس والخطيئة	١ مل ١٦: ٣١ ـ ٣٣
		حكم ٢٢ سنة	١ مل ١٦: ٢٩	**ايليا يتحدى انبياء البعل .**	١ مل ١٨: ١٧ ـ ٤٠
٥	يهورام	فى السنة ١٨ ليهوشافاط	٢ مل ٣: ١	لصق بخطايا يربعام	٢ مل ٣: ٣
		حكم ١٢ سنة	٢ مل ٣: ١	اليشع يفدى إسرائيل بشفائه لنعمان	٢ مل ٥: ١ ـ ١٠
				وبشفائه بنهدد ملك آرام	٢ مل ٨: ١٠
				بنهدد حاصر إسرائيل سنوات	٢ مل ٦: ٢٤

٦	يا هو بن نمشى	خيانة فى إسرائيل ومصرع يهورام وأخزيا	٢ مل٩: ٢٣-٢٩	مذبحة أنبياء البعل	٢ مل١٠: ١٥-٢٧
		حكم ٢٨ سنة	٢ مل١٠: ٣٦		
٧	يهوآحاز	فى السنة ٢٣ ليو آش	٢ مل١٣: ١	حزائيل ملك آرام يحاصر إسرائيل	٢ مل١٣: ٣
		حكم ١٧ سنة	٢ مل١٣: ١		
٨	يهوآش	فى السنة ٣٧ ليوآش	٢ مل١٣: ١٠	حرب بينه وبين أمصيا ملك يهوذا	٢ مل١٣: ١٢
		حكم ١٦ سنة	٢ مل١٣: ١٠		
٩	يربعام	فى السنة ١٥ لأمصيا	٢ مل١٤: ٢٣	عمل الشر فى عينى الرب	٢مل١٤: ٢٤
		حكم ٤١ سنة	٢ مل١٤: ٢٣		
١٠	منحيم	فى السنة ٣٩ لعزريا	٢ مل١٥: ١٧	عمل الشر فى عينى الرب	٢ مل١٥: ١٨
		حكم ١٠ سنوات	٢ مل١٥: ١٧	دفع جزية لفول ملك أشور	٢ مل١٥: ٢٠
١١	فقح بن رمليا	فى السنة ٥٢ لعزريا	٢ مل١٥: ٢٧	غزو تغلث فلاسر ملك أشور	٢ مل١٥: ٢٩
		حكم ٢٠ سنة	٢ مل١٥: ٢٧		
١٢	هوشع بن أيلة	فى السنة ١٢ لآحاز	٢ مل١٧: ١	غزو شلمنأصر للسامرة	٢ مل١٧: ٣
		حكم ٩ سنوات	٢ مل١٧: ١	استئصال إسرائيل واستبدال أقوام آخرين بهم	٢ مل١٧: ٢٤

« وفى السنة الرابعة للملك حزقيا وهى السنة السابعة لهوشع بن أيلة ملك إسرائيل صعد شلمنأصر ملك أشور على السامرة وحاصرها وأخذوها فى نهاية ثلاث سنين ، ففى السنة السادسة لحزقيا وهى السنة التاسعة لهوشع ملك إسرائيل أخذت السامرة وسبى ملك أشور إسرائيل إلى أشور، ووضعهم فى حلح وخابور ونهر جوزان وفى مدن مادى لأنهم لم يسمعوا لصوت الرب إلههم بل تجاوزوا عهده وكل ما أمر به موسى عبد الرب فلم يسمعوا ولم يعملوا »(١) .

ووضعت خاتمة يهوذا أيضاً إذ « عمل صدقيا الشر فى عينى الرب إلهه ولم يتواضع أمام إرميا النبى من فم الرب وتمرد أيضا على الملك نبوخذ ناصّر الذى حلفه بالله وصلب عنقه وقوى قلبه عن الرجوع إلى الرب إله إسرائيل . حتى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذى قدسه فى أورشليم . فأرسل الرب إله آبائهم إليهم عن يد رسله مبكرا ومرسلا لأنه شفق على شعبه وعلى مسكنه ، فكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء . فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده . وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعا إلى بابل . وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة . وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً »(٢) .

وهذه خاتمة يهوذا من أقوى الدعائم التى يؤمنون بها ولعلهم يفيقون ! !

---

(١) ٢ مل ١٨ : ٩ — ١٢ .

(٢) ٢خب ٣٦ : ١٢ — ٢٠ .

دالت، دولة يهوذا ومن قبلها إسرائيل لكن العداء الذى شغل ملوك المملكتين إبان عهدهما قد توارثته الأجيال حتى جاءت المرأة السامرية إلى المسيح خاتم أنبياء بنى إسرائيل تسأله قائلة : « آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجدفيه. قال لها يسوع: ياامرأة صدقينى أنه تأتى ساعة لافى هذا الجبل ولافى أورشليم تسجدون لله ... الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا »(١) .

وقد جاءت الساعة إذ قال الله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون »(٢) .

---

(١) يو ٤ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ .　　(٢) البقرة ! ١٤٤ .

دليل الرموز المستخدمة فى الكتاب

استشهدنا فى ثنايا الكتاب بنصوص كثيرة من الكتاب المقدس ، وقد لجأنا أحيانا إلى الرمز للأسفار التى أخذت منها هذه النصوص اختصارا للوقت والجهد ، وفيما يلى بيان بالرموز المستخدمة لأسفار العهد القديم والعهد الجديد .

ا – أسفار العهد القديم :

اسم السفر	الرمز	اسم السفر	الرمز
التكوين	تك	نحميا	نح
الخروج	خر	أستير	أس
اللاويون	لا	أيوب	أى
العدد	عد	المزامير	مز
التثنية	تث	الأمثال	مث
يشوع	يش	الجامعة	جا
القضاة	قض	نشيد الإنشاد	نش
راعوث	را	إشعياء	إش
صموئيل الأول	١صم	إرميا	إر
صموئيل الثانى	٢صم	مراثى إرميا	مراثى
الملوك الأول	١مل	حزقيال	حز
الملوك الثانى	٢مل	دانيال	دا
أخبار الأيام الأول	١خب	هوشع	هو
أخبار الأيام الثانى	٢خب	يوئيل	يوئيل
عزرا	عز	عاموس	عا

اسم السفر	الرمز	اسم السفر	الرمز
عوبديا	عو	صفنيا	صف
يونان	يونان	حجى	حج
ميخا	مى	زكريا	زك
ناحوم	نا	ملاخى	ملا
حبقوق	حب		

ب – أسفار العهد الجديد :

اسم السفر	الرمز	اسم السفر	الرمز
إنجيل متى	مت	الرسالة الأولى إلى تيموثاوس	١ تى
إنجيل مرقس	مر	الرسالة الثانية إلى تيموثاوس	٢ تى
إنجيل لوقا	لو	الرسالة إلى تيطس	تى
إنجيل يوحنا	يو	الرسالة إلى فليمون	فل
أعمال الرسل	أع	الرسالة إلى العبرانيين	عب
الرسالة إلى أهل رومية	رو	رسالة يعقوب	يع
« الأولى إلى أهل كورنثوس	١ كو	رسالة بطرس الأولى	١ بط
« الثانية إلى أهل كورنثوس	٢ كو	رسالة بطرس الثانية	٢ بط
« إلى أهل غلاطية	غل	رسالة يوحنا الأولى	١ يو
« إلى « أفسس	أف	رسالة يوحنا الثانية	٢ يو
« إلى « فيلبى	فى	رسالة يوحنا الثالثة	٣ يو
« إلى « كولوسى	كو	رسالة يهوذا	يه
الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكى	١ تس	رؤيا يوحنا	رؤ
« الثانية إلى أهل تسالونيكى	٢ تس		

أهم المراجع

(١) مراجع عربية :

١ — القرآن الكريم

٢ — الكتاب المقدس — الطبعة الأمريكية / بيروت

٣ — قاموس الكتاب المقدس — الدكتور جورج بوست / بيروت

٤ — دائرة المعارف — المعلم بطرس البستانى

٥ — تاريخ الكامل — ابن الأثير

٦ — معجم البلدان — ياقوت الحموى

٧ — مصر — إيتيين دريوتون ، جاك فانديه
تعريب : عباس بيومى ، أحمد بدوى

٨ — فى موكب الشمس — الدكتور أحمد بدوى سنة ١٩٥٠

٩ — تاريخ مصر « من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى » — هنرى بريستيد. تعريب : حسن كمال

١٠ — أوربا العصور الوسطى — الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

١١ — تاريخ مصر الحديث — جورجى زيدان

١٢ — كتاب الطبقات — محمد بن سعد كاتب الواقدى

١٣ — تاريخ الطبرى — أبو جعفر بن جرير الطبرى طبعة ١٨٩٩

١٤ — تاريخ ابن خلدون — ابن خلدون

١٥ — فلسطين ... جريمة ... ودفاع — الدكتور أرنولد توينبى

١٦ — حرب السويس — بول جونسون

١٧ — مشكلة اليهود فى العالم الجديد — جيمس باركنز طبعة ١٩٤٦

الكتاب	المؤلف
١٨ — ثمن إسرائيل	ألفريد ليلينتال
١٩ — كيف ضاع الشرق الأوسط	ألفريد ليلينتال
٢٠ — أزيلوا . . إسرائيل	إيلين بيتى
٢١ — خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية	اللواء عبدالله التل
٢٢ — كارثة فلسطين	اللواء عبدالله التل
٢٣ — التطورات الأخيرة فى قضية فلسطين	خيرى حماد
٢٤ — الطريق إلى السويس	ارسكين تشيلدرز. تعريب خيرى حماد
٢٥ — إسرائيل والدول الكبرى	الدكتور يحيي عويس
٢٦ — المزاعم الصهيونية فى فلسطين	فتحى فوزى عبد المعطى
٢٧ — فلسطين عربية	العقيد محمد فرج
٢٨ — الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام	الدكتور على عبد الواحد وافى
٢٩ — حياة محمد	الدكتور محمد حسين هيكل
٣٠ — إسرائيل والتلمود	إبراهيم خليل أحمد
٣١ — الفاتيكان وإسرائيل	أنيس القاسم

(ب) مراجع اجنبية :

1 . J. H. Breasted; " Ancient Time "
a History of the Early World 2 nd, Edition / London

2 . The Story of Civilization ; Will Durant
A. Caesar and Christ
B. The Age of Faith NeW York 1950

3 . J. H. Breasted ; " Ancient Records of Egypt" 5 vol , 1907
A History of Egypt from the earliest times to The Persian
Conquest 2 nd, Edition , London

4 . Sigmund Frued ; Moses and Montheism 2 nd . edition
translated from German by Katherine Jones , 1940 .

5 . History of The Jews; Gratz Philadalphia U. S. A. 1941 .

محتويات الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة